تودغة

تاريخ وأعلام

نبذة عن تاريخ الواحة منذ دخول الإسلام إلى فترة الاحتلال الفرنسي

وضمنه نصوص تنشر لأول مرة وهي:

- نظم "المرشد في نظم الحكم العطائية" لأبي سرحان مسعود بن محمد التدغي اليعلاوي (ت 1011 هـ).
- نظم "تحفة الفلاح في آداب الجماع والنكاح" لأحمد بن صالح التدغي، كان حيًّا في (1029 هـ).
- رسالة في بيع الثنيا وهبة البنات لأقاربهن، لمحمد اليزيد بن محمد بن إسماعيل الناصري (ت 1274 هـ).
- نظم "حلة الأشياخ وزينة الأكابر الرساخ" أو فهرسة العلامة المهدي الناصري (ت 1347 هـ).
- نظم في فقه المواريث، لمؤلف مجهول.

تأليف

مولاي أحمد الإدريسي



دار الكتب العلمية

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

DKI

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان

Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon

Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

دار الأمان

للطباعة والنشر والتوزيع

الرباط

تودغة

تاريخ وأعلام

نبذة عن تاريخ الواحة منذ دخول الإسلام إلى فترة الاحتلال الفرنسي

وضمنه نصوص تنشر لأول مرة وهي :

- نظم "المرشد في نظم الحكم العطائية" لأبي سرحان مسعود بن محمد التدغي اليعلاوي (ت 1011 هـ).
- نظم "تحفة الفلاح في آداب الجماع والنكاح" لأحمد بن صالح التدغي، كان حيًّا في (1029 هـ).
- رسالة في بيع الثنيا وهبة البنات لأقاربهن، لمحمد اليزيد بن محمد بن إسماعيل الناصري (ت 1274 هـ).
- نظم "حلة الأشياخ وزينة الأكابر الرساخ" أو فهرست العلامة المهدي الناصري (ت 1347 هـ).
- نظم في فقه المواريث، لمؤلف مجهول.

تأليف

مولاي أحمد الإدريسي





الكتاب : تودغة تاريخ وأعلام

Title : TŪDĠA TĀRĪẖ WA A'LĀM

التصنيف : تاريخ - تراجم

Classification: History - Biographies

المؤلف : مولاي أحمد الإدريسي

Author : Mawlay Ahmad Al-Idrisy

الناشر : دار الكتـــب العلميـــة - بيـــروت

Publisher: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah - Beirut

Pages	336	عدد الصفحات
Size	17 x 24 cm	قياس الصفحات
Year	2018 A.D. - 1439 H.	سنة الطباعة
Printed in Lebanon		بلد الطباعة لبنـــان
Edition 1st		الطبعة الأولى

http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales@al-ilmiyah

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Est. by Mohamad Ali Baydoun

1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ‎+٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٠/١١/١٢
فاكس: ‎+٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٣
ص.ب: ١١-٩٤٢٤ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠



ISBN-13: 978-2-7451-9302-5
ISBN-10: 2-7451-9302-3

بسم الله الرحمن الرحيم

فهاك يا من إلى تودغى انْتمى سِفْرا حَــوى الجــواهر واللؤلــؤ والــدُّرَّا

لكنهــا سِــيَرُ الأُلــى سَــمَواْ قَــدْرا فهـل - أخياه - لـي دعـا يجِـي أجْـرا؟

المؤلف

تمهيد

قد يتساءل البعض عن الجدوى من وراء كتاب يتعب فيه المرء نفسه، ليس يظهر منه سوى الرجوع إلى أحداث منطقة قد ولى زمانها وانقضى عهدها، ويورد فيه من أسماء الفقهاء ما يوجد أمثالهم وأكثر منهم بل وأكبر في غيرها من البقاع، وهل هو إلا سرد أخبار أشبه ما تكون بأخبار المسامرات وأحاديث مجالس الأدب التي كان لها سوقها النافق في عهود سالفة، حيث كان شُداة العلم والأدب والتواريخ يستمتعون ببيت شعر طريف أو حكاية عجيبة أو خبر عن واقعة أو نبإٍ نابغٍ سرت بأحاديثه الركبان ؟! ومَنْ لك بكتاب هذا شأنه في هذا الواقع الذي يكاد ينسي يومُه أمسَه ؟! وألهى المرءَ فيه عن شواغله الخاصة - فضلا عن مثل هذه الكتب - أجهزةٌ اتخذها جليسه وأُنسَه ! لِما يجده فيها من المتعة مما ليس في أخبار قوم ولّوا وأخنى عليهم الدهر! مع كوننا في زمان قل فيه المنصف، وشذ فيه المعترف، حتى ممن ينتسبون إلى هذا الميدان، ولا تكاد ترى فيهم إلا شاردا نائيا أو غامطا متعاليا.

هذا زمان دراهم لا غيرها ... فدع الدفاتر للزمان الفاتر

والجواب عن مثل هذه الهواجس أن هذا صحيح واقع من جهة، ولقد انتابني مثل هذا الشعور في لحظات، وراودني الخاطر بطي هذه الورقات، وكسر المغزل مخافة ألا أجد لغزلي نساجا، وخفت أن أكون كجالب تمر إلى هجر[1] أو كما قال الآخر:

سارت مُشَرِّقةً وسِرتُ مغرِّبًا ... شتان بين مُشَرِّقٍ ومُغرِّبِ

لكن هذا الشعور من جهة أخرى - مهما كان واقعيا أو مبالغا فيه - لا يقدر أن

---

(1) مثل عربي؛ و(هجر) اسم مكان في بلاد الأحساء بالجزيرة العربية مشتهر بوفرة التمور وجودتها؛ ويضرب لمن يعرض بضاعته في مكان لا تنفق فيه لاستغناء الناس عنها بما هو أحسن؛ وهذا الأحسن إنما هو بحسب ما يراه الناس كذلك.

يحجب حقيقة تتجاوز لحظات آنية، وظروفا ثقافية أملتها مرحلة تاريخية محددة، تلك الحقيقة التي تنتصب لتتعالى على الأشخاص والأمكنة والأزمان، ولا تعترف إلا بالمبدإ من حيث هو مبدأ، ولن تعدم أبدا أصحابها مهما قلوا في هذا الزمان أو في زمان لاحق، وتبدو جلية عندما يطوي التاريخ عهودنا وعهود من سبقنا ليسلمنا إلى اللاحقين، فنكون بما قيدناه وحفظناه لهم نافذة يطلون منها علينا في فكرنا وثقافتنا، فيطلون منها في الوقت نفسه على ذواتهم في امتداداتها وتشكلاتها، إنها الحقيقة المتمثلة في حفظ كيان الأمة الذي منه حفظ تاريخها وأعلامها، وتعَرُّف ما جرت به سنن الله تعالى فيهم من الأحوال والتقلبات، وغير ذلك مما هو داخل في العناية بهذا الكيان، فلهذا المعنى كان لا بد من رسالة تخاطب ذلكم الفكر المنتكس وتبث فيه بعض ما يعيد إليه شيئا من رشده وتوازنه، وما هذا الكتاب إلا بعض سطور هذه الرسالة التي ترجو ألا تضيع بين ثنايا أوراق الزمن[1].

هذه هي الحقيقة التي اقتنعت بها منذ زمن طويل، وداخلت كياني وأنا ابن العشرين من العمر، وهي التي حملتني الآن على هذا العمل، فما زلت أذكر تلك اللحظة كأنها حدثُ أمسِ، ساعة أخذتُ بين يدي كتابا لأطالعه أول مرة، لكونه مرجعا من المراجع المعتمدة في مادة من مواد التخصص، أمسكت الكتاب وجذبني منه أول ما جذبني عنوانه (النبوغ المغربي)[2] وأحسست لأول مرة من هذه النسبة بين الاسمين اللذين لطالما تباعدا في ذهني، ولم يكن من الوارد الجمع بينهما، أنني أمام شيء جديد يعرفني بهذا البلد الذي أنتمي إليه من زاوية غير ما اعتَدتُه ومن باب

---

(1) كتبت هذا الكلام ثم قرأت بعدها نفثة من صدر العلامة مولاي الطيب العلوي (ت1964) في كتابه "تاريخ المغرب السياسي في العهد الفرنسي" ص: 70 يبث فيها بعض ما آل إليه حال التعليم الإسلامي والعربية في فترة الاحتلال قائلا: "فلماذا أكتب اليوم؟ ولمن أكتب؟ ولعل كتابي هذا لا يطبع حتى لا يبقى في المغرب من يكتب العربية" لكن الكتاب طبع والحمد لله وأغنى بما تضمنه من معلومات جانبا من تاريخ هذه الفترة، ولذلك مهما احلولك الفضاء فلا أفضل من شمعة يستنير بها أحدهم ولو كان فردا وحيدا.

(2) للعلامة الأديب عبد الله كنون، صدر عام 1938م.

لم ألِجه قبل، وكان من حَسن ما فعلتُ أنني أتيت الكتاب من مدخله، فأخذت أتنقل بين أحاسيس كاتبه وهو يملي دوافعه في تأليفه، وكيف منعت السلطات الاستعمارية تداوله، وتساءلت عندها عن العلاقة بين هذا المنع ومضمون كتاب في الأدب والتاريخ، وماذا يضير الفرنسي في مثل كتاب هذا حاله ؟ فانطلقت أقلب صفحاته منتقلا من عصر إلى عصر، ما بين أحداث وأدب منثور وآخر منظوم، ولم أُرْجعه إلى رفِّه إلا وقد سجلت منه على دفتر خاص بعض ما كان أعجبني، لم يكن ذلك الإحساس الذي انبجس في خاطري أول مرة بما أثاره العنوان وتوَهّجَ بُعَيْدَهُ إلا ما أستطيع الآن أن أسميه بإحساس (الانتماء)، فعرفت حينها وجه المنع وسببه، نعم هو الانتماء بأوسع معانيه، وعلى رأسه هذا الدين الذي أنتج هذه الحضارة وأخرج هذه الثقافة، وتيقّنتُ أن مَنْ لم يعرف تاريخه لم يعرف حاضره ولن يبني مستقبله، والمجتمع الذي يرمي بتاريخه وراء ظهره هو مجتمع فاقد الذاكرة، ولا ثمار تُقْطف من شجرة لا تُرعى جذورها ! فمِنْ يومئذ نشأَتْ عندي ميول في هذا الباب، ليس بفعل الفضول المعرفي وحسب، ولكنها ميول أُساقُ بها من داخلي سَوقاً، فما وقَعتُ على كتاب في هذا السياق إلا طالعت منه ما شاء الله أن أطالع من تاريخ المغرب العام أو المحلي مما كتبه القدامى أو المعاصرون، وأخص بالذكر من كتب التاريخ المحلي ما كتبه المختار السوسي، فلولاه لضاع تراث عظيم ومجد واسع هو الآن جزء من الغنى الثقافي لبادية سوس ولحضارة المغرب عامة، وقد كان رحمه الله مثل صاحبه عبد الله كنون[1] يحدوهما وغيرهما من ذوي الغيرة الثقافية الحادي

(1) هما عالمان، أحدهما فاسي عربي والآخر سوسي أمازيغي، أَلَفَتْ بينهما قيم هذا الدين ووحدت طريقهما مثل حال هذا الشعب منذ قرون، ولعمري هذا من أعظم أسباب القوة لو كنا نعلم، وقد ألمحت إلى هذا المعنى بالجمع بينهما في ضمن أبيات كنت قلتها في التعليم وذكرت فيها شيئا عن حال اللسان العربي وتدريسه، والشاهد منها قولي:

سعى العِداةُ كي يُباد مِثلَما ... بادتْ جَديِسٌ قبْلَ ذَا وَجَزْهُمُ
حتَّى غَدا فِي غُربةٍ في أَهلِهِ ... الإلْفُ نَزْرٌ وَالصُدُودُ هَاجِمُ

=

نفسُه، فكان يرى - وهو يؤرخ لحواضر سوس وبواديها - أن الانطلاقة إنما تكون من التاريخ الخاص، تاريخ المدن والقرى والبوادي لبناء التاريخ العام، فكان يتحرق على إهمال مثل هذه التواريخ، ناعيا على أهل درعة وسجلماسة وغيرهما هذا الإهمال، فكان مما قال رحمه الله: (**في المغرب حواضر وبواد، وتاريخه العلمي العام لا يمكن أن يتكون إلا من التواريخ الخاصة لكل حاضرة من تلك الحواضر، ولكل بادية من تلك البوادي...**)[1] ثم يضيف: (**ويعلم الله أنه لو قدر لي أن أكون ابن تافيلالت أو درعة أو الريف أو جبالة أو الأطلس أو تادلة أو دكالة، لرأيت الواجب علي أن أقوم بمثل هذا العمل نفسه لتلك الناحية التي تنبت نبعتي فيها..**)[2].

وفعلا، ظهر من هذه الأَرومة ثلة أطلقوا أقلامهم لتقييد شوارد تواريخ بلدانهم وتاريخ المغرب عامة، وتطور هذا المسلك في الجامعة المغربية أدوات ومنهجا، وما تزال فيه الأقلام تُبْرَى والأجاويد من الفرسان تتبارى، ونحن نعي جيدا أننا لا نكتب تاريخا بما يعني مفهومه في البحث التاريخي الحديث حتى وإن بدا ذلك في عنوان الكتاب، ولكننا في الحقيقة إنما نهيئ وثيقة من وثائقه سعيا لتحقيق تراكم في مسار هذا المجال الذي نكتب فيه الآن.

=

هــذا (النّبــوغُ) صــار غَبْنــاً عِنــدهمْ   ومـا حـَـوى (معـسولُ) سُـوسٍ عَلْـقَمُ
خَمَــى الفَرنْــسِيُّ لِــسَانَهُ، بِــهِ   يَقْـضي الــذي يَشــاءُ ثُمَّ يُبْـرِمُ

(1) سوس العالمة. ص 7.

(2) نفسه. ص 9.

بيني وبين تودغة

ذلك شجن من أشجان فكري، وهو الذي بعث فيه الحماسة للكتابة في هذا الباب، ومبدأ هذا الأمر أن الله تعالى قدر أن أعود إلى تودغة للاستقرار بها بعد ما يزيد على ثلاثة عقود من مغادرتها، وذلك للعمل في مجلسها العلمي عضوا من أعضائه إثر إنشائه عام 2011م، فلما طاب المقام بين أهلها، وترادفت الأحاديث في المجالس الخاصة التي كانت تجمعني بثلة منهم عن سالف حوادثها ومن تميز من فقهائها، بدا لي أنها واحةُ علم بِكر لم تجد من يُعنى بجمع تراثها والتعريف به، وبادية من تلك البوادي التي تحتاج إلى أن يؤرخ ماضيها السياسي والعلمي، وينقب في ما تبقى من صفحات ذاكرتها والمتخَفِّي، دون أن ندعي أنها ستكون في ذلك كمثل فاس ومراكش وسجلماسة وغيرها من الحواضر أو البوادي الكبرى.. ولكنها في الوقت نفسه بلاد لم تخلُ من حوادث هي بالنسبة إلى أهلها تاريخهم وذاكرتهم، ويحق لكل ذي تاريخ وماض أن يحفظ تاريخه وماضيه ويذكّر به، مهما كان محدودا أو نُظِر إليه من غيرهم بعين عدم الاهتمام أو التجاهل، أو كان الأمر أيضا كذلك حتى عند بعض أهله بحكم الميل الجبلي إلى الاستهانة بمقومات الذات وتجاهل القريب المألوف والنزوع إلى المغاير والمختلف.

وقد كانت شخصية الفقيه الأديب محمد المهدي الناصري[1] أول شخصية شغلتني بما كان لها من صيت ذائع عند العامة من الناس، وحضور لدى بعض المعتنين بالتاريخ، فبدأ يراودني تدوين مؤلَّف عن هذه الشخصية، فلما شرعتُ في ذلك، تجلت لي أمور بدا لي منها أن الأولى صرف الجهد إلى ما هو أوسع، وكتابة كتاب يضم غيره من الأعلام وإن كان طريقه أطول وأشق، فشرعت أبحث في المظان من مطبوع ومخطوط، وأدوِّنُ إفادات ممن اتصلت بهم مما يمكن أن يدخلَ

(1) خصصنا له ترجمة وافية في القسم الثاني الخاص بالتراجم.

في موضوع هذا الكتابِ، حتى إذا أفرغتُ له وقتا وجهدا، جاءت أقدار الله لتقضي بالانتقال إلى مدينة مراكش، فانشغلت هناك لما قدِمتُ من أجله، وطرحت موضوع تودغة جانبا وقد كنت أحسبني لا أعود إليها، لكنّ الله قدر العودة إليها أستاذا غير بعيد عن مركز تودغة، فأتيحت الفرصة لإتمام ماكنت بدأته، حتى إذا تهيأ لي من ذلك ما يصلح أن يخرج إلى القراء شرعت في تصنيفه وتبويبه على الهيئة التي هو بها ماثل الآن بين يديك.

ولقد كان من نتائج هذا البحث أن تغيرت صورة تودغة العلمية عن ما تشكل لدي قبل، فمن واحة غايةُ ما فيها - كما أحسبه ويحسبه كثير غيري - فقهاء من طلبة القرآن ومشارطي المساجد الذين لا يتجاوزون متونا صغرى في تحصيلهم العلمي إلى واحة نشأ فيها ومنها علماء أفذاذ كان لهم أثرهم فيها وفي غيرها من البلاد، وكفى بها نتيجة، وإني لعلى يقين أن كثيرا من قراء هذا الكتاب سيحصل لهم مثل هذا الاستنتاج.

ولا بد لي هنا من وقفة أقول فيها، إن هذا الكتاب كان يمكن أن يكون ضِعف ما هو عليه في كمه ومحتواه، لو أن كل من مَدّتْ إليهم ذاكرةُ تودغة يدَها - ولا أقول يدي أنا - أسعفوا وتَفهّموا، لكن الغريب أن الأكثرين من هؤلاء بعضهم وعدوا وما وَفّوا، وآخرون سوّفوا، وثلة رفضوا وتأففوا، وصِنف ما دَرواْ وما عرفوا![1].

وكأين من أشخاص حادثتهم أو راسلتهم فما رأيت منهم جوابا، ولا تكلفوا رد التحية ولو بالاعتذار أدبا ؟![2] ولولا فضل الله أولا ثم البقية ممن فتح صدره وجاد

(1) هذا من العتب المحمود الذي لا بد منه، كما قال القائل:

ولا بد مِنْ شكوى ولو بِتنفُّسٍ   تُبرِّدُ مِنْ حرِّ الحَشا والترائبِ

فإن العلم وإن لم يقدره صاحبه فلا أقل من ألا يبخل به على طالبه، اللهم إلا أن يكون المعطي يخاف أن يمنحه غير مستحقه فيضيعه، وربما كنا من هؤلاء في نظر بعضهم، وحينئذ لا عتب!

(2) لله در صفي الدين الحلي:

لو فعَلتُم معَ المحبّ صَوابًا   ما جَعَلتُم تَركَ الجَوابِ جَوابَا

=

بالموجود لما كان لتودغة اليوم أن يجمع بعض تاريخها وأعلامها فيوضع بين هاتين الدفتين على نزارته، وإذا لم يصبها وابل فطَلّ، وأول الغيث قطرة ثم ينسكبُ. فإلى هؤلاء جميعا - وبعضهم قد صار إلى رحمة الله[1] - ترسل تودغة سلامها، وستبقى تعترف لهم بالشكر والتقدير والعرفان مدى دهرها ولكل من سار سيرهم الآن وغدا. فهذا كتاب أردناه بإذن الله تعالى أن يكون سجلا بين يدي كل تدغي إذا فتحه مطالعا وجد فيه بعض ذاكرته، وشيئا من أخبار آبائه وأجداده العلماء، فيحصل له من العلم ببلده ما به يفخر، ومن البواعث ما يدفعه إلى أن يحافظ على ذلك الإرث فلا يضيعه، ويسعى كذلك في تجديد معالمه حتى يعود ذلك اليوم الذي تلتئم في جنبات الواحة حلق العلم من شتى فنونه[2].

وأحب أن أنبه في هذا السياق إلى أمور:

الأول: وضعت الكتاب على منهج يراعي مستويات القراء المختلفة، بعيدا عن المنهج الأكاديمي المعهود في مثل هذه البحوث، وذلك رجاء أن يكون مطالَعا من لدن فئات واسعة من القراء.

الثاني: جمعت فيه بين نبذة من التاريخ وتراجم لأعلام ينيف عددهم عن الستين علما، هم من أهل تودغة مولدا ونشأة بعضهم أقام بها حتى ضمته بقاعها، وآخرون استقروا في غيرها من البلدان على عادة كثير من رجالات العلم، أو أنهم ليسوا من

=

ولــو أنــي علمــتُ أنَ علــيكم فيــهِ ثقــلاً لمــا بعثــتُ كتابــا

(1) أكثر هؤلاء ذكرتهم بالاسم أو الصفة في مواضعهم المناسبة من هذا الكتاب، وممن أخص بالذكر منهم هنا: الفقيه (أحمد المنديلي) رحمه الله المتوفى في أوائل ذي الحجة 1438هـ الموافق لأواخر غشت 2017م، فقد كان ممن أفادنا بوثائق، وكنت تمنيت أن أنهي هذا العمل وأهديه إليه، لكن قدر الله سابق. وكذلك الصديق عبد العزيز نويكة الذي أسهم معنا بجهده في قراءة وترجمة النصوص الفرنسية.

(2) هذا ليس محض أماني ولا مجرد أحلام، فما دمنا نعرف ونعترف ألا سبيل للنهضة الحقيقة إلا بالعلم، فأي شيء يمنع من هذا في يوم من الأيام ولو كان بعيدا، في تودغة وفي غيرها.. يكفي أن نقرر بصدق وعزيمة وعمل أن العلم هو المحرك الحقيقي نحو التحول المنشود.

أهلها في الأصل لكنهم نزلوا بها فاتخذوها موطنا ونالوا فيها كريم المطالب وماتوا بها، وأحب البلاد إلى الفتى أرض ينال بها كريم المطلبِ[1]، أو ممن ثوى فيها زمنا حتى سقى أرضها ونمى خيره فيها ثم أخذته الأقدار إلى غيرها من البلدان، فهؤلاء كلهم من أعلام تودغة ومن ساداتها الذين شرفت بهم[2]، وذلك كله ليقيني أن البلاد كما تعرف بالحوادث فإنها تعرف بالرجال وبالعلماء، فهم نخبة المجتمع ومصب ودِيان ثقافتها وقضاياها، فهم حقا كما قيل: (بأهلها تغلو الديار وترخص)[3]، وما سموا أعلاما إلا لظهورهم بين الناس في بلدانهم.

ومــا زيـــن الأرجـــاء إلا رجالهـــا   وإلا فــلا فــضل لِتُــرب علــى تــرب

نعم قد يكون عرْضُنا لهؤلاء الأعلام على نسق الطريقة القديمة، دون توسع في مفهوم (العلم) الذي لا شك تغير بتغير أنماط الثقافة، من نموذج كان الفقيه فيه أبرز ممثلي هذا المفهوم إلى نمط آخر فسح المكان لفئات علمية أخرى، بل تراجع فيه ظهور الفقيه إلى الحد الذي يصعب أحيانا أن يحشر ضمن هذا المفهوم بهذا المعنى الجديد، لكن غايتنا نحن هي أن نحفظ لهذه المنطقة بعض رجالاتها في العلم الشرعي مما تيسر جمعه من أخبارهم ونتدارك ما يمكن تداركه، وإلا فكل حقبة تمضي من الزمان دون الانتباه لمثل هذا التوثيق يفوت بفواته ما يصعب تداركه بعد،

---

(1) قال الشاعر:

وأحـــب الـــبلاد إلـــى الفتـــى   أرض ينـــال بهـــا كـــريم المطلـــب

(2) بعض هؤلاء وقفنا لهم على تراجم قصيرة ونتفا من أخبار إما من مصادر مطبوعة أو مخطوطة، وبعض هذا المخطوط عبارة عن وثائق خاصة حصلنا عليها، وبعض هؤلاء المترجمين قيدناهم انطلاقا من سماعنا أو معرفتنا، ولهذا السبب نكتفي أحيانا بذكر المصدر في المتن دون إحالة في الهوامش.

(3) أصله من شعر لأبي تمام وهو:

يلـــومنني أن بعـــت بـــالرخص منزلـــي   ولـــم يعلمـــوا جـــاراً هنـــاك يـــنغص

فقلـــت لهـــم: بعـــض المـــلام فإنمـــا   بـــجيرانها تغلـــو الـــديار وتـــرخص

ومعه أيضا جزء من التاريخ.

ثم أي شيء أجمل من أن ترى ذكر البلدان مرتبطا بالعلماء من كل الفنون وأن تُعرف بهم، أفليس ذلك من علامات تقدير العلم والرفع من شأنه ومن أمارات عافية المجتمع؟ وانظر إلى عصرنا وواقع مجتمعنا تجد كيف استُبدل بالعلماء والخاصة زعانفُ الناس وحثالتهم فأصبحوا هم الأعلام وسراة المجتمع الذين يقام لهم ويقعد، والآخرون لا يكادون يذكرون!

وليعلم القارئ أن هذا العمل إنما هو بعض واجبنا نحو هذه البلاد وحق من حقوق رجالها علينا، ولو انصف أهل هذا الزمان ممن لقيناهم، وعرفوا هذا المقصد مما قد أشرنا إليه سابقا، لكان الأمر أفضل مما هو عليه الآن، فهل أنت بحاجة أن أذكرك إلى أن هؤلاء الذين ذكرناهم من الأعلام[1] - وقد تركنا أكثرهم - إليهم بعد الله تعالى يرجع الفضل في حفظ الدين بين الناس وحفظ كتاب الله تعالى ينقلونه جيلا بعد جيل حتى أدركَنا في هذه الأزمنة بين الوهاد والفجاج! وتصور نضوب

---

(1) تنوعت طرق التصنيف في التراجم ومناهجها بحسب مقاصد المؤلفين فيها، حتى قال العباس ابن إبراهيم السملالي التعارجي: "اعلم أن الإمام ابن حجر العسقلاني يذكر في تاريخه "إنباء الغمر" كل حادثة كيف كانت قبيحة أو حسنة، وفي الأعيان يذكر كل أحد كانت له خصلة من الخصال ولو إمارة عشرة أو تدريس ألفية أو إنشاء بيت من النظم... وقد أرخ حتى لوفاة أولاده وأولادهم ومواليدهم ومواليهم؟ وإن لم يكن لبعضهم شيء.فما بال مغاربتنا لا ينحون هذا المنحى وإنما يقتصرون على من سارت بمآثره الركبان، ، ولا يذكرون كل أحد، وإنما ذلك من ترفعهم وحصر الفضيلة في مشاهيرهم ورؤسائهم هكذا الإنصاف! فرحم الله المشارقة، ووفق أهل مغربنا للاقتداء بهذه الطريقة. بل الحافظ ابن حجرترجم في تاريخه لبعض القينات (الجواري المغنيات)، ولو ذكر هذا لأهل قطرنا لألّبوا على فاعله ونسبوه لكل قبيح. وكذلك الحافظ السيوطي في "بغية الوعاة"، ربما عرّف بمن لا يعرف إلا الألفية.وقد نحا السيد مرتضى هذا المنحى في معجمه فذكر كل أحد لقيه أو كتب عنه أو سمع منه أو ناله منه فضل ولو تاجرًا. "الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام : 1/ 191.

الواحة أو أي مكان من أمثال هؤلاء، بأي شيء سيملأ فراغهم؟! وكيف ستكون عليه حال تلك الديار ؟ والجواب غير بعيد لمن تأمل أحوال المجتمع، فلولا أن الله قيضهم للبلاد لإحياء العباد لكان الحال على غير ما هو عليه، فإن الأرض لا تخضر ولا تزدهي إلا بالغيث النافع، فهم غيث العباد كما أن المطر غيث الجبال والوهاد.

ولستَ بحاجة أن أذكرك أيضا بما صنع الأسلاف في هذا الباب - أقصد تدوين سير العلماء وحفظ تواريخهم - حتى عُدّ هذا الشأن من خصائص هذه الأمة، فلا ترى عالِما معتبرا كيفما كان نبوغه في تخصص إلا وله نوع اطلاع على مثل هذا الذي نحن فيه، مقلا أو مكثرا، وهذه المصنفات على اختلاف أحجامها وامتداد أزمانها أكبر شاهد على ما نقول، ويكفيني في هذا المقام أن أذكر قول الإمام النووي رحمه الله بعد ذكره ما لمعرفة الرجال في أحوالهم وأقوالهم ومراتبهم من فوائد، حيث قال عن هذا الأمر: إنه (**... من المطلوبات المهمات، والنفائس الجليلات، التي ينبغي للمتفقه والفقيه معرفتها، وتقبح به جهالتها، فإن شيوخه في العلم آباء في الدين، وصلة بينه وبين رب العالمين، وكيف لا يقبح جهل الأنساب والوصلة بينه وبين ربه الكريم الوهاب، مع أنه مأمور بالدعاء لهم، وبرهم، وذكر مآثرهم، والثناء عليهم، وشكرهم..**)[1] وقول ابن عبد البر رحمه الله من قبله عند شرحه لحديث من أحاديث رسول الله ﷺ: (**وفي حديث هذا الباب من الفقه والعلم أيضا، ما يدل على أن معرفة السير وأيام الإسلام وتواريخ أعمال الأنبياء والعلماء والوقوف على وفاتهم، من علم خاصة أهل العلم، وأنه مما لا ينبغي لمن وسم نفسه بالعلم جهل ذلك، وأنه مما يلزمه من العلم العناية به**)[2].

الثالث: كنت راغبا في أن أضع فصلا خاصا يظهر عادات أهل الواحة وتقاليدهم في أفراحهم وأتراحهم، ونماذج من أقوالهم المأثورة المتداولة بينهم وأُورد أشخاصا حفظتهم الذاكرة وما به حصل لهم الحفظ، وأضم إلى هذا كله تعريفا بأشهر قصورها من أعلاها إلى أسفلها، ونبذة عن مساجدها وأوقافها وما أشبه ذلك، لكن

---

(1) تهذيب الأسماء واللغات: 1/18. 17.

(2) الاستذكار: 3/ 54.

موانع شتى حالت دون الغاية، فاكتفيت بما تراه، على أن هذا العمل ألقيه بين يدي أبناء تودغة وإن كان قد كتب فيه ما كتب، لكنه قليل لا يغني، إذ المقصود جمع متفرقه وتكميل ناقصه وضمه في سِفر واحد حتى تبدو صورة الواحة من هذه الناحية صورة إذا رآها الناظر ممن لم يأبهْ قبلُ بها - من أهلها أو من غيرهم - بدت له تودغة في عمقها الحضاري، بعد أن نظر إلى زواياها وخباياها التي لا تظهر في الغالب لجل الناظرين، فعرف أن وراء تلك الجبال الشاهقة وأشجار النخيل السامقة والمياه الرائقة إنسانا اتصل بهاتيك الجبال والأشجار والمياه منذ زمن قديم فأنتج ما هو أغلى وأسمى مما تُدره هذه الطبيعة الموهوبة الآن على أهلها!

وفي الأخير أنبه إلى أن مادة هذا الكتاب مفتوحة للإغناء تصحيحا أو إضافة، واللاحق متم للسابق، فهذا الكتاب جهد المقل، وبضاعة من قلت حيلته، وضاقت السبل لإخراجه أبهى من هذا وأحلى، وعذري فيه أنني:

على قدر الرِّداء مددتُ رجلي ولو طال الرداء لها لمُدّتِ

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تحية إلى تودغة

هذه أبيات أحببت أن أضعها بين يدي فصول الكتاب، كنت حييت بها تودغة وأهلها، وخاصة بعض الجلاس من أهل الود والإيناس، وذلك عند مغادرة تودغة إلى مراكش، وزدت عليها أبياتا بعد الرجوع إليها تعرف من سياقها، فليقبلها مني القارئ التدغي تحية أدبية:

يا حاديَ القلب مهلا أنت في عَجَلِ ... إنّ فـراق أحبتـي مِـنَ العِلـلِ

أجبتُ داعيَ النوى ولي مآربُ ما ... قضّيتُها في رياض العلم والعملِ

مَنْ ذاق بعض الذي عندهمُ رَشَفاً ... لم يرضَ إلّا بفيض العَلِّ والنَّهَلِ

بيني وبينهم في ودهمُ سببُ ... حِيك بنسجٍ يَديْ داعٍ ومُبتهِلِ

وليس أهلي عَمَلّس وسِيدُ الغضا ... لكنْ ذَوُوا الإلف يُسعفون بالأمَلِ

فليت شعري ودنيانا مفرقةٌ ... هل يرجع الأُنسُ بَعد البُعدِ والحِوَلِ؟

وهل تصير أحاديثهمُ أثَراً ... أو ذكرياتِ صدى أيّامِنا الأُوَلِ

بالله يا نخلَ هاتيك الرُّبى أسَلَو ... تِ عنْ فتى ما سلا عنْ وارفِ الظُّلَلِ؟!

هيهات أنْسى الألى أرواحنا سُقِيَتْ ... مِنْ راح أرواحهم ألذَّ مِنْ عَسلِ

همُ الكِرامُ وكلُّ الخير عندهمُ ... (سحبانُ) إذا استُنطِقَ فيهم لم يَقُلِ

دع المقادير تمضي بخطى القلم ... فكل أمر جرى في الكون بالأجل

ألقيت رحلي بتنغير ثلاث حجج ... والناس فيها كمثل السهل والجبل

قضى الإله بها رزقا سعيت له ... لما بلغت المدى آذن بالرحَل

لطائف الأنس في أقداره طُويت ... ولن ترى في اختيار الله مِن خلل

قد كنت أحسبني بالبيْن مضطلعا ... حتى أتى الوصل - عَمرك - بلا حيل

يوم تضاعفت النعماء فيه لنا ... فصار عيدا عليه نشوة الثمَل

يوم جرى بالذي لم يجر في خلدي وفوق ما كان في ظني وفي أملي
يا أهل تنغير طبتم فطاب بكم أنس يدوم وظل غير منتقل
أرض ككل البلاد غير أن لها في البيض والصفر صيتا مضرب المثل
أبناء مازيغ فيهم الإباء بدا ومن يزغ يستقم بالبيض والأسل
سقى الإله منازلا بها قطنوا بعارض مِلؤه الوفاء في الأزل
يا من غدا يسأل التاريخ عن عَلَم كان بها مرشدا يهدي من الزلل
سافر وعرِّج على الأسفار من قِدم إن رمت أخبارهم وسِر على مَهل
جُذيلها (الناصري) (ناعتُ المُتغط رس ابن بيان والفِسِيس ذي الخطل)
في ثبت أشياخه أعلام فاس وهم في العلم لو رمتهم عنقاء في جبل
ولاؤه (للكلاوي) كان مجتهدا فيه دع السوء لا تكثر من العذل
وجده الشيخ (إسماعيل) وافدها كمثل مسك شذاه عمَّ في الحُلل
(محمد بن يزيد) في البيوع له (نظم السراج) وشرحه بلا خلل
وفي النكاح وما فيه من الأدبِ أتاك (نظم ابن صالح) بكل جلي
كذا (الحبيان) في الحارة دارهما قد شاع ذكرهما فخرا بلا جدل
منهم بـ (أم الزوايا) عصبة سطعت أنوارهم في الخبايا كسنَى الشّعُل
ففي (الفهارس) شيخ قد روى عُمَرا يدعى (أبا حسن) طالع بلا كلل
ذو السَّعد صِهر (ابن ناصر) له حِلق في العلم (عبد الكريم أبوه علي)
أولئك القوم علمُهم به شرُفت تدغى، فأكرم بهم من سادة نُبُل
إن رُمت ذِكرا مخلدا مدى الحِقبِ فدونك العلم يا أخي بلا بدل
يا قارئ النظم عنت لي سوانحُه دع فرْكه إنما قيل على عجَل



تودغة في مسرح الأحداث..

- ✓ لمحة عن ساكنتها
- ✓ التعرف على الإسلام
- ✓ تحت حكم إمارات إسلامية
- ✓ من المرابطين إلى السعديين
- ✓ تحت حكم العلويين
- ✓ في معترك الاحتلال ومقاومته

تودغة في مسرح الأحداث..

ليس يخفى عليك أن المجتمعات الواحية الكبرى هي مجتمعات ذات امتداد في أعماق التاريخ، نعم، تتفاوت فيما بينها في ذلك، كما تتفاوت أيضا في مدى حضورها في سجلاته ووثائقه، ومن حظ بلاد تودغة - باعتبار موقعها الجغرافي المحاذي لسجلماسة إحدى كبريات البقاع المغربية المؤثرة في صنع أحداث تاريخه، وأيضا بما اكتنزته أرضها من ثروة معدنية - أن خلد التاريخ اسمها، حتى وإن كان ذلك مجرد إشارات وومضات عبر مراحله، لكنها في عرف صفحات التاريخ الممتد امتداده السحيق لا تخلو من دلالة، ليس أقلها حصول المعرفة بوجود الكيان على أرض الواقع، بما ينطوي عليه كل كيان من تفاعلات ثقافية واجتماعية واقتصادية وسياسية... فهذا الاعتراف من التاريخ - إن صحت العبارة - هو بشكل آخر حضور في صفحاته، وإن حال بيننا وبين أدوار هذا الحضور ومجرياته سِجاف انعدام التوثيق والتسجيل، وهو في النهاية سجاف أرخى سدوله على كثير من البقاع وساكنيها حتى طوى التاريخ ذكرهم بالمرة. وما التاريخ المتناقل بين البشر إلا كمثل أمواج اليمّ المتراكمة يراها الرائي فينسى أن تحتها أعماقا من العوالم الزاخرة بألوان الحياة..

وإذا كانت الوثيقة بشتى أنواعها هي لسان التاريخ، فإن من البداهة أن لا ينطق إلا بقدر ما بين ناظريه من تلك الوثائق، وعليه فاستنطاقنا له للحديث عن تودغة إنما هو بقدر ما وصلنا من تلك الوثائق، وما أشح ما وصلنا منها!! ومع شحها فمَنْ لها ليظهر مَخفيَّها[1] ويجمع متناثرها ويصنف متداخلها ثم يحللها؟ وحسبنا نحن في هذا المقام أن نضع بين يدي القارئ نبذة عامة عن هذه الواحة في ساكنتها وفي أحداث كانت الواحة مكانا لها أو يرجح أنها كذلك، مما تيسر الاطلاع عليه من سفر تاريخ المغرب الأقصى.

(1) إشارة إلى ما هو منها في حكم الموجود، لكنه من خبايا الممتلكات وفي الخزائن والأرشيفات.

1- لمحة عن ساكنتها

جرت العادة في مثل هذه المقامات، أن يكون من مقدماته الحديث عن المجموعات البشرية من حيث مجالها الجغرافي[1] وانتماؤها وأنشطتها الاجتماعية والاقتصادية وما إلى ذلك، غير أننا لن نتتبع ذلك كله، وبحسبنا أن نقف عند ما نراه يغني الكتاب ويفيد القارئ فيما نقصده، وهو ما يتعلق بالانتماء وأصول الساكنة، ولا شك أنه أمر تكتنفه مزالق ومخاطر، فيكفي أن نعرف أن الأصول منها ما هو قريب، ومنها ما هو بعيد، وكلاهما لا يَسلمان من تلك المخاطر، ليس أقلها الجزم بنسبة هذه المجموعة أو تلك لهذا الأصل دون ذاك، فضلا عن أن كل قول في ذلك ينبني على تصور عام قد تعوزه كثير من التفاصيل المتعلقة بحقيقة هذه المجموعات البشرية ومكوناتها على التفصيل، إلا أن ذلك لا يحول دون معرفة ارتباط مجموعة بشرية معينة بمجال جغرافي معين حتى ترتبط النسبة بينهما - أحيانا - ارتباطا يكون فيه عَلَمُ هذه المجموعة أو تلك من اسم المكان الذي استقرت فيه أو العكس كما الشأن بالنسبة إلى تودغة، وهو في حد ذاته أمر مهم، خاصة حين تغيب المعطيات الدقيقة، وتنفتح الأبواب للتخمينات والتأويلات، فلا يبقى في بعض الأحيان إلا الانطلاق من ذلك الالتقاء بين الإنسان والأرض في لحظة تاريخية ما، وجعله مَعْلَما من المعالم المميزة لكيان بشري ما، سواء استمر بقاؤه على هذه الأرض أو انتشر منها بعد ذلك أو تمازج مع غيره، بناء على تلك العلاقة الخاصة والتفاعلية الأزلية بين الإنسان والأرض.

وإذا كان النسابون قد اجتهدوا قديما في معرفة أنساب القبائل مع قرب العهد

---

(1) نكتفي في هذا بالتنبيه إلى أن المجال الجغرافي لتودغة الممتد عبر الواحة، ربما توسع مفهومه عند بعضهم ليشمل بعض نواحيها، كما عند الضابط الفرنسي (بوربير)؛ وقد يعتبر هذا المجال ضمن مجال أوسع كما في كثير من الكتابات التاريخية التي تدخله ضمن إقليم سجلماسة أو تحت أسماء جغرافية أخرى.

بتلك المجموعات وتكونها واستقرارها، فإن ذلك لم يُخْلِ بعضها من تقديرات وترجيحات أدت إلى التباين والاضطراب في عدد من تلك الأنساب لأسباب مختلفة، ثم إن الأمر يزداد صعوبة وتعقيدا كلما طال الزمان وناء بكلكله على التجمعات الإنسانية، بفعل التداخل والتمازج، أو التفرع والتشتت الحاصلين نتيجة ظروف متعددة، وهو ما يستدعي من النسابين محاولة معرفة المتداخل وتمييزه، وإلحاق الفروع بأصولها، ولا يستغنون في كثير من ذلك عن تتبع حركة الانتشار في البقاع القريبة أو البعيدة.

ولما كانت الأنساب جارية على هذا السبيل، عُنِيت كثير من الأمم والشعوب بحفظ أنسابها ونقله جيلا عن جيل. ولم يسلم ذلك أيضا من ضياع بعضها مع تقادم العهود أو اختلاطها، فلم يبق بعد ذلك إلا نقل ما حفظ، والاجتهاد قدر الإمكان في تصفية ما اختلط.

وهكذا، ففي بلاد تودغة - وهي مثال لما ذكرنا - ليس لنا سوى الرجوع إلى ما ورد في بعض كتب الأنساب وبعض الدراسات، نقتطف منها الإشارات، علنا نعطي صورة عامة عن ساكنتها وفق ما سبق بيانه، فمن ذلك ما أشار إليه أبو بكر بن علي الصنهاجي الشهير بالبيذق[1]، ولعلها أقدم إشارة صريحة في هذا الصدد تعرفنا بتجمع سكاني محدد نوعا ما في تودغة خلال فترة تاريخية محددة، وتَرجع بنا هذه الرواية إلى أواخر القرن الخامس الهجري وأوائل القرن السادس الهجري إبان نشوء دولة الموحدين، ومن الوارد جدا أن تكون هذه التجمعات قد استقرت في الواحة قبل هذه الفترة بعهود، والبيذق إنما ذكر ما كان عليه الحال في عهده.

يرجع البيذق سكان الواحة إلى جِذْم صنهاجة القاطنين بالقبلة وهو البسيط المقابل لصنهاجة الظل، ومعلوم لدى النسابين العرب الذين نقلوا عن النسابين الأمازيغ أن صنهاجة المعروفين في الاستعمال بـ (زناكة) من فرع البَرانِس أحد فرعي الأمازيغ الكبيرين، بينما يعتقد آخرون أن صنهاجة ليسوا من البربر، بل من العرب

---

(1) المقتبس من الأنساب: 54/ 55.

اليمانية، ولم يرتضه ابن خلدون وابن حزم، وفي المقابل قول لعبد السلام القادري في: (التحفة القادرية)، يرجع فيه أهل تودغة إلى جذم المصادمة لا إلى صنهاجة، فإنه لما ذكر البرانس جعل منهم جذم **المصادمة** وذكر من قبائلهم تودغة[1]، ولم نقف على مستنده في ذلك إذ هو من المتأخرين وناقل فحسب، على أن المصامدة هم أقحاح الأمازيغ، فهو كلام محتمل، باعتبار ما ذكره ابن خلدون وغيره من كون المصامدة أكثرهم من ساكني الجبال، ولهم امتداد إلى هذه النواحي، ثم إن المصامدة وصنهاجة متجاورتان تبدأ الأولى عند مساكن الأخيرة من جهة السفوح الجنوبية للأطلس، فيكون الاختلاف في نسبة أهل تودغة إلى صنهاجة أو مصمودة سببه وقوعهما في المجال المشترك بين الجذمين.

وقد حدد البيذق تجمعا بشريا كبيرا يمتد عبر مجال جغرافي واسع تنتمي إليه قبائل تودغة يسمى (آيت تيارات)، وذكر أن منه تجمعات هي: (آيت تدغت) و(آيت سنان) و(آيت ازدك)، وضم إليهم كذلك مجموعات بشرية أخرى مختلفة، كأهل غريس وفركلة وإملوان وغيرهم، ولسنا ندري أصل هذه النسبة وسببها إلا ما يتعلق بمعنى الكلمة في اللسان البربري، وهو (اللبؤة) أنثى الأسد، ويقال أيضا (تيهرت) و(تاهرت)، وربما يكون هذا التجمع نوعا من التحالف أطلق عليه هذا الاسم، وقد يكون مجرد اسم يدل على قبائل متفرقة يجمعها مجال جغرافي واحد، كما جرت العادة في مثل ذلك بإطلاق اسم على مناطق واسعة تجمعها خصائص جغرافية متقاربة فتدخل القبائل الساكنة فيه تبعا لذلك، وفي القطر الجزائري مدينة عرفت قديما بهذا الاسم وإلى اليوم، ولم أجد ما يمكن أن يدل على علاقة بينها وبين الاسم المذكور.

ولا شك أن التجمعات المذكورة: (آيت تدغت) و(آيت سنان) و(آيت ازدك)، ليست بدورها سوى أسماء ساكنة بشرية مختلفة المشارب، إذ لا دليل على أنها جميعا ترجع بأفرادها إلى أصل صنهاجة المذكور، وإنما نسبت إليه باعتبار الغالب

---

(1) تاريخ ابن خلدون: 6 / 128. التحفة القادرية في التعريف بشرفاء أهل وزان: ورقة، 470.

والأكثر، يدل على هذا رجحان استيطان فئات من العنصر اليهودي منذ وقت قديم قبل هذا التاريخ، خصوصا حين كانت سجلماسة مركزا تجاريا كبيرا تقع تودغة في طريق إحدى أهم محاوره، ولقد دلت كثير من المصادر والدراسات على نزوعهم للاستقرار في حواف الطرق التجارية ونشاطهم الكبير في الحركة التجارية في هذه المناطق، كما أنهم عرفوا بارتباطهم التاريخي بالصناعة المعدنية والنقدية وهو ما كانت تودغة سوقا كبيرة له بما توافر لها من معدن الفضة، ولقد أشارت بعض تلك الدراسات إلى انتشار اليهود في واحات الجنوب المغربي في فترة ما قبل الإسلام على عهد الفينيقيين فيما يسمى بالهجرة الثانية لهم وثالثة على عهد الرومان، وتأثيرهم الديني على بعض القبائل الأمازيغية فتهود كثير منها[1]، مما يعني إمكان أن تكون بعض العناصر اليهودية المتحدث عنها ذات أصول أمازيغية؛ كما أن من العنصر اليهودي أيضا من تحول إلى الإسلام.

ثم إن قبائل (آيت تدغت) أحد أقسام سكان الواحة ربما كانوا أقدم استيطانا من القسمين الآخرين (آيت سنان وآيت ازدك) انطلاقا من شهرة الواحة بهم وتسميتها باسمهم، وهنا أقول إنه لا مبرر ولا معنى لما يردده بعضهم عن أصل معنى (تودغة) - جريا على العادة في تفسير كثير من الأعلام الجغرافية - من كونها اسم ملكة حُوِّر اسمها بعد ذلك حتى انتهى بها النطق إلى ما هو متداول، وقد قيل في أصل تلك التسمية أيضا (تدرت) التي تعني الحياة ثم حور نطقها هي الأخرى حتى انتهت إلى ما هو معروف متداول، وقد ذكر الرحالة الفرنسي ماركيز دو سيكونزاك أسطورة عن قبائل (آيت مساط) رواها عن بعض الحنصاليين، مفادها أن (آيت اسحا) المنتمين لهذا القبيل جدهم المسمى (اسحا) هو من أب عربي وأم مسيحية تدعى (قشتالو) من أب مسيحي، ولها أخت تسمى (تودغة) منها تفرع أهل تودغة[2]، وكل ذلك لا نملك عليه قرائن، فهو أقرب إلى التخمين والرجم.

---

(1) اليهود في بلاد المغرب: 24 - 25.

(2) Au coeur de l'Atlas, mission au Maroc, 1904 - 1905. p: 501.

وأما بالنسبة إلى (آيت سنان)، فإننا نرجح أن أصولهم عربية، باعتبار أصالة اسم (سِنان) في العربية، دونما حاجة إلى إعادة صياغة، واستعمالُه فيها علما من أعلام الأشخاص المُذَكَّرِين تسمى به العرب قديما قبل الإسلام وبعده معروف مشهور، فـ (آيت سنان) تعني النسبة إلى (سِنان) كما هو معلوم، فتكون نسبتهم بذلك إلى رجل يدعى (سِنان) من العرب تمَزَّغت ذريته بعد ذلك بفعل الجوار المؤثر، يؤكده رجحان دخول العنصر العربي إلى الواحة واستقراره بها منذ موجات الفتوح الإسلامية وما تلاها من امتداد للعنصر العربي في المنطقة عامة كما ستراه لاحقا. وأما من زعم أن (سنان) أصلها (سِين) الأمازيغية التي تعني العدد: اثنين، ثم استنتج من ذلك أنهم ثاني من سكن الواحة فهو من التمحّل الذي تفسر به بعض الأسماء، وألحقوا بهذا التفسير أيضا اسم قصر (أمْزَاوْرُو) وجعلوا أصله من (أَمْزْوَارُو) الذي يعني في اللسان الأمازيغي: الأول، فأخذوا منه أنه أول ما بُني وعُمِّر في الواحة، ثم تلاه (آيت سنان) باعتبار معناه المذكور، وهذا بعيد مثل الأول، (فأمْزَاوْرُو) ماتزال تستعمل في اللسان الأمازيغي من غير حاجة إلى إعادة صياغة بمعنى المكان الفسيح، وهو ما ينطبق على هذا الموقع المسمى بهذا وبه يتميز عن أعالي الواحة، وما فسرنا به هذه الأسماء أولى، لوجود ما يعضه في اللسان ووقائع التاريخ، بخلاف التفسير الأول، وكل ذلك يدعم ما أشرنا إليه في البداية من فرضية قدم استقرار عناصر بشرية مختلفة في الواحة، وإن كان الثابت كون العنصر الأمازيغي أقدم هذه العناصر.

وأما (آيت ازدك) فقد قيل سموا بذلك نسبة إلى (ازدك) التي تعني الصفاء والنقاء[1]، وسبب نسبتهم إلى ذلك غير معروف، وقد أشار العلامة المهدي الناصري

---

(1) في العربية: الزَّدْقُ بمعنى الصِدق، وقالوا: خير القول أزْدقُه. (لسان العرب: مادة زدق) ولا شك أن الصادق صفا في معاملته ولم يُشبها بما يكدرها من شوائب التصرفات. هذه إشارة لغوية فحسب، ولا يمكن أن نبني عليها استنتاجا بخصوص الانتماء كالذي سبقه لوجود اختلاف بارز بينهما.

إلى أن كل قبيلة ممن ينتسب إلى (ازدك) لم يتصل نسبها بسكان تودغة فليست من صميمهم، تقرر ذلك لديهم محفوظ عند صغيرهم وكبيرهم، وهو كلام صحيح بالنظر إلى قدم هذا القبيل في الواحة كما أشرنا إلى ذلك تعقيبا على كلام البيذق، وهذا القبيل تفرقت فروع منه منذ زمن عن موطنهم الأول تودغة إلى مناطق (زيز) و(كير) و(ملوية العليا) من جبال (آيت حديدو) إلى (الاقصابي)، وهي الداخلة الآن في إقليمي الراشيدية وميدلت، وبقيت فروع أخرى في موطنها الأصلي. وهم ينقسمون - حسب المهدي الناصري - إلى ثلاثة أقسام: (آيت مومو) و(آيت فركان) و(آيت الثلث). وينقسم القسمان الأولان إلى ثلاثة أقسام. والثالث إلى قسمين فقط[1].

وأما بداية تفرقهم عن تودغة ونزولهم بـ (زيز) فقد كان إثر حملة السلطان المولى إسماعيل على قبائل (فازار) الواقعة في الأطلس المتوسط، أغار عليهم قائده علي بن يشي بعد أن كون جيشا ضم قبائل مختلفة منهم أهل تودغة سنة (1104هـ/ 1693م)، ثم توجه علي بن يشي بأمر من السلطان إلى قبائل (كروان) بوادي زيز فقتل منهم ما يزيد على اثني عشر ألف رجل لعيثهم في الأرض ونهبهم الطرقات، جيء برؤوسهم إلى السلطان كما ذكر صاحب (الاستقصا)[2]، وقد انخرطت قبائل (ازدك) بعد ذلك في حلف سمي (آيت يفلمان) مع قبائل أخرى، نشأ لمناهضة تمدد (آيت عطا) وسيطرتهم في النواحي. وأشار **ريني ديسيكنزاك** إلى انضمام أهل تودغة إلى هذا الحلف أيضا إضافة إلى (آيت ازدك) المنتشرين خارج واحة تودغة، مما يدل على استمرار الروابط بين القبيلين رغم تفرق البلدان[3].

وفي الواحة قبائل مازالت تحتفظ بأسماء أمازيغية مذكورة في أنساب البربر كـ (آيت أجانا)، وهذا الاسم (جانا) يذكر عند النسابين في شعب من شعوب

---

(1) أشار (ريني ديسيكنزاك) إلى بعض هذه الأفخاد وأماكن انتشارهم في فترة رحلته:
voyages au de maroc: (1899 - 1901) p: 298 - 299.

(2) 7/ 79. 78.

(3) voyages au de maroc: (1899 - 1901) p: 298 - 299.

(ضريسة) يرجع إلى الأصل الثاني للأمازيغ الذي هو البَتر، وأصله (زانا) التي صارت بعد ذلك زناتة، وكذلك (تاريتان) فقد ذكر ابن حوقل (واريتن) من قبائل زناتة[1]. وفيه إشارة لعراقة هذه القبائل في انتمائها إلى الأصول الأمازيغية، سواء من جهة احتفاظها بهذه الأسماء الأمازيغية التي قد تستعمل بصفتها أعلاما أمازيغية وحسب، أو من جهة احتمال أن تكون راجعة فعلا إلى زناتة من البتر، فقد امتد الزناتيون أيضا في فترات متقدمة إلى هذه المناطق، فمنهم قبائل (سدراتة) القاطنة بدادس، ومنهم (بنو مدرار) الذين أسسوا دولتهم وحكموا المنطقة منذ القرن الثاني الهجري، ومنهم الموحدون والمرينيون[2]. ونحن نميل إلى هذا المعطى الأخير، نظرا لهذا الامتداد الذي عرفته زناتة في المنطقة، ويؤكده أيضا ما هو معروف في سياسة الإمارات والدول في تدعيم سلطتها عبر مضايقة القبائل وتضعيفها بإدخال عناصر من انتمائها أو مواليه، وقد أورد ابن أبي زرع عن المرينين حرصهم على ذلك، وهم زناتيون كما سبق ذكره[3].

ولا يمكننا أن نغفل عنصر الحراطين، الذي نزعم أيضا أنه استوطن الواحة منذ القديم، تزامنا مع العناصر السابقة في فترات استقرارها، نظرا لموقع تودغة المحاذي للصحراء وجنوبها ولنوع الأعمال التي اشتهروا بمزاولتها. وقد ذهب بعض الباحثين إلى انتشار هذا العنصر في المناطق الممتدة بين درعة وسجلماسة ودادس في فترة ترجع إلى ما قبل الإسلام[4].

وأما المرابطون والشرفاء فإنهم في الواقع ليسوا عنصرا بشريا مستقلا، كما يظن البعض حين يمزج بينهم وبين غيرهم من العناصر البشرية، بل هم امتداد للتوجه الديني المرتبط بالصلاح والولاية، وإذا كان المرابط يمكن أن ينحدر نسبه من بين مختلف

(1) صورة الأرض: 1 / 106.

(2) قبائل المغرب: 1 / 323.

(3) الذخيرة السنية: 65.

(4) هو الباحث كاتفوسي (gattefose). المجتمع المغربي خلال القرن التاسع عشر: 57.

العناصر البشرية الإسلامية القاطنة في الواحة أو الطارئة، فإن ما يميز الشرفاء هو انتماؤهم إلى السلالة النبوية، فهم بهذا عنصر عربي صريح. على أن ظهور المرابطين بالواحة لا يمكن تحديده انطلاقا من دلالة الاسم المقترنة بمفهوم الرباطات وتاريخ ظهورها في المغرب، وهو عهد يعود إلى فترة الفتوحات الإسلامية، ولكن من طرق أخرى، لعل أهما معرفة تواريخ مشاهير الأولياء والصالحين ومن انتسب إليهم بهذا الاسم، كما استقرت عليه دلالة هذا الاسم في القرون الأخيرة.

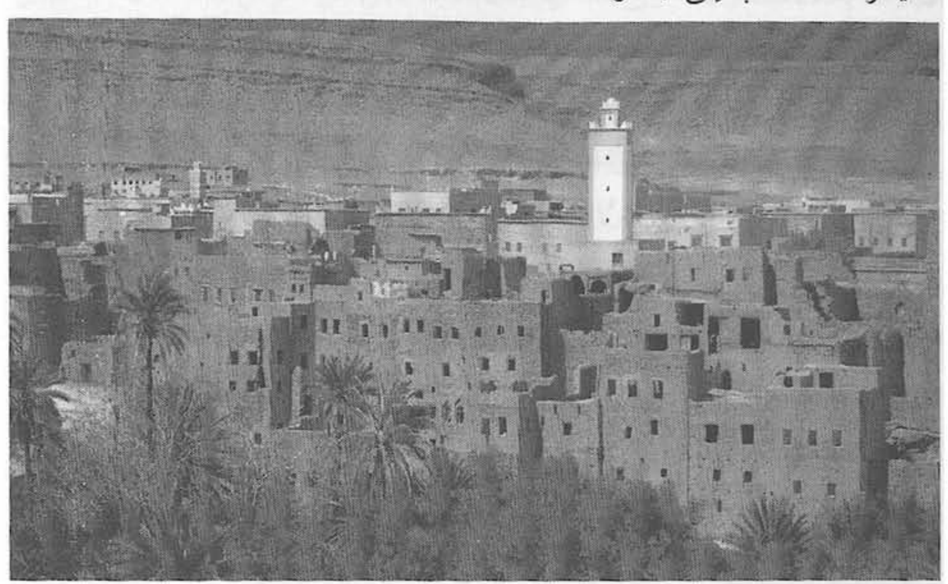
ثم توالت التحركات البشرية على الواحة، وأشهرها استقرار بعض قبائل اتحادية (آيت عطا) بأسافلها ونواحيها، وذلك في مراحل متأخرة ترجع بداياتها إلى القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي، بعدما استطاعوا بحكم غلبتهم وسطوتهم فرض وجودهم في المناطق الممتدة من تافيلالت إلى درعة، فامتد هذا الوجود إلى منطقة تودغة باعتبار موقعها المهم في الطرق بين هذه النواحي، أو بسبب النزوح الاضطراري إلى تودغة وإلى غيرها بعد ذلك من واحة غريس إثر انهزامهم في معركة تلوين الشهيرة سنة (1299هـ/ 1883م) على يد قبائل آيت مرغاد، وقد ذكر الطبيب الفرنسي (ليناريس) إبان مصاحبته للسلطان الحسن الأول عند وصول حركته إلى تودغة أن استقرار آيت عطا بتودغة كان في البداية عبر شراء أراض وبناء قصورهم عليها، ثم بعد ذلك استطاعوا الاستيلاء على قصور أخرى إثر معارك تغلبوا فيها[1]. وقد يكون من بين أدوارهم خلال هذا الاستقرار الدخول في نوع من التحالفات مع بعض قبائل تودغة من أجل حماية الطرق وصد المناوئين.

هذا ما أمكننا الوقوف عليه، ولا شك أن القارئ لا يخفى عليه أن هذا الذي قدمناه إنما هو معالم عبر مراحل زمنية ممتدة، تخفي وراءها أشكالا من التحركات البشرية عبر الزمن استقبالا وارتحالا، ستؤثر دوما على البنية البشرية المشكلة للواحة، وقد رأينا بعض نماذج ذلك، بينما تبقى النماذج الصغرى المشكلة لبنية القبيلة الواحدة ولجماعة القصر مجالا أوسع أغنى التنوع البشري في الواحة، وهو

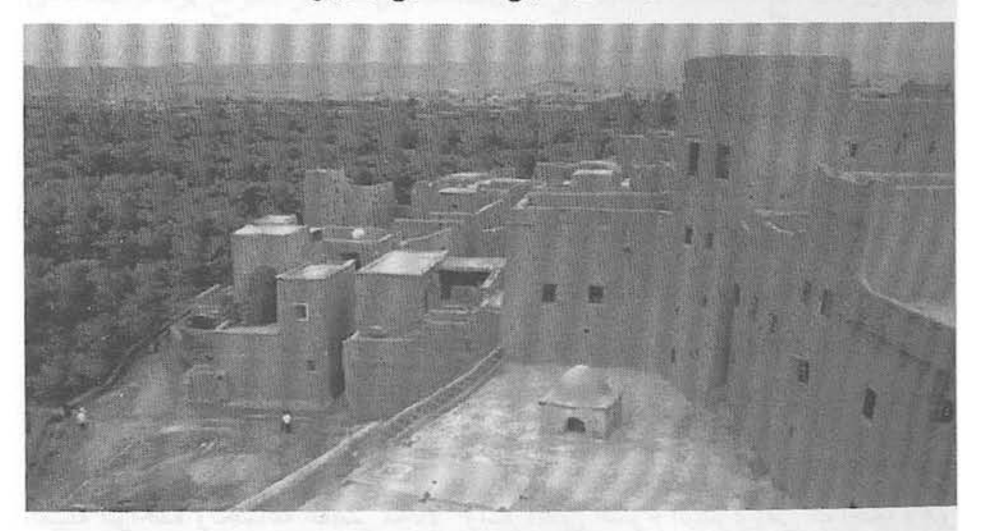
---

(1) Voyage au Tafilalet avec S. M. le Sultan Moulay Hassan en 1893. p: 53.

مما يصعب تحديده وحصره خاصة إذا استحضرنا مفهوم القبيلة وبنية القصر الذي لا يشرط الانتساب إلى جد واحد.



قصر (أسفالو) من قصور تودغة العريقة التي عرفت تعايشا قديما بين المسلمين واليهود.



جانب من قصر (آيت الحاج علي) الذي كان منبع نشاط علمي وسياسي واسع في مرحلة تاريخية من تاريخ الواحة، كما عرف هو الآخر تعايشا بين المسلمين واليهود.

وفي القرن الماضي حاول الملازم الفرنسي (بوربير) أن يرصد مكونات العنصر البشري في الواحة، فأنجز تقريرا ضم إحصاء ساكنة الواحة وانتماءاتها العنصرية والقبلية نوجزه فيما يلي:

- بلغ سكان الواحة سنة: (1930م) ما يقارب 20 ألف نسمة، موزعين على 3960 كانونا[1] كالآتي:
  - آيت ازدك: 208 كانونا.
  - أيت تودغة: الشرفاء والمرابطون وإمازيغن والحراطين: 2951 كانونا.
  - آيت عطا وحراطينهم: 150 كانونا.
  - أليهود: 150 كانونا.

وقسم هذه العناصر إلى ستة أقسام اعتمد فيه أساسا على المجال الجغرافي بحسب ما كان معروفا لدى أهل الواحة، جعل تحت كل قسم قبائل بعضها مختلف الأصول والمشارب لا يربط بينها سوى المجال الجغرافي، وبعضها ليس قبيلة كقصبة الخليفة، ولما عرضت هذا التقسيم على بعض أهل البلد وجدت بعض الاختلاف في نسبة بعض البلدات إلى المجالات المذكورة. وهذا هو التقسم:

1- آيت ازدك (208 كانون) يضم: زاوية سيدي عبد العالي، آيت أوسان، آيت مومن، آيت عشا، آيت تابيا، آيت باها.

2- أسامر نايت سنان (245 كانون) يضم: آيت سيدي علي إبراهيم، آيت شعيب، آيت زاوكري، آيت سمكنون، آيت أسمان، إحجامن، آيت أجو.

3- نيك إغير (543 كانون) ويضم: أسفالو، آيت تاريتان، آيت بارا، آيت أوجانا، تاكونسا، آيت زيلال، آيت بوجان، تيكوتار، تيدرين، تغرمت علا عيسى، إشمارين.

---

(1) يختلف الدارسون في تحديد عدد نسمات الكانون الواحد، ويجعله بعض الفرنسيين خمسة أشخاص. وهو الذي اعتمده بوربير: تودغة. ص 12.

4- داو إغير (951 كانون) يضم: أيت خالم، تاورريت نمزيلن، آيت ارجدال، أفانور، تاسكا تيغرمت ن لخليفة، تنغير، آيت بارا، إغرم أجديد، إلوكان، حلول نيكران، إموشاش، آيت لحسن، آيت بولمان، أزرو.

5- لشعف (582) ويضم: تاكماصت، تاماسينت، آيت لحسن أوعلي، آيت القاضي، إفري، إعدوان، آيت محمد.

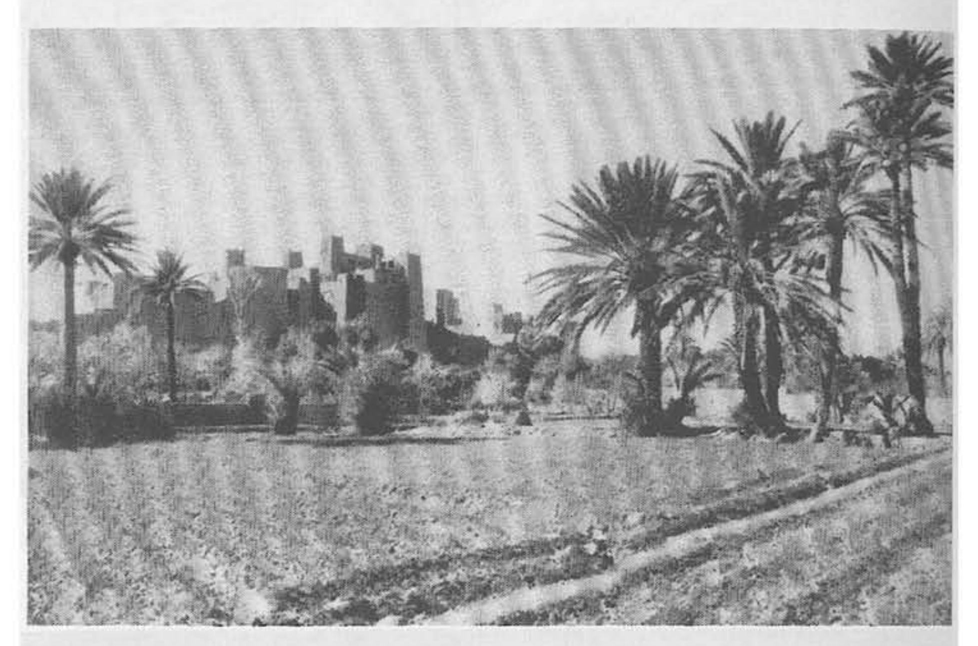
6- تيزوكا (1431 كانون) يضم: أمزاورو، تاوريرت نايت إعلا، آيت المسكين، الحارث نكرامن، الحارث نعامين، تغرمت نايت عيسى ابراهيم، آيت حمو، تاغيا نلمشان، أشداد، تادافالت، تابسباست، تاغزوت نايت إعزا، أكديم نايت إعزا، غليل نآيت إسفول، غليل نايت عيسى إبراهيم.

وهذه التجمعات السكانية تتوزع على حلفين، يجمع كل حلف مجموعة من القبائل من جميع أنحاء القبيلة، وهما حلف (آيت صالح) وحلف (آيت كمات)، وقد نشأ عن نوع من التكتلات في تدبير شؤون الواحة وحفظ المصالح وتدبير النزاعات، ولا تلتزم فيه القبيلة بالانتماء الدائم، بل قد تغيره بين يوم وآخر، وقد تجد القبيلتين من القصر نفسه إحداهما من هذا الحلف والأخرى من ذاك، ولم نقف على مبادئه وفصوله، إلا أنه اندثر شيئا فشيئا منذ حضور الكلاويين في الساحة[1]. أما بالنسبة إلى اليهود الذين استوطنوا في الواحة قصور أسفالو وآيت أرجدال وتنغير فقد تناقص عددهم تدريجيا من حوالي 750 شخص سنة (1930م) إلى 640 سنة (1949م)[2] لينتهي هذا الوجود منها بعد الاستقلال في ستينيات القرن الماضي، وبه ينقرض عنصر مهم من العناصر التي شكلت ثقافة المجتمع التدغي منذ أمد سحيق.

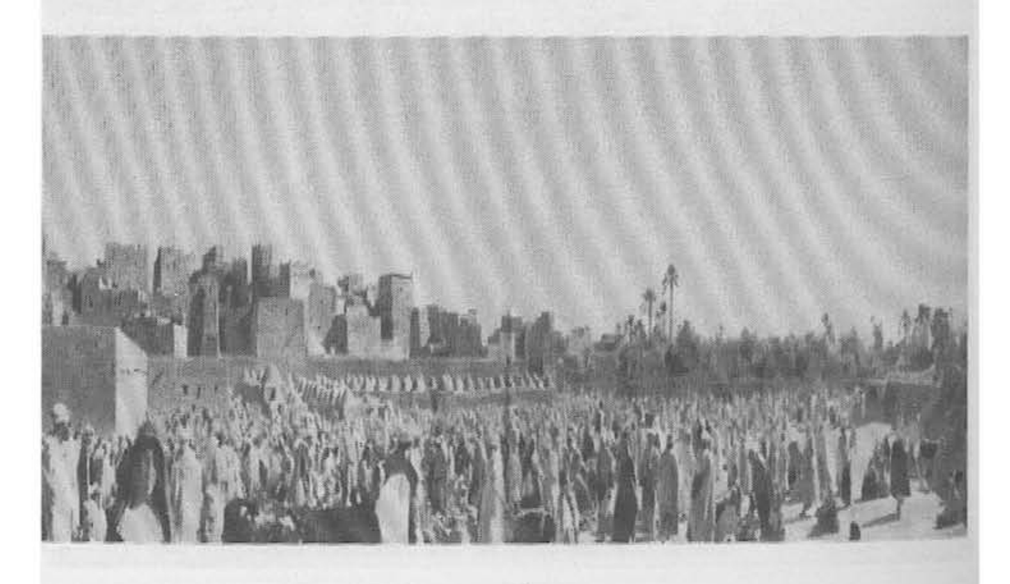
(1) voyages au maroc. René de Segonzac p :300. وتودغي: بوربير. التعرف على المغرب: 300، روايات شفوية.

(2) مجلة Hesperise الفرنسية. سنة 1950، ص 375.

مجموعة صور التقطها (J. Robichez) جورج روبيشي، ووضعها في كتابه (MAROC CENTRAL) تعود إلى الفترة بين 1937 و1939.



قصر إشمارين



سوق تنغير



حارة المرابطين



يهوديان من تودغة



فلاح من حارة المرابطين



سيدي أحمد: من أعيان حارة المرابطين

2- التعرف على الإسلام

قد تكون جُلّ المعطيات المتوافرة عن المنطقة قبل الفتح الإسلامي لا تكاد تتجاوز محاولات إثبات عمارة المجال الجغرافي المدروس بموجات بشرية من تلك التي عمرت بلاد المغرب الأقصى، وهو على كل حال أمر ألمحنا إليه تلميحا في الفصل السابق، إضافة إلى ما يستلزمه هذا الوجود من دخولها تحت حكم الدول المتعاقبة على المغرب قبل الإسلام، وإني بعدُ لأحسب أنا لا نختلف في كون حركة الفتح الإسلامي من أهم الأحداث التي أثبتها التاريخ على هذه الأرض، ويكفي من ذلك أن واقع ما قبل الفتوح يختلف عما بعده في كثير من البنيات والخصائص، وإن كان الحديث بعد ذلك في شأن هذا الفتوح ووقائعها حديثا ذا شجون.

كانت بداية الفتح الإسلامي للمغرب الأقصى مع الفاتح عقبة بن نافع زمن يزيد ابن معاوية الأموي في ستينيات القرن الأول الهجري حتى بلغ بفتحه بلاد السوس ووقفت قوائم فرسه على شاطئ المحيط الأطلسي، ثم توالت بعد ذلك حملات من جاء بعده إلى أن بدأت بالجوار من تودغة إمارات حاكمة ودول متغلبة امتد نفوذها واتسع، وكان مما امتد إليه هذا النفوذ من البلاد بلاد تودغة، وفي هذا السياق لا نستبعد أن يكون أهل تودغة قد تعرفوا على الإسلام خلال فترة الفتوحات قبل متم القرن الأول وانسداد قوسه، وذلك للاعتبارات الآتية:

- ما عرف من حرص الفاتحين على نشر الإسلام في الربوع التي أمكنهم الوصول إليها أو الاتصال بها وإن لم تصلها أقدام العساكر بأن أعلنت قبولها بالوافد الجديد، وفي هذا يذكر ابن عذاري أن من المساجد التي صح بناؤها في عهد عقبة بن نافع المسجد الذي بناه بدرعة، ويذكر مسارا سلكه لا يبعد أن يكون أثره قد لامس هذه النواحي بشكل من الأشكال[1]، فلا يمتنع حينها أن تصل إلى

---

(1) البيان المغرب: 53/1.

تودغة بعض آثار الإسلام، لكن فترة عقبة وإن كان أسلم فيها عدد من قبائل الأمازيغ فقد قاومه منها أيضا عدد كثير مقاومة شديدة مما لا نقطع معه القول باعتناق قبائل الواحة للإسلام في هذا الإبان.

- وجاء في خبر موسى بن نصير بعده أنه أرسل إلى جهات المغرب قراء يعلمون أهلها شرائع الإسلام، وبلغ درعة وعَيّن واليا له بعد سنة (86 هـ)[1]، وهو ما يعني قيامه بالتدبير العام للشؤون ومنها بلا شك نشر الإسلام في باقي النواحي، فيستبعد مع هذا أن تبقى تودغة وهي القريبة بعيدة عن هذه التأثيرات[2].

- وهذا الذي ذكرناه، وجدنا ما يفيده لدى بعض المؤرخين، حين صرحوا بانتشار الإسلام في هذه الفترة في ربوع المغرب الأقصى كابن عذاري المراكشي الذي قال: (وفي هذا التاريخ - يقصد 85هـ - تم إسلام أهل المغرب الأقصى، وحولوا المساجد التي كان بناها المشركون إلى القبلة)، وتبعه ابن خلدون عندما قال عن فتح موسى بن نصير: (وافتتح درعة وصحراء تافيلالت) في غضون سنة (88هـ)[3] وهما إذ ذاك أبعد مناطق المغرب الأقصى، وتودغة من هذا المجال، وقد كان هذا كله قبل عملية العبور إلى الأندلس عام (92هـ)، وفيه إشارة إلى أن العبور لم يكن إلا بعد أن فرغ الفاتحون مما حولهم من الجهات العامرة ما بين المتوسط والصحراء.

كل هذه القرائن تجعلنا نطمئن إلى أن الإسلام قد عرف طريقه إلى قلوب أهل تودغة في هذه الفترة، وإن كان يصح بعد ذلك أن يتساءل متسائل عن القدر الذي تم التعرف عليه من شعائر الإسلام وحقائقه، وعن مدى تغلغله في مختلف أوساط المجتمع وطبقاته، والجواب عن هذا ميسور، إذا علمنا أن أية دعوة جديدة لا تستقر في الكيانات ولا تنتشر انتشارها إلا بعد فترات وعلى مراحل والدليل على ذلك هو بقاء اليهودية لدى فئات من سكان الواحة، فالذي نقصده حصول التعرف ولو باستجابة محدودة.

---

(1) البيان المغرب: 70.

(2) تاريخ ابن خلدون: 6/ 110. البيان المغرب: 1/ 27 - 28.

(3) تاريخ ابن خلدون: 4/ 239. البيان المغرب: 1/ 43.

3- تحت حكم إمارات إسلامية

في هذا السياق الذي هو امتداد العناصر المشرقية الإسلامية إلى المغرب باختلاف الأسباب والدواعي وبعدما استتب الإسلام في أرجائه صار المغرب قبلة ومفرا لبعض من تلك التيارات، ومن أبرزها دعوة الخوارج الصفرية الذين اتخذوا من سجلماسة ونواحيها دولة لهم، واعتبارا لحاجيات الدولة الجديدة السياسية والاقتصادية فإن تودغة بموقعها ومنجمها ستطمح إليها أعناق الصفرية وتمتد إليها أيديهم، كما امتدت إلى أبعد من ذلك إلى درعة للأغراض ذاتها فأخذ حاكمهم اليسع بن أبي القاسم خمسها ودوخ بلاد الصحراء، كما يقول ابن خلدون[1]، وربما كانت تودغة هي المقصودة من قول المسعودي حين أشار إلى سيطرة الخوارج الصفرية على مدينة تودغة الواقعة في الجنوب مما يلي السودان ذات منجم الفضة[2]، فتهيأ لسجلماسة أن تكون عاصمة الصحراء والأرجاء، آخذة في التوسع وقد أمّتها قبائل مختلفة وعناصر بشرية متنوعة كاليهود والوافدين من الأندلس، خاصة بعد تولي اليسع بن أبي القاسم عام (174هـ)[3]. ومن هنا يمكننا فهم عبارة البكري حين قال عن سجلماسة: (وبعمارتها خلت مدينة تودغة)[4].

في هذا الوقت الذي كانت الخوارج الصفرية تسيطر فيه على المنطقة ستظهر دولة في الشمال ذات توجه مخالف، هي دولة الأدارسة ابتداء من سبعينيات القرن الثاني الهجري، وطبعي أن تحاول بسط نفوذها على أرجاء المغرب الأقصى، مما

---

(1) 6/ 172.

(2) مروج الذهب: 1/ 186 وفي النص وردت تودغة بالراء (ترغة)، وهي في شمال المغرب وليس في جنوبه، وكثيرا ما تختلط الراء بالدال المتصلة في النصوص المخطوطة.

(3) اختلف المؤرخون في سنة تولية اليسع فقيل: 170هـ 200هـ و194هـ. الخوارج في بلاد المغرب ص: 124.

(4) المسالك والممالك: البكري: 2/ 835.

سيؤدي بها إلى حالة من الصدام مع إمارة الصفرية في الجنوب. وقد تأكد أنهم استطاعوا منذ وقت قريب من نشأتهم على عهد المؤسس إدريس بن عبد الله أن يضعوا يدهم على منطقة تودغة ويتغلبوا عليها، وهو الذي دوخ المغرب كما تقول بعض المصادر، وقاد جيوشه إلى بلاد تادلة سنة (172هـ)، مما مكنهم من الاستفادة من منجمها الواقع غير بعيد عن الواحة وسك نقودهم كما تثبت العملات النقدية التي عثر عليها، منها التي ترجع إلى سنة (172هـ) وتلك التي سكت سنتين بعد ذلك (174هـ) كما أخبر عنها المؤرخ ابن زيدان ووصفها بقوله: (وضربت السكة بتدغة عام أربعة وسبعين ومائة، نقش في وسط وجه منها: لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وبدائرته: باسم الله. ضرب هذا الدرهم بتدغة سنة (174هـ)، ونقش صورة هلال ثم: محمد رسول الله، وتحت ذلك.. مما أمر به إدريس بن عبد الله: جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا) ثم قال: (رأيت هذه السكة من فضة وزنها: اكرامان وتسع وستون 2,69غ)[1]. وقد أشير أيضا إلى وجود نقود خارجية بتاريخ (175هـ و177هـ) وأقدمها ما يرجع إلى (162هـ)[2].

ويبقى تفسير هذا المعطى المتعلق بسك النقود في الفترة الأولى من قيام المولى إدريس وكون الخوارج أقرب في سيطرتهم على تودغة من الأدارسة أمرا يمكن تقديره بأن ذلك حصل باتفاق بين الدولتين، وهو أمر وارد إذ من الممكن أن تسمح الدولة المسيطرة بذلك في مقابل مصالح تستفيد منها، أو تكون تودغة سجالا بينهما، وبغض النظر عن وضع تودغة بين الدولتين فإن وجود دار سكة بها لوجود معدن الفضة لمما يدل على الشأن الاقتصادي الذي اضطلعت به وما يستتبع ذلك من جذب لمختلف الفئات البشرية المستفيدة من هذا النشاط، ليس في هذه الفترة وحسب، بل وما قبلها كما تدل عليه عبارة البكري السابقة، قبل أن يضمحل هذا الشأن رويدا بظهور مناجم أخرى[3].

(1) إتحاف أعلام الناس: 1/ 20.

(2) معلمة المغرب: 7/ 2306 - 2307.

(3) أُشيرَ أيضا إلى وجود نقود باسم ملكة تدعى زينب سكت في تودغة.

بقيت الدولتان تتجاذبان المنطقة، ففي عهد المولى إدريس الثاني (ت 213هـ) نشبت حروب بينه وبين هؤلاء الصفرية انتهت بسيطرته[1]، وكذلك الأمر في عهد يحيى بن القاسم ابن إدريس (ت 272هـ)، ولم تصف الساحة للخوارج ولا للأدارسة طويلا، إذ سرعان ما ستظهر أطراف أخرى تتجاذبها وإياهم، وعلى رأسها الفاطميون والمغراويون، هؤلاء المغراويون الذين سيزحفون على المنطقة ليضعوا حدا لدولة الخوارج بسجلماسة ونواحيها عام (376هـ)[2] ويضموا إليها درعة مما يعني في الغالب دخول تودغة تحت هذا النفوذ الجديد.

(1) تاريخ ابن خلدون: 4/ 18، الاستقصا: 1/ 226.

(2) تاريخ ابن خلدون: 7/ 51.

4- من المرابطين إلى السعديين

كان مسعود بن واندين المغراوي الحاكم النافذ في المنطقة قد ساء حكمه وساءت سيرته في ما ولي من هذه البلاد، في الوقت الذي كانت فيه حركة المرابطين في مخاضها تترقب الظهور، وكانت دعوتهم قد انطلقت في تخوم الصحراء، وابتداء من سنة (445هـ) سيبدأ زحفهم على مناطق سجلماسة ودرعة وما حواليهما بقيادة عبد الله بن ياسين بعد أن كتب إليه فقهاؤها وعلماؤها يشتكون من عسف ومنكرات أميرهم مسعود بن واندين المغراوي، وتواجه الفريقان بين درعة وسجلماسة وكان النصر للمرابطين، فدخل سجلماسة ومهد أمرها قبل أن يستمر في زحفه نحو الشمال المغرب، وهو ما يشير إلى أن تودغة باتت تحت سلطة المرابطين منذ وقت مبكر قبل إعلان نشأة دولتهم.

وظلت المنطقة تحت نفوذهم إلى أن بدأت تظهر دعوة المهدي بن تومرت الموحدي مع مطلع القرن الموالي، وإثر وقائع بينه وبين المرابطين بعد سنة (515هـ) ظهر أمره وأخذ يبعث بكتبه نحو الجهات، ومنها ما وصل إلى الجنوب درعة وصنهاجة القبلة التي منها تودغة وهسكورة القبلة[1]، ثم إن البيذق لما ذكر أهل تودغة كما رأيناه سلفا ذكرهم في ضمن من سماهم الموحدون (أهل التمييز)، والمقصود بهم من امتحن في انتمائه إلى دعوة المهدي بن تومرت، وهو الحدث الذي سالت بسببه دماء كثيرة على أيديهم.

ولما تولى بعده الخليفة عبد المومن بن علي خرج بجيوشه عام (534هـ) يريد إخضاع المغرب وتوحيده في غزوة دامت زهاء سبع سنين، وتقدمت جيوشه من جهة تافيلالت بقيادة قائده أبي حفص عمر الهنتاني حتى دخل واحة تودغة، فأخضع بها من يسمى آيت علي مسكور ومنكور، ثم أ خضع في آيت سنان أحد رجالها

---

(1) نظم الجمان: 132.

المسمى موسى بن حماد، وولى عليها رجلا يسمى عبد الله ابن وطبيب كما قد ذكره البيذق الذي كان شاهد عيان[1]. وكان قبل ذلك قد درج إلى النواحي حتى دخل درعة عام (526هـ) كما يقول ابن أبي زرع، وذكر أيضا أنه في سنة (543هـ) ارتحل إلى سجلماسة وأمّنها ثم رجع إلى مراكش وذلك من طريق تودغة في الغالب[2].

وأثناء ذلك في سنة (544هـ) وقال ابن عذاري: (541هـ) ستكون تودغة وسجلماسة تحت رحمة امتحان آخر كامتحان التمييز الذي قام به المهدي، تولى كبره هذه المرة الخليفة عبد المومن، يمتحن به القبائل لتثبيت الولاء، فإنه أرسل إلى ابن وطبيب واليه على تودغة بهذا الشأن، فلما جمع ابن وطبيب الناس وأراد قتلهم كان فيهم عابد يقال له **ابن بوغلات**، فشكى الناسُ إليه، فدعا لهم فأجاب الله دعاءه، وأنزل الله على ابن وطبيب ذبابة ضربته في عنقه ومات في تلك الساعة وافترق الناس وانصرفوا إلى أوطانهم[3]. ولا شك أن هذه الأحداث التي شهدتها تودغة تحمل دلالةَ ما سبقنا أن نبهنا عليه من أن تودغة لم تكن منزوية عن الأحداث والتحولات في هذه المنطقة، فإن ما ذكر علامة على كونها ذات وضع له اعتباره في سياسيات الدول الحاكمة تبعا للوضعية ذات الأهمية للمنطقة عامة.

وبعد تدهور أحوال الموحدين وظهور المرينيين على الساحة ستكون بلاد سجلماسة ودرعة والقبلة في (655هـ) تحت سيطرتهم في ظل حكم أبي بكر المريني[4] ومن بعده أبو يعقوب المنصور المريني[5]، وفي أتون الصراعات الدائرة بين أمراء بني مرين ستقع المنطقة تحت نفوذ أبي علي المريني بدءا من (715هـ)

---

(1) أخبار المهدي: 51.

(2) ص: 186 وجاء فيها أيضا بعد ذكره درعة قوله: (ثم غزا بلاد تيغزا) وكتب المحقق عليها في الهامش (لعلها تنغير)، ونحن نستبعده، فتيغزا اسم لعدد من الأمكنة في المغرب يوجد أحدها بمنطقة تلوات.

(3) أخبار المهدي: 72. البيان المغرب: 4/ 32.

(4) الذخيرة السنية: 83. الأنيس المطرب: 296. الاستقصا: 3/ 18.

(5) الأنيس المطرب: 312. الذخيرة السنية: 83 . 101.

ليحاول انطلاقا منها الاستيلاء على مراكش[1].

وفي فترة بدايات القرن العاشر الهجري التي عرفت صراعا بين الوطاسيين والمرينيين وأدت إلى توهين أوصال المغرب وسقوط عدد من مدنه تحت سيطرة البرتغاليين، كان هناك رجل عالم يتنقل مع أبيه في الآفاق المغربية وخارجها لأغراض سياسية واقتصادية، هو الرحالة الحسن الوزان، وفي أثناء تطوافه هذا سيعبر واحة تودغة ما بين سنة (917 هـ) و(918هـ)، ولم يفته أن يسجل وصفا لها قال فيه: (إقليم صغير على مجرى ماء صغير يحمل نفس الاسم ويكثر فيه التمر والخوخ والعنب والتين، وهناك أربعة قصور وعشر قرى، يسكنها أناس فقراء جلهم فلاحون ودباغون)[2]، والظاهر من هذا الوصف أنه إنما وصف ناحية واحدة من نواحي الواحة ولم يكن مهتما بوصف جميع ما في أنحائها، ولما ذكر قبائل ذوي منصور وهم من عرب بني معقل المنتشرين في بقاع كثيرة من المغرب ومنها سجلماسة ودرعة أخبر أنهم يتقاضون من أهل تودغة العشور[3]، مقابل سيطرتهم على طرق القوافل التجارية الرابطة بين هذه الأنحاء وحمايتهم لها، فقد كانوا على قوة ومنعة كما جاء في خبرهم، وهو يوافق ما أشار إليه ابن خلدون بالنسبة لامتداد نفوذ ذوي منصور أكبر بطون بني معقل[4].

وبعد حين، وبدءا من العقد الثاني من القرن العاشر، ستصبح أغلب مناطق المغرب تحت حكم دولة السعديين، في الوقت الذي استمر فيه تهديد قوى الاستعمار المجاورة، ونشطت لأجلها أعمال التجسس والاستخبار، ومن ذلك نشاط مستخبر إسباني راهب يدعى (مارمول كاربخال)، استطاع السعديون أسره في الفترة ما بعد (959هـ)، وبقي معهم أسيرا يقيم حيث قاموا ويرتحل إلى حيث

---

(1) الاستقصا: 3/ 107.

(2) وصف إفريقيا: 2/ 129.

(3) وصف إفريقيا: 1/ 54.

(4) تاريخ ابن خلدون: 6/ 87.

يرتحلون زمن حكم السلطان السعدي محمد المهدي الشيخ، فأخذ يصف كل ما يقع عليه بصره ويبلغ أذنيه، مستعينا بأخبار من سبقه، ففي وصفه لتودغة نقل عن الحسن الوزان الوصف ذاته، فذكر حضور بعض قبائل بني معقل في المنطقة يجوبونها طوال السنة، ويحتلون الصحارى المتاخمة لتودغة، وقد تعودوا من عهد قديم على إخضاع هذه المناطق إلى نفوذهم وفرض الإتاوات على أهاليها، وهؤلاء المعقليون هم من ذوي منصور المسمون أولاد عمران[1] أو العمارنة، وزاد على ذلك بوصف سكانها قائلا: (أهالي تدغة لصوص وقطاع طرق ينتمون إلى قبائل آيت غريس) وهو أمر يمكن إدراكه من كون المنطقة وما تاخمها هي ممرات للتجار والرحل، وباستيلاء ذوي منصور على جبايات المنطقة نهجوا منهج القوة والإغارة، مما يعني حتما نوعا من المصادمة مع الطرف الآخر المتكفل بالجباية والحماية، ثم قال أيضا ما قاله الوزان عن ثمارها وأن مثلها يوجد في أروبا، ورغم ذلك فإن الأهالي - كما قال - يتخبطون في الفقر، بعضهم فلاحون وبعضهم رعاة، ثم أخبر أن تودغة في هذا الوقت أصبحت تابعة للسعديين[2].

إلا أن هذه التبعية التي أخبر عنها هذا الرجل ستنقطع زمنا يقرب من الثلاث سنوات إبان ظهور الفقيه الثائر ابن أبي محلّي السجلماسي[3]، فإن هذا الفقيه رأى

---

(1) في الترجمة العربية (أولاد حمرون)، والمعروف أنهم (أولاد عمران) كما تذكرهم المصادر التاريخية.

(2) إفريقيا: 3/ 158 - 159.

(3) هو أبو العباس أحمد بن عبد الله السجلماسي، من العلماء فقد كان فقيها وأديبا بليغا. ولد بسجلماسة وخرج لطلب العلم بفاس في حدود سنة 980هـ، فأقام مدة طويلة وحج وتصوف؛ وكثر أتباعه. قيل: إنه ادعى المهدوية، دامت سلطنته ثلاث سنوات وتسعة أشهر؛ ولما قتل علق رأسه مع رؤوس بعض أنصاره على سور مراكش نحو اثنتي عشرة سنة؛ من تآليفه: الرحلة لمسماة "إصليت الخريت" و"الوضاح" و"القسطاس" و"الهودج" و"منجنيق الصخور في الرد على أهل الفجور" و"عذراء الوسائل وهودج الرسائل". الأعلام للزركلي: 161، الاستقصا: 6/ 26.

من السعديين أمورا نقمها، فقد اتهمهم بتهالكهم في طلب الملك حتى فنى الناس فيما بينهم، وانتهبت الأموال وانتهكت المحارم، وسقطت بعض الثغور في أيدي الأعداء فصرح بوجوب القيام بتغيير المنكر الذي شاع في الناس، فخرج يؤم سجلماسة وكان خليفة السلطان زيدان عليها يومئذ يسمى (الحاج المير) فخرج عامل زيدان لمصادمته وهو في نحو أربعة آلاف وابن أبي محلي في نحو أربعمائة، فلما التقى الجمعان كانت الدبرة على جيش زيدان وأشاع الناس أن الرصاص يقع على أصحاب أبي محلي باردا، فسكنت هيبته في القلوب وتمكن ناموسه منهم، ولما دخل سجلماسة أظهر العدل وغير المناكر فأحبته العامة وقدمت عليه الوفود، ولما بلغ خبر الهزيمة إلى زيدان وانتهى إليه جهز إليه من مراكش جيشا وأمّر عليه أخاه عبد الله بن المنصور المعروف بالزبدة، فسمع به أبو محلي فسار إليه فكان اللقاء بينهما بدرعة فوقعت الهزيمة على عبد الله بن المنصور، ومات من أصحابه نحو الثلاثة آلاف فقوي أمر ابن أبي محلي واشتدت شوكته، وجمع بين سجلماسة ودرعة وما إليهما، ونافس السعديين في سيطرتهم على الصقع الجنوبي من المغرب بعد سنة (1019هـ) ثم توجه إلى مراكش للسيطرة عليها ودخلها، وفي إحدى المعارك عام (1022هـ) لقي حتفه، وعادت المناطق التي كان يحكمها مرة أخرى إلى السعديين في عهد السلطان المولى زيدان نفسه[1].

---

(1) الاستقصا: 5/ 170 و6/ 26 وما بعدها.

5- تحـت حكم العلويين

شـهد نهاية حكـم السعديين تضعضعا كبيرا في أحوال المغرب، وظهرت في الساحة قوى سياسية جديدة تحاول مد نفوذها ما استطاعت، منها السملاليون بقيادة أبي حسون السملالي الذي استطاع أن يمتد بسلطته إلى هذه المنطقة من درعة إلى سجلماسة وما حولهما قبل أن ينتزعها منه المولى محمد بن المولى الشريف بعد سنة (1045هـ).

ولما توفي المولى علي الشريف عام (1069هـ) جدد أهل سجلماسة البيعة لابنه المولى محمد، وعلى إثر ذلك سيفارقه أخوه المولى الرشيد مغضبا، فتوجه بتاريخ ثاني وعشرين من شوال صوب تودغة فأقام بها مدة[1]، قبل أن ينتقل منها إلى دمنات فزاوية الدلائيين ومنها إلى فاس ليعود بعدها إلى المنطقة حاكما متغلبا سنة (1075هـ).

وفي عهد السلطان المولى إسماعيل، خرج على طاعته ثلاثة من إخوته على مقربة من مجال تودغة، حيث مساكن آيت عطا بصاغرو بعدما استعانوا بهم واستعصموا، وهم المولى الحران وهاشم وأحمد بني الشريف بن علي، مع ثلاثة آخرين من بني عمهم، فنهض إليهم السلطان بالعساكر، آخر شهر رمضان من سنة (1089هـ)، فكان اللقاء بجبل صاغرو في عشرين من ذي الحجة من السنة المذكورة، فالتقى جيش السلطان وجيش أخوته وجله من آيت عطا، فاقتتلوا، وكان الظفر للسلطان بعد أن هلك من جيشه عدد كبير وقائده موسى بن يوسف، وانهزم الإخوة وأبعدوا المفر إلى الصحراء ثم قفل راجعا من طريق تودغة إلى مراكش عبر ثنية تلوات[2].

وقد وقفنا على ظهير للسلطان مؤرخ بتاريخ هذه السنة من شهر رمضان، وجهه إلى أبناء زاوية حارة المرابطين، يسقط فيه عنهم الوظائف المخزنية والتكاليف

---

(1) نشر المثاني: 2/ 102. الاستقصا: 7/ 29.

(2) الاستقصا: 7/ 60 الروضة السليمانية: 74 المنزع اللطيف: 163 - 254 نشر المثاني: 2/ 252.

السلطانية، وهو ما يعني بلا شك استمالتهم إليه قبل خوض المعركة القادمة؛ أو نوع مكافأة لموقف الطاعة وعدم الانحياز إلى الفريق الآخر.

وفي أثناء سعيه لإحكام السيطرة وتمهيد أصقاع المغرب، سيرتب حملة كبيرة سنة (1104هـ) للإيقاع بآيت ومالو وآيت يفلمان وآيت يسرى، فنزل بإدخسان، وأمر قائده المدعو علي بن يشي أن ينزل بمكان يسمى توغة بوادي دادس، ثم بعث إلى أهل تودغة ومعهم فركلة وغريس وعرب الصباح أن يقدموا بجموعهم إلى القائد بن يشي لينضموا إلى الجيش المقاتل استعدادا للمعركة الفاصلة والتي انتهت بمقتلة عظيمة أوقعها بهم السلطان إسماعيل[1].

وسيحل السلطان محمد بن عبد الله بدوره في هذه المنطقة سنة (1198هـ) لتأديب من بها من آيت عطا وآيت يفلمان، وعمل أثناء وجوده على تثقيف أطرافها، سالكا في رجوعه ممر تودغة نحو مراكش، وسيرا على عادة السلاطين في استثمار النفوذ الروحي للزوايا وإبقاء طاعتها بعيدة عن الانحياش إلى الثائرين مما من شأنه أن يقوي شوكتهم، كانت زاوية مرابطي الحارة بتودغة محل خطاب هذا السلطان هو الآخر، بُعيْد تاريخ حملته هذه سنة (1199هـ) في شهر المحرم. كما خاطبها أبوه السلطان المولى عبد الله بن إسماعيل قبله أيضا بظهير، في سياق التنازع بينه وبين إخوته على الحكم تحت قبضة جيش عبيد البخاري[2].

ولعل في هذه الظهائر ما يشير إلى أمرين - على الأقل - يعتبران أساسيين: الأول: علاقة سلاطين الدولة العلوية بمؤسسة الزوايا التي لم تقتصر على المناطق الشمالية، بل شملت أرجاء البلاد بما في ذلك هذه النواحي التي قد يظهر في بادئ الأمر أنها غير ذات أهمية في ترسيخ الحكم وبسط النفوذ. الثاني: أن مخاطبة هؤلاء السلاطين لهذه الزاوية يُظهر أن لها مكانة في منطقتها ونفوذا ما، إذ لولاه لما كانت موضع خطاب الظهائر السلطانية في مثل هذه الظروف السياسية.

---

(1) الاستقصا: 7/ 28 الروضة السليمانية: 83.

(2) الروضة السليمانية: 170 الجيش العرمرم: 1/ 282 - 289.

وفي سنة (1218هـ) جهز المولى سليمان جيوشا مع عامله على سجلماسة ونواحيها وقتها أبي عبد الله الصريدي لجباية الأموال، فوجه منها جيشا إلى تودغة، فجبى أموال تلك القبائل كلها وقرر عماله ونوابه بكل إقليم منها ومهد طريق الصحراء[1]. وقد ذكر المهدي الناصري أن هذا القائد هو الذي نقل أهل الحارة المسماة حارة إعامين وأهل توريرت نـِمْزِيلْن إلى مكناس فأنزلهم هناك بقصبة (هدراج) سنين، وقد تولت قبيلتا آيت شعيب وإحجّامن إيصال عيالهم لمحل نزولهم بمكناس، وأخبر أنه اطلع على ظهير احترام وتوقير لهما أعطاه السلطان المولى سليمان لهما مقابل هذه الخدمة.

قال المهدي الناصري في (نعت الغطريس): (ويحكى أن خدمتهم[2] أعجبت السلطان فلم تسمح نفسه بهم، فأعطاهم قيمة بلدهم، واستألفهم فلم يألفوا بل رجعوا لمحلهم...) قلت: وقد كان رجوعهم هذا بشفاعة شريف من شرفاء وزان، وأظنه الفقيه العالم علي بن أحمد الوزاني الذي توطدت علاقته بهذا السلطان كثيرا توفي عام (1226هـ)، فمن ذلك العهد بقي حبل المودة بين أهل وزان وحارة إعامين وإلى عهد قريب، فكان أهل الحارة يناوبون بينهم كل عام من يأتي وزان ويخدمهم في أغراضهم، قيل: - أربعون رجلا - ثم في مطلع القرن الميلادي الماضي وفدت أسرة من شرفاء وزان بلدة (حارة إعامين) وقطنت فيه، ومازال فيه إلى اليوم، وقد ذكر بعض من شافهنا بهذه الحكاية أن سبب أخذ السلطان لهم ما صدر منهم من عصيان، ولا يمتنع هذا لما يمكن أن يكون رآه منهم مما يدل على ذلك، فقد جرت عادة كثير من السلاطين على فعل مثل ذلك بالقبائل المناوئة يلحقونهم بالخدمة بعد أن يجلونهم عن مواطنهم[3]. لكني أستبعد ذلك لدلالة اختياره القبيلتين دون غيرهما من

---

(1) الاستقصا: 3/ 108 الروضة السليمانية: 245 - 244.

(2) ماتزال الذاكرة المحلية تحتفظ بهذا الحدث، فـ (أمزيلن) التي تعني (الحدادين)، أقدمهم لهذا الغرض المتعلق بحرفتهم، وأهل الحارة لخدمة أخرى.

(3) وقد نقل مثل هذا الكلام (بوربير) في تقريره عن تودغة، ثم ذكر جد هذه الأسرة من شرفاء =

قبائل واحة تودغة، بل السبب المذكور آنفا هو الصحيح.

ولم تزل المنطقة في شد وإرخاء بين الحكم المركزي وقبائلها خاصة آيت عطا الذين أخذت شوكتهم تزداد مع مرور السنين، وهو ما جعل السلطان المولى سليمان يتوجه بنفسه إليها في سنة (1231هـ) للإيقاع بآيت عطا صاغرو، وكانوا قبل ذلك قد أتوه في أوائل رمضان بهدية جزيلة من الخدم والعبيد وطلبوا منه الشفاعة فلم يقبلها، وأراد قتلهم لولا ولد أخيه مولاي عبد المالك الزيزون الذي جاء بهم في الأمان فردهم على أعقابهم، وفي هذا القدوم إشارة صريحة إلى أمور صدرت منهم نقمها السلطان عليهم، ولا شك أن من هذه الأمور ما يتنافى مع ما يجب أن يكونوا عليه من دخول تام تحت طاعته والاستسلام له، والبعد عن ما ينافيه، فخرج إليهم من فاس يوم الخميس 4 ذو القعدة من السنة المذكورة في جيش من الودايا والبخاري، ولما كان أواخر هذا الشهر أقام بتودغة مدة طويلة في مكان أطلق عليه بعد ذلك (إغير نلمحلت) لهذا السبب، فقتل من قتل من العاصين وهدم من البنيان ما هدم، وأثناء إقامته بتودغة أرسل يوم 28 من ذي القعدة رسله إلى كل من فاس والرباط حاملين خبر رجوع السلطان من حركته إلى مراكش من طريق تودغة إلى مراكش، فسمع بخبره آيت عطا درعة فخرجوا من قصورهم هاربين إلى جبال صاغرو[1].

لم تزل شوكة آيت عطا رغم ما مضى ظاهرة في المنطقة، وهو ما حدا بحلف (آيت يفلمان) النهوض لمقاومته تحت زعامة قائد من قبيلة (ازدك) التودغية الأصل المنتشرة في الجوار يدعى (إبراهيم يسمور اليزدكي) عام (1271هـ) في عهد

=

وزان الذي أشرنا إليه، وهو المسمى مولاي العربي الذي استقر به بالحارة بعد العقد الأول من القرن العشرين، تزوج شريفة تدعى فاطمة بنت مولاي إبراهيم من قصر آيت مولاي إبراهيم ببلدة أمان نقيدار، ص 66. ونحن نضيف إلى هذا أن ولده المسمى مولاي أحمد تزوج من شريفة أخرى بأمان نقيدار: هذه المرة من قصر آيت مولاي أحمد، تدعى أمينة بنت مولاي أحمد، هي عمتنا - رحمها الله تعالى - توفيت سنة 2013م.

(1) تاريخ الضعيف: 398 وما بعدها.

السلطان عبد الرحمن بن هشام، هذا الحلف الذي سبق أن ذكرنا انخراط أهل تودغة فيه حسبما أورده ريني ديسيكونزاك وتعضده الروابط القبلية والأصلية، وبسبب ذلك ومع ميل الناس إليه ولاه السلطان على النواحي، لكنه بعد ذلك حاول الاستبداد بالأمر وأخذ في التوسع فحاربه السلطان حتى هلك أخيرا على يدي بعض قرابته[1].

كان المغرب في عهد الحسن الأول يعيش فترة مقاومة التدخلات الأجنبية السياسية والاقتصادية، وكانت بوادر التدخل العسكري تلوح في الأفق، وفي سياق النشاطات الاستخبارية الممهدة نشط الراهب الكاثوليكي شارل دوفوكو، وهو وضابط فرنسي توغل في أرجاء المغرب تحت زي يهودي - كعادة كثير من هؤلاء المستخبرين - ما بين سنتي (1300هـ/ 1883م) و(1301هـ/ 1834م)، واستطاع الوصول إلى واحة تودغة، وها أنا ذا أنقل المشهد الذي شهده الراهب ووصفه، باعتباره لحظة زمنية من زمن تودغة ترجع بنا إلى ما يقرب من قرن ونصف، ولما تحمله معها من دلالات في شعور أهل الواحة، ففي (29 جمادى الآخرة 1301هـ/ 25 أبريل 1884م) انطلق من آيت يدير بدادس إلى تودغة مارا بإميضر التي شاهد فيها - كما يقول - قصورا أربعة شيدت بأناقة، تحيط بها مزروعات من شعير وذرة وأشجار تين ورجراج، ثم نحو تيمضروين، ثم فم القوس نتازولت، الذي زعم بأنه حد فاصل بين آيت مرغاد وآيت يفلمان، في حين لمح قصور أمان نقيدار الثلاثة التي أطلق عليها قصبة آيت مولاي أحمد محاطة بالنخيل، وفي أثناء ذلك لم يشاهد بشرا باستثناء من يعمل في الحقول ليصل إلى تودغة على الساعة الرابعة مساء، وإلى قصر إمزيلن بعدها بنصف ساعة.

وبعيون المستكشف يبرز البنية السكانية لواحة تودغة عبر مجالها الجغرافي، فهي تضم حوالي خمسين أو ستين قصرا منتشرة على ضفتي الوادي، ويقسمها إلى مجموعتين: تودغة العليا: ويسكنها الشلوح، وتودغة السفلى: ويسكنها البرابر مع معرفة الرجال بالعربية، وأما لباسهم فقد كانوا في العادة حاسري الرؤوس وبعضهم يعْتَمُّ بالعمائم البيضاء... وأما الحالة الأمنية في الواحة فإنها كانت تشهد صراعات

---

(1) الاستقصا: 3/ 68.

بين المجموعات القبلية، وقد صادف مقامه بقصر (إمزيلن) نشوب صراع بين هذا القصر والقصر المجاور (آيت أرجدال)، يتبادلون فيه النار كل يوم ولا يجرؤ قاطنوها على الصعود إلى السطوح مخافة القنص. ومع ذلك فأهل تودغة يتمتعون بحرية ولا يذبحون الذبائح لجيرانهم الأقوياء، نظرا لتماسكهم عندما يتعلق الأمر بالدفاع عن أنفسهم.

أقام أربعة أيام في قصر (إمزيلن)، وفي اليوم الرابع والأخير خرج على الساعة الرابعة مساء متوجها إلى (فركلة) سالكا طريق الوادي متوجها إلى أسفل تودغة، وعند النهر المقابل لقصر (آيت محمد) شاهد حاجز الماء الذي صنعة أهل المنطقة، ووصفه بأنه الأحسن بناء مما شاهده من هذا النوع في المغرب. ثم بعد ذلك انضم بصحبة حراس (زطاطة) من آيت عطا وآيت مرغاد إلى ركب راجع من سوق اثنين تودغة يضم ما بين 100 و150 رجلا، وما بين 100 و120 من الحمير والبغال، وهو ما يشير إلى أن تودغة ما تزال تحتفظ بدور تجاري في المنطقة خلال تلك الفترات[1].



الراهب الكاثوليكي: شارل دوفوكو

(1) التعرف على المغرب: 1/ 299 وما بعدها.

كانت تودغة في هذا العهد تحت ولاية القائد الدمناتي الحاج الجيلالي، ولم يكن الإبقاء عليها تابعة لسلطته أمرا سهلا، بسبب ضعف حكمه فيها وعجزه عن إقرار سلطة المخزن، وهو ما قد يجعل السلطان ينتزعها منه ويلحقها بغيره، وربما استغل هذا الوضع بعض من القواد المنافسين لأخذها وضمها إلى نطاق سلطته، وهو ما تظهره رسالة وصلته من وزير السلطان المعطي بن العربي بتاريخ (9 ذو القعدة 1310هـ/ يونيو 1893م)، يشير فيها إلى ما يدل على ما قلناه، ويخبر فيها بتدخل تاجر شخماني لدى السلطان في شأن تولية غيره عليهم، فأخبره الوزير بأنه حادث السلطان في هذا الشأن، وأن السلطان أمر بإبقاء تودغة تحت ولايته ونظره، وأمره بالإحسان إلى أهلها واستخدامهم معه على مقتضى إيلافهم[1]. والظاهر أن هذا التاجر تكلم مع السلطان شاكيا إليه أحوال التجار الواقعين تحت نفوذ القائد في أمور تأمين الطرق أو ما إلى ذلك مما هو داخل في أمور تدبير الشؤون وعدم قيام القائد بها على الوجه اللائق.

وقد ذكر الغجدامي في (التسلي) أن السلطان الحسن الأول ولاه على تودغة وامكونة وبوكماز قبل خروجه هذا، ولم يستطع إنفاذ سلطته فيهم لبعد المسافة، فلما خرج السلطان خشي أن يظهر هذا الأمر للسلطان، فما كان منه إلا أن أعمل في أهل تودغة الحيلة، وهي أنه جعل عليهم رقيبا يعلمه بأخبارهم إذا خرج تجارها ومن معهم من أهلها إلى مراكش ونواحيها، فلما خرجوا بركبهم أمر خليفته ببلدة (تكانة) - بين تلوات ومراكش مكلفة بمراقبة الطريق - المسمى الحاج الحسين أعراب ومعه الحسن أزناك أن يأتياه بالركب المذكور إذا رجعوا من مراكش، فأتياه بستين رجلا ببغالهم المحملة، وأمرهم أن يُوجِّهوا إلى بلدهم تودغة لحضور من تبقى من إخوانهم، ففعلوا وحضروا، فأطلقهم وأخذ عليهم أن يقوموا بلوازم الطاعة والخدمة للسلطان إذا نزل بتودغة بعدما رد إليهم ما حيز منهم، ولما نزل قاموا

(1) المجتمع المغربي في القرن 19 ص 157 - 158.

بذلك أحسن قيام[1]، ومما يستشف من هذه الواقعة أن دمنات لم تعد مقصد تجار تودغة، بعدما كانت كذلك منذ عهود، وأنها تحولت مع غيرها في تجارتها إلى أسواق جديدة تتمثل خاصة في مدينة مراكش بسبب تراجع الدور الاقتصادي لدمنات في المنطقة لأسباب مختلفة[2].

ومع هذا، فإن القائد الجيلالي سرعان ما سيفقد نفوذه هذا لصالح الكلاويين، إثر ما حصل عليه المدني الكلاوي من تقدير بعد استضافه للسلطان الحسن الأول والقيام بشأن حركته بثنية تلوات بعدما حوصروا بالثلوج أياما، فانتقلت تودغة على إثر ذلك إلى سلطة قواد جدد هم الكلاويون الذين ستكون لهم فيها وقائع بعد دخول المستعمر الفرنسي، حينما تحالفوا معه في إخضاعها مثل كل المناطق التابعة لهم.

وبينما كان الحسن الأول يحاول توطيد سلطة المخزن على أرجاء المغرب في مناطق انتشار آيت عطا ويفلمان ويزدك بتافيلالت وتودغة ونواحيهما، وكذا تحصين البلد من الخطر الفرنسي الزاحف من الشرق، خرج[3] إليها سنة (1310هـ/ 1893م) في جيش قوامه 1500 رجل، ولما وصل إلى قصر السوق التحق به ابنه الأكبر مولاي محمد خليفته على مراكش مع وحدات انطلقت من كلاوة ودادس وإيمضر وتودغة.

وكان ممن رافق السلطان في هذه الحركة طبيب فرنسي يدعى (ليناريس)[4] كتب

---

(1) المرجع نفسه عن الغجدامي في "التسلي عن الآفات": 84.

(2) المغرب في القرن التاسع عشر: 311 وما بعدها.

(3) هي آخر رحلاته التي بلغت في مجموعها 19 رحلة في مدة عشرين عاما.

(4) كان يعمل طبيبا بالجزائر ثم التحق بالبعثة العسكرية الفرنسية بالمغرب سنة 1877م، ثم التحق في 1883م؛ مستشارا صحيا بالقصر الملكي: وفي 1888م؛ أصبح مكلفا بالشؤون الخارجية الفرنسية بالمغرب، استطاع أن يقيم شبكة من العلاقات مع كبار النخبة المغربية بدءا بالحاجب والوزراء وكبار التجار وغيرهم، مما سمح له بأداء أدوار كبيرة سهلت عملية الاختراق الفرنسي للمغرب. (نظرية الاستعداد في المواجهة الحضارية للاستعمار: 90).

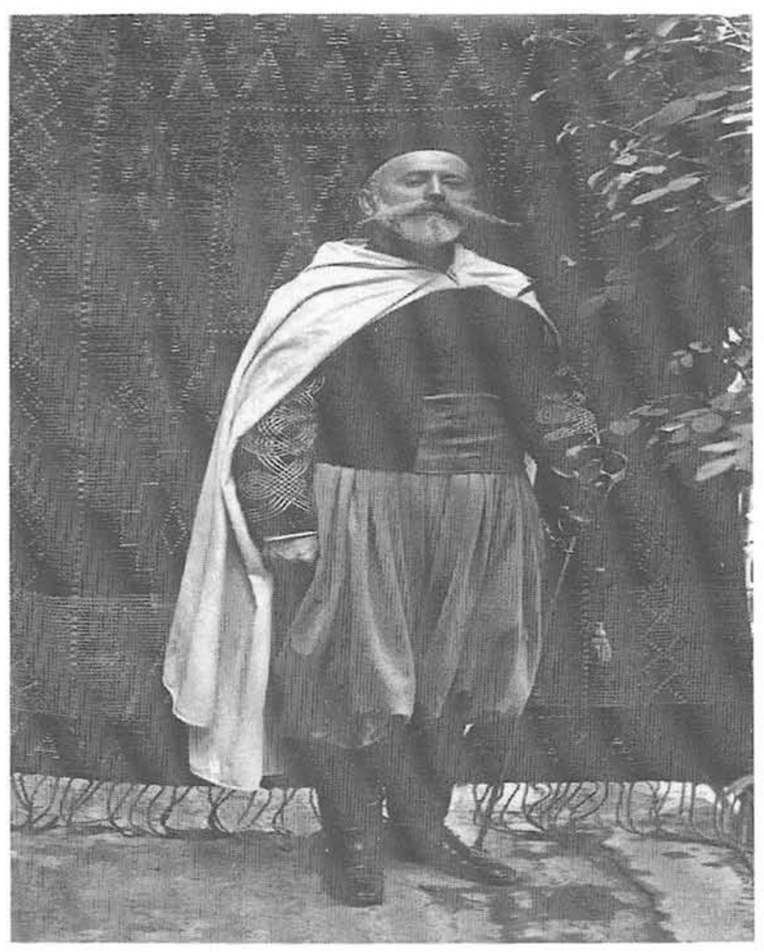
مذكرات عن هذه الرحلة، ويهمنا منها ما سجله عن لحظات مرور الموكب السلطاني في واحة تودغة، فبعد أن غادر الموكب فركلة قادما من تافيلالت، وصل إلى مشارف تودغة يوم الجمعة 1 دجنبر من السنة الميلادية المذكورة الموافق لـ (23 جمادى الأولى 1311هـ)، وفي التاسعة صباحا أخذ الركب يقطع الوادي مارا بجانب القصور المترامية على ضفافه يسارا، وفي التاسعة وأربعين دقيقة وصلوا إلى قصر (تبسباست) حيث خرج كثير من الأهالي ينظرون بفضول، وفي العاشرة وخمس دقائق كانوا بمحاذاة قصر حارة المرابطين، وبعده بخمس عشرة دقيقة تراءى لهم قصر آيت يعلى على تلة ووصفه بالروعة، ووصف الحقول بأنها مزروعة جيدا على شكل حدائق صغيرة منفصلة عن بعضها بأسيجة مرتفعة وأشجار النخيل في حالة جيدة، وفي الساعة الحادية والنصف اجتاز الركب وادي تودغة وعبروا إلى الضفة اليمنى، وأخبر أن هذا الموقع موقع جذاب، حيث ينقطع النهر بواسطة سد مرتفع جدا لأجل تزويد السواقي، وتجري على طول هذا الحائط ثلاثة شلالات وسط غابة من النخيل، وبعد ربع ساعة خرجوا من هذا المجرى في اتجاه الهضبة المسماة (أمازير نكليد) قرب ضريح سيدي داود، تلك الهضبة التي نزل بها السلطان المولى سليمان ومكث بها مدة طويلة وفيها أقام الحسن الأول إلى الغد، حيث ارتحل الركب جميعا منها صباح السبت في الساعة الرابعة والنصف في اتجاه دادس عبر إميضر..[1].

هكذا عبر الحسن الأول تودغة عبورا سريعا ينبئ عن حالة استقرار في الواحة وخضوع لسلطته فلم يضطر للوقوف فيها طويلا، يؤكد هذا الأمر ما جاء في رسالة بعث بها السلطان إلى باشا مكناس يخبره فيها عن خبر هذه الحركة بقوله: (ثم نهضنا وخيمنا ببلاد تودغة وآيت يحيا فتلقونا بسرور وابتهاج متسارعين لأداء المفروضات والميرة والهدايا، عادلين عن سبل الاعوجاج..)[2]، الأمر الذي سعد به

(1) Voyage au Tafilalet avec S. M. le Sultan Moulay Hassan en 1893. p: 52. 54.

(2) إتحاف اعلام الناس: 2/ 319.

قائد المنطقة الجيلالي الدمناتي سعادة فائقة لظهور الأمن والاستقرار في إيالته أمام مرأى ومسمع السلطان كما أخبر بذلك عنه الطبيب (ليناريس).



الطبيب الفرنسي (ليناريس) المصاحب للسلطان الحسن الأول في رحلته

بعد وفاة الحسن الأول وتولي ابنه المولى عبد العزيز، كانت البلاد قد دخلت عمليا تحت سيطرة القوى الأجنبية، وهو ما سيتأكد في مؤتمر الجزيرة الخضراء سنة (1324هـ/ 1906م) الذي أدى إلى جعل المغرب محمية أوربية قبل أن يتقاسمها الفرنسيون والإسبان معا، وبعدها بشهور أي في (رجب 1325هـ/ غشت 1907م) ستدخل فرنسا بجيوشها إلى الدار البيضاء فاستنجدت قبائل الشاوية بالمولى عبد

الحفيظ الذي كان خليفة لأخيه على مراكش بعد السخط الكبير على أخيه السلطان من فئات الشعب المختلفة، وفي يوم (الجمعة 8 رجب 1325هـ/ 16 غشت 1907) بمدينة مراكش تم إعلان خلع السلطان عبد العزيز ومبايعة المولى عبد الحفيظ الذي أعلن الجهاد، فأرسل سريعا إلى الأنحاء يدعوهم لمبايعته والانخراط في الجهاد، ووصلت رسالته في هذا الشأن إلى أهل تودغة عن طريق زاوية الحاج عمرو بعد شهور قليلة، يستنفرهم للجهاد ويأمرهم بالقدوم عليه في معسكره بقلعة السراغنة، هذا نصها:

(خدامنا الأرضين كافة قبيلة تدغة، أخص منهم بحول الله وقوته المرابطين وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته. وبعد، فطالما نبهناكم وحذرناكم مما يحاوله المخلوع عبد العزيز من استيلاء العدو على أعظم الثغور وتشوفه لرقبة المسلمين وهتك حرمهم وإجرائهم على قواعد القانون الرومي، وتبين لكم ذلك الآن بيان الشمس الضاحية في السماء الصاحية، ورأينا ذلك قد شاع ومدت الأيدي في المسلمين واشتهر الباطل وذاع، (ف) أنهضتنا الغيرة الإسلامية والمحبة الإيمانية للدفع عن الأمة، وبذلنا في صلاح المسلمين جميع الهمة لحماية هذا القطر وأرجائه كما كان في عهد أسلافنا الكرام وأوائله، وتعلمون أن المولى تبارك وتعالى عظم أمر الجهاد ووعد عليه بأعظم مثوبة تنال يوم التناد، فقال جل جلاله وتقدس كماله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٣﴾ (الصف) وقال تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ١٤ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ﴾ (التوبة) وقال ﷺ: (**إذا تبايع الناس بالعينة واتبعوا أذناب البقر وتركوا الجهاد في سبيل الله سلط الله عليهم ذلا لا يرفعه عنهم إلا إذا راجعوا دينهم**)[1]. وقال علماؤنا رضوان الله عليهم: إذا أخذ الكفار محلا

---

(1) مسند أحمد: 5007 عن ابن عمر رضي الله عنه بلفظ مقارب.

من بلاد الإسلام وجب على أهله مقاتلتهم حتى يرجع إلى أصله، وكل من يتوقف عليه الحال في إخراجهم يجب عليه وجوبا عينيا، فإذا فهمتم هذا واستحكم من أذهانكم تبين لكم أنكم من أولى الناس بالانخراط في سلك المجاهدين، وأحق أهل الإسلام بمصادمة الكفرة أعداء الدين، لما تحققنا من غيرتكم الإيمانية ونجدتكم الإسلامية؛ وقد كتبنا لكم هذا ونحن مخيمون بجيوشنا المظفرة قرب القلعة من بلاد السراغنة، جادون بكل حزم، فنأمركم بالربط في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، وأقدموا بجميع خيلكم وقوتكم ابتغاء مرضات الله لقبيلة الشاوية، أعانكم الله ووفقكم، والسلام، في 3 ذي الحجة الحرام عام: 1325هـ)، ولا ندري ماذا كان موقف أهل تودغة من هذا الاستنفار، إلا أنه مرتبط - بلا شك - بموقف الكلاويين ودورهم في الصراع بين الأخوين، فالمدني الكلاوي كان من أكبر من دعم المولى عبد الحفيظ ضد أخيه، والمنطقة داخلة تحت نفوذهم.

6- في معترك الاحتلال ومقاومته

كانت فرنسا قد بدأت زحفها على مناطق عدة من المغرب قبل توقيع الحماية، وهبت القبائل والمدن من كل ناحية للذب عن أراضيهم ضد المتدخل بما أوتوا من إمكانيات، وتحملت البوادي في ذلك القسط الأكبر شمالا وجنوبا، وعرفت أحوال القبائل اضطرابا وهيجانا وفقد الأمن في الطرقات والسبل، وأصبح لسان حال كل قبيل هو ما معه من القوة، واستطاعت القوات الفرنسية الاقتراب من تودغة وأحوازها بعد احتلالها تيغمرت قرب الريصاني في (1917م) واتخاذها مقرا لقيادتها العسكرية تحت قيادة الحاكم الفرنسي لوستري.

أولا: أحداث الثائر امبارك التوزونيني (مولاي امحند)

ا- بداية ظهوره واشتداد أمره وتسميه باسم الخلافة

لما كانت وقائع هذا الرجل مثيرة في تفاصيلها، ومؤثرة في أحوال بقعة من بقاع المغرب في هذه الفترة، وبقيت بعد ذلك تشكل جزءا من ذاكرة أهاليها ماتزال تتردد أصداؤها إلى اليوم، فسنسرد تفاصيلها - خاصة ما تعلق منها بتودغة - مرتبة ترتيبا زمنيا من حين ظهوره إلى مقتله، ثم ما كان من أمر خليفته بلقاسم النكادي وقائدهما الجبار العتِيّ باعلي، على النحو الذي ساقه الناصري في كتابه (نعت الغطريس) مع إفادات أخرى من مصادر مختلفة تعرف في ثناياها.

في هذه الظروف التي يموج فيها المغرب بأحداث المقاومة، وبينما كانت مشارف تودغة من جهة الشرق تزحف إليها خيول المستعمر، سيقدم رجل من سوس مارا بتودغة سيكون له شأن في الأحداث التالية التي ستعرفها تودغة، ذلك الرجل هو المسمى امبارك بن الحسين بن محمد بن أحمد بدّاح التوزونيني، المعروف اختصارا بامبارك بن الحسين التوزونيني[1]، ثائر يهودي الأصل، أسلم

---

(1) ويعرف أيضا في بعض الكتابات بالشريف السملالي وامحمد افروتنت. ويدعى بين قبائل =

جده بداح، وعاشت الأسرة في قرية توزونين بقبيلة أقّا إقليم طاطا حاليا، ونشأ في زمرة الفقراء يتطلب من شيوخه أذكارا خاصة ويحدث نفسه بالحكم والرياسة، ولما ظهر أحمد الهيبة سنة (1330هـ/ 1912م) وتحرك إلى مراكش لحق به، وبعد انهزام أحمد انصرف التوزونيني ينتقل بين سكتانة وإلغ ومكناسة، وأطلق شعر رأسه وتعمم بعمامة كبيرة وغاص في بلاد سوس ثم منها إلى تودغة وبلاد آيت عطا.

ففي عام (1333هـ/ 1915م) نزل امبارك التوزونيني بزاوية سيدي عبد المالك ابن أحمد بومسهولي بقلعة مكونة، ثم وجهه شيخها إلى تودغة في رفقة، وهو في هيئة ناسك عليه سبحتان، وبقي مترددا فترة بين قصورها ومساجدها، حتى إذا كان عام (1335هـ/ 1917م) توجه إلى آيت يعزى من آيت عطا واستقر بقرية إمي نتوغزة حذاء ضريح سيدي محند افروتنت، وهناك لبس لبوس الزاهد الناصح وادعى الشرف، فصار يكرم الزائرين ويرشدهم، وتزوج بامرأة شريفة من ذرية مولاي عبد الله بن حساين من تازارين[1]، كان أخوها المسمى مولاي أحمد يصاحبه في جيوشه وهرب منه لما قتل. وفي هذه الأثناء ورد عليه محمد بن أبي القاسم النكادي.

ولما كان رجب (1336هـ/ أبريل1918م)، قرر بصحبة النكادي الذي قربه وقدمه الخروج إلى الساحة والبروز إلى الميدان، فأرسل رجلا من إملوان يدعى أعبد الدايم لاغتيال حاكم تافيلالت (لوستري) بقصر تيغمرت ففعل ذلك، ثم قُتل الرجل الأملواني بعد أن قتل جماعة وجرح آخرين، إثر ذلك انحل الخوف من أهل تافيلالت وغيرهم ممن كانوا يخافون سطوة هذا الحاكم، فأعلن التوزونيني الجهاد

=

المنطقة بمولاي امحند، وماتزال أطلال منزله بادية قرب ضريح "امحند افروتنت".

(1) المرأة هي أمينة بنت لحسن ألحسن، من فرع آيت سيدي موح أمبارك من الشرفاء القاطنين بأزقور وتيزي، منطقة "أرك" قيادة "ألنيف" حاليا، فارقته بعد ذلك، وكانت له أخرى ابنة إبراهيم أسوسي من قصر "الحزبان". كذا أخبرني راوي أحداث التوزنيني. وفي تقرير (بوربير) عن تودغة أنه تزوج أيضا امرأة من حارة اليمين. وعلى كل فقد تزوج أكثر من ذلك، يطلق ثم يتزوج كما أُخبر عن حاله.

في قبائل آيت عطا لنفي المحتل عن تافيلالت، وتولى النكادي أمر قيادة جيوش التوزونيني.

وفي أوائل شوال/ يوليوز من هذا العام، التحم الجيشان في الوقعة المشهورة المعروقة بالبطحاء، وكان الجو مكفهرا بسبب الغبار الشديد الذي ملأ الأفق، وانتصرت جيوش التوزونيني بقيادة بلقاسم النكادي على الفرنسي وحزبه، بعد أن أثخنوا فيهم القتل ومات عدد من الضباط الفرنسيين وغنموا مغانم كثيرة، ففر الحاكم الفرنسي إلى قصر الدمية بين الرتب وتافيلالت تم نزل بقصر المعاضيد قرب أرفود، وبنى سدا جرف به الماء على بلاد تافيلالت، وقد كان الطيران الفرنسي يرمي على القبائل منشورات دعائية من طائرة تحذر من التوزونيني.

بعد ذلك، وفي أوائل ذي القعدة (1336هـ) تعاقد البربر وأهل السفالة بنصرة التوزونيني بحضور مقدم الزاوية الغازية سيدي الغازي، وخرج إليه الشيخ سيدي علي بن العربي الهواري مع جيوش آيت عطا وآيت مرغاد لمناصرته ثم رجع عن ذلك، وأثناء إقامته في داره بإملوان قدم عليه أهل تافيلالت لمناصرته، ثم واصل سيره إلى تكرومت، وفي الطريق قتل العلامة القاضي عبد الواحد بن القاضي سيدي الهاشمي الأنصاري على يد جنديين من جنود الأنكادي ونهبت داره وبعد أيام قتل مقدم زاوية مولاي علي الشريف إلى غير ذلك من أفعال الشدة، فلما دخل قصر الريصاني كُتبت البيعة له وسُمي باسم مولاي امحمد بن الحسن الابن الأكبر للسلطان الحسن الأول[1]، واتخذ طابعا بذلك وخطب له على المنابر، وكاتب الأنحاء والآفاق يدعوهم للجهاد، وتليت رسائله في الأسواق، خاصة لدى مقاومي الأطلس بقيادة الحسين أوتامكا وسيدي موحا الحنصالي، وكذلك أهل تودغة الذين وصلهم كتابه مخاطبا فيه المهدي الناصري بقوله: (**المهدي في تنغير، السلام على من اتبع الهدى**، وبعد: **فقد طلع النهار وارتفع الغبار، وفتح الله بطلعتنا على**

(1) وكان الثائر الجيلالي الزرهوني المعروف ببوحمارة قد ادعى ذلك أيضا، إبان ثورته على عهد السلطانين مولاي عبد العزيز ومولاي عبد الحفيظ.

المسلمين وأنت تزعم أنك أعلم أهل زمانك، وأنك إمام أوانك على أنك لم تعمل بعلمك، بل اشتغلت بالبنيان وتحسين الملابس، وواليت الكلاوي والفرنسيس، ولم تبال بأمور الجهاد، وستعاين إن ظفرنا بك ما يسوؤك بحيث لا يخلصك أحد من أيدينا، والسلام). وهي رسالة تظهر مواقف هذا الفقيه من هذا الثائر من أول ظهوره، موقف لا يمثله وحده بقدر ما يمثل بعض من حوله من القبائل.

ولما كان (محرم1337هـ/ أكتوبر)، ظهر في ناحية ورزازات بمنطقة تيفرنين بالبلدة المسماة "تغوغت" الثائر المسمى مولاي الحاج، فكتب الكلاوي في تاريخ: (17ربيع الأول1337هـ/ 20 دجنبر 1918م) إلى مناطق ظهور الرجلين وإلى المهدي الناصري بعد مراسلة الأخير إياه وإعلامه بأمر التوزونيني، يعلمهم بإعداد (محلات) تقدم على المناطق لتمهيدها، وإعداد أخرى تمر على مكناس والاقصابي، وكتب أيضا إلى أهل دادس وسدرات ومكونة، ولعل توليه بنفسه زمام هذه (الحركة) يظهر مدى خطورة الوضع في هذه الناحية من إيالته، فحاصر رجل تيفرنين مولاي الحاج الذي فر إلى وادي بكماز[1]، ووقعت بسببه فتنة بين أهل بوكماز مات فيها رقاب كثيرة انتهت بعقد صلح، ثم رحل هذا الثائر إلى تودغة وحل بقصر امزيلن، وواصل سيره حتى بلغ التوزونيني في تافيلالت فقتل على يديه، كانت المقاومة في النواحي تبحث عن صلات تقويها ضد الاحتلال، فتحرك في هذا الوقت موحا الحنصالي الذي توجه بجيشه إلى ناحية أوسيكيس بأعلى دادس لدعم قبائل آيت عطا المجاورة ضد تحركات الكلاوي المساند من فرنسا، وانعقد اجتماع في زاوية أحنصال بحضور الحسن أوتامكا وسيدي موحا الحنصالي لأجل دعم التوزونيني في حركته إلى تودغة[2].

---

(1) سمعت من معمر أدرك أحداثه بورزازات، أنه كان أيضا ممن يعتقد فيه الكرامات، ثم إن حركة الكلاوي لما حلت بتفرنين فر مولاي الحاج إلى بلدة آيت ساون القريبة ثم منها إلى بوكماز.

(2) مقاومة سكان أزيلال: 686.

ب- حملته التوزونيني الأولى على تودغة ومواجهته الباشا التهامي الكلاوي

في هذه الأثناء خرجت جيوش التوزونيني من تافيلالت، بينما كانت جيوش الكلاوي برفقة الجنرال الفرنسي (دولاموت) في طريقها إلى تودغة، ففي يوم: (الأربعاء 13 ربيع الثاني 1337هـ/ 15يناير 1919م) وصل جيش التوزونيني إلى تودغة قاصدا قصر تنغير فلما وصل حاصره مدة يوم ونصف، من ظهر الخميس إلى شروق شمس يوم السبت، ونشب القتال بين الفريقين واستطاع أهل تنغير رد الهجوم ولم تحقق غاية التوزونيني.

وفي يوم (الأحد: 17 ربيع الثاني1337هـ/ 19 يناير) وصلت رسالة جوابية من الباشا التهامي الكلاوي وهو في آيت أوزين بدادس يهنئ فيها أهل تنغير على صمودهم ويحث الفقيه المهدي الناصري على تثبيت الناس ويعدهم بالنصر والظفر، وفيها ورد أيضا أن أعيان آيت عطا من إميضر وردوا عليه أثناء إقامته بآيت أوزين فكلفهم بجمع المؤونة ولوازم (المحلة) وبات عندهم يوم الثلاثاء.

ولما كان يوم (الأربعاء 20 ربيع الثاني1337هـ/ 22 يناير) دخل الحاج التهامي الكلاوي تنغير، ففرت جيوش التوزونيني إلى تافيلالت، ومكث الباشا الكلاوي وأخوه حمو في تودغة مدة ثلاثة وعشرين يوما، عملا فيها على تعقب المخالفين وكسر شوكتهم، فرتب لذلك حامية مستقرة بتدغة تراقب الأوضاع وتحمي المنطقة من التوزونيني.

وفي مدة إقامة الكلاوي بتودغة كانت الوفود تأتيه من النواحي وتصل إليه الرسائل، ومنها رسالة بعث بها بعض أعيان ألنيف من آيت يعزى العطاويين إلى الباشا بخصوص أمر بينهم وبين آيت واحليم وهم من عطا كذلك، فأرسل إليهم المهدي الناصري برسالة يخبرهم فيها بفرح القائد برسالتهم ويأمرهم فيها بالقدوم عليه، مما يدل على ميل من ناحيتهم إلى جانب الكلاوي ضد التوزونيني. وهذا نص رسالة الفقيه الناصري كما وقفنا عليها بخط يده:

(الحمد لله: إخواننا وأعز ما لدينا، قبيلة آيت يعزى خصوصا الأعيان والشيخ

يوسف أبيه وأبايش الزواوي ومحمد والحسن وغيرهم، كل باسمه أعزكم الله وأصلح وأدام سلامتكم، وسلام عليكم ورحمة الله، وبعد:

فقد وصل كتابكم وفرح به القائد غاية، واهتزت المحلة بخبركم، وبعث القائد كتابكم حتى قرأه على كلاب آيت واحليم، وقال لهم: إنكم(؟) في الهناء، فأنكروا ما فعلوه في الساقية، وقال لا بد من إعمال العرف بينكم وبين آيت يعزى، ولم يبق للكلاب إلا الهروب، وقد شتت الله شملهم فتراهم يشتكي بعضهم ببعض، وقد تفرقوا فلا يجتمعوا أبدا، وقد كفاكم الله بفضله همهم، وعليه فبادروا بحركة نفخر بها على الكلاب، والرقاص قد أعطاه ثمانية ريالات حسنية، وعلى المحبة والسلام. المهدي الناصري لطف الله به).

ومنها أيضا ورود الخبر إليه باغتيال شيخ الزاوية الناصرية أحمد بن أبي بكر بن علي بن يوسف بن محمد بن محمد بن ناصر بعد صلاة يوم (السبت 22 ربيع الثاني1337هـ) بفناء زاويته، وقد أخبرني راو عن أحد الذين كانوا في هذه المجموعة التي اغتالت الشيخ المذكور، أنهم دخلوا عليه بصفة ضيوف فأكرمهم ثم انتهزوا الفرصة فقتلوه، وقتلوا معه عبدا من خدمه، قتله هذا الشاهد الذي روى عنه من حدثني بالخبر، قال: فولوا مدبرين وساعدتهم أجواء عاصفية على الفرار والنجاة. وكان التوزونيني لما أراد أن يرسلهم وصف هذا الشيخ بأنه وتد من أوتاد الكفر يريد أن يستأصلها.

كان من ضمن أفراد هذه (الحركة) الطبيب الفرنسي (هيرسون herisson) رئيس المجموعة الطبية المتنقلة بمراكش، وقد قام هذا الرجل بتسجيل مجموعة من وقائع هذه الحركة من حين بدئها إلى رجوعها في مذكرات شخصية نشرتها الجريدة الفرنسية (فرنسا المغرب)[1]، ومما سجله بخصوص الحركة وأحداثها في تودغة:

- أن تعداد هذه الحركة مكون من خمسة آلاف (5000) مقاتل، منهم مائة جندي نظامي من مراكش ممن كان يعمل في حراسة أبوابها.

(1) عدد صادر في: 15 أكتوبر 1919م.

- في هذا اليوم الذي دخلت الحركة فيه تودغة خرج سكان من أهاليها رجالا ونساء ومن اليهود لاستقبال الباشا وحركته بالأهازيج والأغاني، واستقرت الحركة ليلا بمقر قلعة المدني الكلاوي بمنخفض محاذي للواحة.
- وصل إلى الباشا التهامي خبر استيلاء مناوئيه على بغلتين محملين بالمؤونة وجرح راكبيهما بعد أن أصيبا بالرصاص، وبعد وصولهما إلى الباشا التهامي مات أحدهما فورا في حين تم إسعاف الآخر.
- وأشار إلى أنه في يوم (الجمعة 24 يناير): تعرضت الحركة في مكانها لهجوم مباغت من طرف بعض مقاومي حارة المرابطين وبعض آيت عطا الموالين للتوزونيني، ابتدأت من الساعة الثانية مساء إلى الخامسة، اضطرت الباشا الكلاوي إلى الصعود بالحركة إلى أعلى إحدى الهضبات للمواجهة، وقد ساعدهم هذا الموقع في صد الهجوم وجعل نتيجة المواجهة لصالحهم بعد أن قُتل خمسة أفراد وجرح سبعة عشر من جيش الكلاوي، فتوجه الباشا الكلاوي وأخوه القائد محمد الكلاوي (حمو) إلى قصر الحارة وقادا معركة شديدة مع مقاوميهم.
- في يوم الاثنين بعد ذلك استضاف شيخ قصر تنغير الذي كان من أعوان المدني الكلاوي الباشا التهامي ومن معه في القصر للغداء، وهو اليوم الموافق للسوق الأسبوعي فمُنع على كل أجنبي أن يدخل بسلاحه إلى السوق، وأُعلن أن من فعل حكم عليه بالإعدام، ثم صعدوا بعده إلى الكدية العالية المشرفة على الواحة وأثناء ذلك سمعوا دوي طلقات نارية لم يعرف مصدرها.
- في يوم 2 فبراير: حل الجنرال الفرنسي دولاموت قائد منطقة مراكش بتودغة، وقد هبت في هذا اليوم عواصف رملية شديدة أسقطت بعض الخيام صحبتها أمطار خفيفة.
- وفي 4 فبراير: قدم السيد علي بن العربي الهواري الدرقاوي في خمسمائة من رجال آيت مرغاد إلى خيمة الطبيب للفحص، وقد ذكر المهدي الناصري أن هذا الشيخ ومن معه قدموا إلى الكلاوي قبل ذلك يوم (28 ربيع الثاني/ 30

يناير) فأعلنوا مساندتهم له ورفض التوزونيني، فأكرمهم غاية الإكرام وجعل على قبائلهم مقدمين.

- وفي 7 فبراير: أصيب أحد عبيد القائد حمو الكلاوي بطلق في جبهته وتم إسعافه.
- وفي 9 فبراير: تناول الطبيب وجبة الغداء بصحبة جميع الضباط عند شيخ قصر تنغير وشرب الشاي بالكدية المجاورة.
- وفي 10 فبراير: هبت رياح عاصفية شديدة تعذر معها اجراء الفحوصات للأهالي.
- وفي 12 فبراير: قامت عناصر من آيت عطا بمهاجمة جيش الباشا بالمكان المسمى (تيزي تزكّاخت) مدخل تنغير حاليا من جهة إمضر، فقتل شخصان وجرح ستة من صفوف الكلاوي.
- وفي13 فبراير: غادرت حركة الكلاوي تودغة، وفي الطريق عند المكان المعروف بإمي نلقوس (بين تيمضروين وأمان نقيدار) حصلت معركة مع بعض المهاجمين من آيت عطا جرح فيها أربعة أشخاص جرحا خفيفا من جيش الكلاوي ثم نزلت الحركة بإميضر، وفي الغد واصلوا سيرهم إلى دادس، وأثناء سيرهم مات رجل فأقبر بجانب الطريق.

تلك كانت بعض ملاحظات الطبيب الفرنسي التي لم تتجاوز مجرد وصف خارجي ونقل لأحداث جزئية شاهدها، إلا أنها تصرح أن مقام الحركة في تودغة لم يكن آمنا بسبب ما تعرضت له من هجمات استمرت حتى وهي في طريق الإياب عكس ما عند الناصري، ولعل أهم إشارة أوردها ولم يعرج عليها الناصري رغم أهميتها هي قدوم الجنرال الفرنسي (دولاموت) بنفسه إلى تودغة، ولا شك أن هذا الإغضاء عن مثل هذا الحدث من الناصري لا يفسره إلا موقفه من هذه الأحداث ومن أطرافها، فلا يمكنه وهو المتهم بموالاة الفرنسيين إلا أن يتجنب ذكر الحدث إبعادا للتهمة.

ومما يشار إليه أيضا أن الطبيب الفرنسي - إضافة إلى مهام التطبيب الرئيسية

الخاصة بالجيش - كان يقوم بين حين وآخر بفحص الأهالي ويقدم الأدوية، وهذا عمل يعبر عن بعض جوانب السياسة الاستعمارية التي أرسى توجهاتها المقيم الفرنسي (ليوطي) المعتمدة على التقرب إلى الأهالي والظهور بمظهر الصديق المساعد، وقد لاحظ خلال عمله هذا انتشار مجموعة من الأمراض بين سكان الواحة وبخاصة أمراض العين والروماتيزم، كما ذكر أنه في مدة إقامته كان يسمع عن آيت عطا أنهم يوصفون في طبائعهم بالوحشية، وعن نمط عيشهم الذي يعتمد على التين الجاف من دادس بمعدل عشر قطع في اليوم.

ج- حملة التوزونيني الثانية على تودغة

لم تمض إلا بضعة أيام على مغادرة الكلاوي تودغة حتى أخذ التوزونيني يتهيأ لحملة ثانية، وكأنه أراد بذلك أن يستغل فرصة انصرافه وانشغاله بمن في منطقة ورزازات، ففي يوم (الخميس20 جمادى الأولى 1337هـ/ 20 فبراير) أي بعد سبعة أيام من ذهاب الكلاوي، كاتب التوزونيني الفقيه الناصري وأهل تنغير يطلب منهم الانضمام إلى الجهاد والحضور إليه في أيسر مدة وإلا عوقبوا. ولم يستجيبوا له، فهيأ جيوشه للمرة الثانية، فلما كان يوم (الخميس27 جمادى الأولى 1337هـ/ 27 فبراير) دخلت جيوشه تودغة، وكان تعدادها يصل إلى سبعة آلاف جندي وزيادة، فنزلت فرقة منه من آيت عطا بقصر آيت محمد، وأخرى من آيت حديدو وآيت ومرغاد بقصر توريرت نمزيلن.

وفي (الثلاثاء 2 جمادى الثانية 1337هـ/ 4 مارس) التحم جيش التوزونيني بجيش أهل تنغير في موقع بين قصر تنغير وأمزيلن المسمى تسكا[1]، كان من نتائجه استيلاء التوزونيني على تسكا وهدم الساقية التي به وإجاحة كثير من الزروع وقطع النخيل والأشجار، ثم لما لم يتمكن جيش التوزونيني من الاستيلاء على قصر تنغير جنح الفريقان إلى الصلح على ألفي ريال يأخذها جيش التوزونيني مقابل رفع

(1) هي غير (تسكا) المعروفة بأمزاورو.

الحصار، وهو الأمر الذي لم يرضه فريق من معسكر التوزونيني، ودام الحصار مدة شهر وثمانية أيام إلى أن انصرف الفريق الذي لم يرض بالصلح[1]. وفي هذه الوقعة قُتل من أهل قصر تنغير عدد من الرجال منهم:

- **من آيت موسى**: بم وأحمد وابن عمه علي، وبعزة، وحم نايت سالم وأخوه العربي.
- **من آيت عبد الوهاب**: محمد بن الحسن.
- **من بني سعيد**: محمد بن المكي وغيرهم.

بعد هاتين المحاولتين اللتين لم تستطع فيهما جيوش التوزونيني اقتحام قصر تنغير، وجه جهده وجيوشه للاستيلاء على واد غريس وفركلة تحت قيادة رجل يسمى القويبع من برابرة أزمور، فانهزم في معركة مع أهل حرث بغريس وقتل قائده، فاضطر التوزونيني إلى إرسال القائدين أحمد الربيبي والعربي السريري لاستمالة آيت مرغاد، فحصل له ذلك ونقضوا ما كان بينهم وبين الكلاوي من اتفاق إثر زيارتهم له بتودغة، ثم أرسل التوزونيني جيشا آخر إلى أهل حرث المذكورين بقيادة الحسن العيساوي فاستسلموا وهدم قصرهم وقتل رجالهم، ثم سار إلى قصر كلميمة فاستولى على دار سكو بوش المعروف بأختوش صهر سيدي علي بن العربي الهواري ونهب ماله، أما السيد علي بن العربي الهواري فدخل زاويته وتحصن بها مع من كان معه، فأرسل إليه خليفته العيساوي فهجم على الزاوية وصدهم أهلها وقتلوا منهم خمسة وجرحوا نحو سبعة وسبعين رجلا، فرجع عن الزاوية دون تحقيق الهدف، ثم بعد ذلك أرسل التوزونيني قائده علي بن التهامي التازاراني المعروف بـ (باعلي) إلى الزاوية وحاصرها وقتل أثناء ذلك عددا من العلماء. وكان قدم من جهة ألنيف وبات هناك بجيشه بقرية تيزي، وكادت تقع بينه وبين أهل ألنيف موقعة بكدية بالمكان المسمى الآن آيت لحبيب.

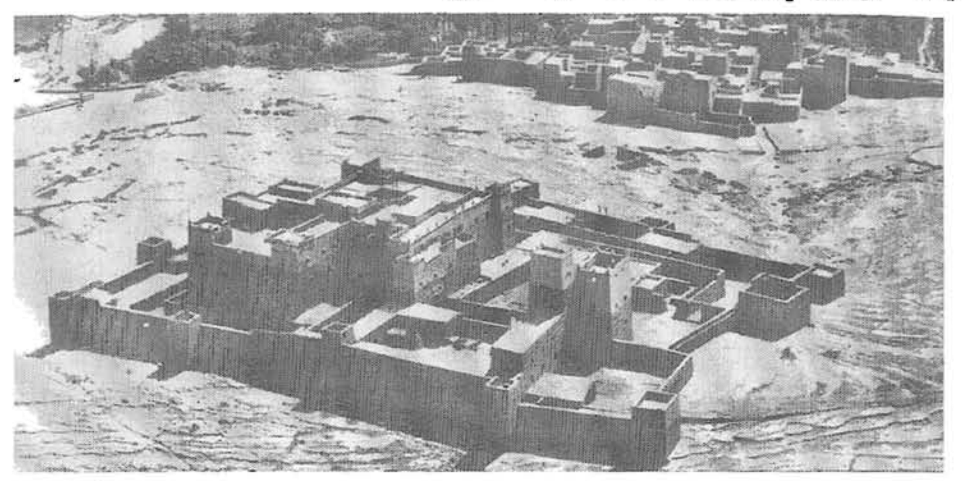
(1) كان أغلب جيش التوزونيني من آيت عطا، والذين عقدوا الصلح منهم هم آيت واحليم على الخصوص، بينما لم يقبله آيت ايعزى وآيت الفرسي وآيت خليفة وآيت عيسى مزين وآيتا نبكي وأهل تودغة الذين كانوا معهم بسبب أن التوزونيني لم يأمر به. ثم إن آيت واحليم سينحازون بعد ذلك إلى الكلاوي.

د- مقتل امبارك التوزونيني على يد قائده بلقاسم النكادي

كان النكادي قد وجد من سيده التوزونيني أمورا كثيرة اغتاظ منها وحنق، حتى إذا كان يوم (آخر محرم 1338هـ/ 2 أكتوبر 1919م) أقام التوزونيني عرضا لجيش أعده لقتال الفرنسيين في أرفود، فلما أخذ يسير بين صفوفه يستعرضه واجه قائده النكادي بكلام أغلظ له فيه ووبخه وضربه بطرف بندقيته على صدره لأمر متعلق بنظام الجيش، فانتهزها النكادي فرصة فاستدار إليه ورماه ببندقيته أرداه على إثرها قتيلا، فبايع الناس النكادي وصار حامل لواء مقاومة الفرنسيين في المنطقة بعد ذلك، وقد كان كثير من القبائل والمقربين إلى التوزونيني ضجروا من سوء معاملته وغلظته على عكس قائده النكادي الذي كانوا إليه أميل لما فيه من لين وبعد عن فظاظة سالفه، وقد قيل إن قتله ومبايعة النكادي كان أمرا يُعد له منذ وقت وتُتحين فرصته حتى سنحت فانتهزها، وقد دفن التوزونيني في المكان المسمى (أولاد لمام).

هكذا أصبح بلقاسم النكادي سلطان تافيلالت الجديد، فكتب إلى الأنحاء يدعوهم للجهاد، ويبدي في سياسته اللين ونبذ القسوة والشدة التي كان عليها سلفه متبرئا منه ومن أعماله، فكتب إلى تودغة وأهل تنغير خاصة، في شخص المهدي الناصري ومقدمهم وعلي نايت سالم وغيرهم بتاريخ: (3 صفر 1338هـ/ 27 أكتوبر 1919م) قائلا: (**وبعد: اعلموا أن الله نسخ الآية التي من قبل بدت بأحسن منها، فسارعت قلوب المؤمنين كلهم إلى قبولها ورضيت، فقلدونا أمورهم لما علموا من استحقاقنا لها، وعلينا وقفت ووجبت، فتوكلنا على الله في حملها ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ وعليه فإن كنتم مؤمنين، وأردتم النجاة في الدنيا والآخرة فادخلوا في عقدهم وانتظموا، وعليكم العهد والميثاق والأمان التام، ونحن سامحناكم في النفور عمن قبلنا لما علمنا من قسوته وغلظته وجفائه، ونحن لا نريد إلا إحياء الدين ونصره، ولا عدو لنا سوى الكافر ومن يعينه، وإلا فأيقنوا بالهلاك، فإن الله ناصرنا على الجميع طوعا أو كرها.. إلخ**)، كما كتب إلى آيت مرغاد وقائدهم العربي السريري بالكف عن محاصرة الشيخ الهواري في زاويته، لكنه لم يفعل بل احتال

عليه حتى تمكن من دخول زاويته فقتله ومن معه، يجعلونهم في فم المدفع فتطير أشلاؤهم، وقد كانت مدة حصار الشيخ إلى مقتله ثلاثة أشهر ونصف الشهر، من أوائل ذي القعدة إلى أواخر صفر، قتل معه من أصحابه ثمانية عشر رجلا، وقتل أيضا حبر يهودي (حزان) تجاوز عمره الثمانين عاما.



قصبة الكلاويين في تودغة



الحاج التهامي الكلاوي

ثانيا: حركة باعلي التازارني إلى تودغة

ا- خروجه إليها وسيطرته على أكثر قبائلها وتوسعه في النواحي

كان باعلي هذا رجلا بلغ من الفظاظة والقسوة مبلغا عظيما حتى نُحتت أفعاله وسيرته في ذاكرة من عاصره وتناقلها من جاء بعدهم، ولقبوا العام الذي ظهر فيه بعام باعلي، وأصل الرجل كما أخبرني بعض من وعى أخباره أنه ابن المسمى التهامي، له أربعة إخوة هم أعمام باعلي، أحدهم شقيق هو الحاج عبد السلام، والثلاثة الآخرون غير أشقاء وهم: الحبيب وسيدي موح وسيدي عزيز أبناء المسمى لحسن بن التهامي، يرجعون في نسبهم إلى سيدي محند أمنصور دفين تازرين قدم سوس واستوطن درعة، فأما الحاج عبد السلام فكان قاضي تازرين وفقيهها توفي عام (1364هـ)[1]، وأما أخوه التهامي أبو علي فكان فقيها شارط في ألنيف وكانت فيه حدة، وسيدي موح كان في أزقور مشارطا، بينما كان سيدي واعزيز مشارطا في تنفيفت، ولم أدر حال سيدي الحبيب، ثم إن خلافات قامت بين التهامي وأخويه غير الشقيقين سيدي الحبيب وسيدي موح، فلما كان التهامي في إحدى زياراته لبلدة أزقور لتدبير بعض أموره، ترصده أخوه سيدي موح في الحقول فأرداه قتيلا، وكان ابنه باعلي ساعتها غلاما، فلما بلغ مبلغ الرجال استأجر من يأخذ بثأر أبيه من عميه فقتلهما، ولم أدر هل كان ذلك إبان ظهور أمره أو قبله. ولما ظهر امبارك التوزونيني (مولاي امحمد) انتظم في جيشه وأظهر من البسالة والشجاعة ما جعله يصير من كبار قواده.

في الفترة التي كان فيها باعلي يخوض في دماء قبائل غريس وفركلة، وأظهر من البأس والشدة ما ارتعدت له الفرائص، وصلت رسالة أخرى من النكادي إلى الناصري بتاريخ (الخميس 5 ربيع الأول 1338هـ/ 27 نونبر1919م) يأمره فيها

---

(1) وتأتيه أيضا قبائل منطقة (وادي الرك) دائرة ألنيف وما حواليها حاليا، كما تشهد عليه بعض العقود التي وقفنا عليها.

بالقدوم عليه والدخول في الجماعة بحسب قوله، فأجابه الناصري بما يفيد تمسكه بموقفه الذي كان عليه. فأرسل قائده باعلي من هناك إلى تودغة في جيش كبير، ضم إمدادات ومساعدات من المقاومة الأطلسية، فنزل بقصر حارة المرابطين، وانحاش إليه أكثر أهل تودغة، فلما رأى أهل قصر تنغير منهم ذلك بادروا إلى الهجوم على قصر تسكا وآيت محمد فقتلوا منهم الرجال ونهبوا الأموال وتقووا بذلك وكثرت أتباعهم، ورجع كثير من أهل تودغة إليهم. ولما كانت سنة (1920م)، وبينما كان باعلي يصول بخيله ورجله في تودغة، بدأت تنحل عرى قبضة النكادي في غريس وفركلة، فإن آيت مرغاد الذين بغريس وتدغست طردوا خليفة الانكادي إبراهيم بن محمد العطاوي الحطوشي الكائن بقصر مجمان، وسلك أهل فركلة المسلك نفسه، فنقضوا على الخليفة حسن العيساوي النازل بقصر آيت عاصم، قاتلوه ثلاثة أيام فهجموا على القصر وأوقدوا عليه النيران فاحترق هو وأصحابه، وكانوا خمسة وأربعين رجلا، فلما وصل الخبر إلى علي التازاراني قبض على نيف وأربعين رجلا من آيت مرغاد وذبحهم ورمى بأشلائهم.

وأما خبر باعلي بتودغة، فإنه لما كان يوم (الأحد 26 جمادى الأولى 1338هـ/ الأول من فبراير 1920م) انتقل إلى قصر إمزيلن، وبعد صلاة العصر من هذا اليوم وقعت بينه وبين أهل تنغير موقعة كبيرة مات فيها من أعيان تنغير: الحاج محمد نايت وعلي اليوسفي وابن عمه حم علا. واشتد الأمر على أهل تنغير وباتوا ينتظرون مدد الكلاوي الذي لم يصل، بينما واصل باعلي سيطرته، ففي: (23 جمادى الآخرة/ 13مارس) هجم على قصر إعدوان فاستولى عليه، ومات من رجال تنغير زيد من بني المسعود بن عمرو، وفي غده أي يوم (24 جمادى الثاني/ 14 مارس)، تحالف أهل قصر حلول مع باعلي ودخل عندهم.

وبهذا دانت قصور تودغة لباعلي، ولم يبق تحت حكم الكلاوي إلا ثلاثة قصور هي: أسفالو وأفانور وتنغير[1]. وفي إطار العلاقة مع مقاومة الأطلس توجه في هذا

---

(1) أخبر الناصري أن أهل تنغير كادوا يستسلمون وينقلبون إلى باعلي.

الشهر مولاي الحنصالي وسيدي عبد المالك الحنصالي إلى أوسيكيس لمتابعة أحداث تودغة، وتشاورا مع آيت عطا غير الخاضعين ثم كونا حركة في شهر ماي لمساندة باعلي، لكنها لم تتم وتوقفت عند حدود أوسيكيس.

بلغت أخبار باعلي قيادة مراكش والباشا الكلاوي، فكتب الكلاوي بتاريخ: (19 شعبان 1338هـ/7 ماي) إلى الناصري كتابا وصل إلى تودغة في (10رمضان/ 27 ماي)، يخبره فيه بإعداد حركة هائلة لتوطيد الأمن بتلك الأرجاء، ويأمره فيها بتثبيت الناس.

وأثناء ذلك كان باعلي قد استولى على كثير من أنحاء المنطقة، بعد أن تقوى جيشه بما رتب على كل قبيلة أن تعطيه من المؤونة وعشرة رجال، ففي العاشر من هذا شهر رمضان وبدعم من مولاي الحنصالي هجم على قصر آيت داود أوعزي من آيت حديدو وقتل الرجال ونهب الأموال، وأخبرني راوي أحداثه عن محدثه الذي كان مع باعلي أنهم حاصروا هذا القصر فاستسلم أهله، وأرسل إليهم باعلي للمفاوضة فجاءه أهل الجماعة بعد أن استأمنهم وكانوا أربعة عشر رجلا، فلما تمكن منهم قتلهم جميعا، ولما قيل له إن ذلك غدر، قال ما معناه: لا يؤخذ اللئام إلا بهذا!

وتوجه إلى دادس واستولى على آيت موتد وآيت بويوسف وآيت بومالن وآيت ترموشت، ووقع قتال بين الجيش ونائب الكلاوي وكانت الغلبة لنائب الكلاوي، ونهب قبيلة آيت يحيى بكردوس. ثم توجه إلى أوسيكيس التي وصلها يوم 29 يونيو، وبعد ذلك إلى زاوية أحنصال، وقدم ثلاث ذبائح وهدية من سبعة ثيران وبندقية إلى موحا الحنصالي وبغلتين اثنتين وسلهامين اثنين، وأهديت إليه أربعة خيول، ورجع عن طريق أوسيكيس إلى تودغة[1].

كان الحصار قد اشتد على قصر تنغير واستمر إلى ما بعد رمضان حتى بلغ مد القمح بتودغة عشرة ريالات ومد الشعير سبعة ريالات ونفدت المخازن حتى هلك

(1) مقاومة سكان أزيلال: 688.

من هلك من الصبيان والنساء، فضلا عمن قتل أثناء هذه المدة مما ينيف عن خمسين رجلا، فأنجدهم الكلاوي بمعونة مقدارها ألف ريال وخمسمائة خففت من شدة الأحوال، ولما علم باعلي بقدوم حركة الكلاوي قبض على أشياخ تدغة مخافة ميلهم إليه.

ب- معركة (فم القوس) بين باعلي والكلاوي ونهاية أمره بعد ذلك

خرجت جحافل حركة التهامي الكلاوي التي تقدر بحوالي عشرة آلاف رجل[1] من مراكش قاصدة تودغة لرد باعلي وقائده النكادي، فلما كان (أوائل ذي القعدة/ أواسط يوليوز 1920م)، حطت الحركة رحالها بالقرب من مشارف تودغة على وادي دادس، فأوقعت بآيت موتد وقبض منهم على أربعين رجلا، منهم شيخهم المسمى محند أحميد واقتيدوا إلى تلوات وألقوا في السجن هناك، ثم أطلقوا بعد ذلك بافتداء كما أخبرني بعض من عرف خبره من أهل المنطقة، وكان أهل موتد قد استنجدوا بموحا الحنصالي لمساعدتهم فلم يتمكن من ذلك، وتابع الكلاوي سيره حتى نزل بإمضر.

حتى إذا كان يوم (16 ذي القعدة/ 31 يوليوز)، تعرض باعلي بجيشه لحركة الكلاوي عند المكان المعروف بإمي نلقوس (فم القوس) بين تيمضروين وأمان نقيدار، فانهزم جيش باعلي[2] وتولى القهقرى وتفرق شذر مذر، وخرج أهل تنغير

---

(1) La-renaissance-du-Maroc: (1912 - 1920). P: 164 magazine franc maroc: Août, 1920. p: 187.

وقيل في عدد هذه الحركة أكثر من هذا، أوصلها بعض الفرنسيين إلى خمسة عشر ألف جندي. وهذا وارد جدا فإن الحركة أخذ ينضم إليها من أفراد القبائل الخاضعة لنفوذ الكلاويين أعداد غير يسيرة، وهذا قد سمعته ممن شاهد هذه الحركة إبان نزولها بورزازات، ووصف جيوشها بأنها كالنمل أو الجراد المنتشر.

(2) حدثني أحد من شارك بعض أخوته في هذه المعركة بجانب (باعلي) أن هذا الأخير تخندق بجيشه في هذا الموقع قبل وصول الحركة، وفور وصولها ظهر الفرق الكبير بين ما كانوا فيه من عدد وعدة وبين ما كانت عليه حركة الكلاوي. فحصل ما ذكر أعلاه، قال: ففر أخي =

من الحصار، وأطلقت أيدي الجيوش الكلاوية على قبائل تلوين وواكليم وأقدار[1]، وهجموا على قصر إمزيلن وقتلوا منهم عشرة رجال ونهبوه، واستولوا على ما كان في منزل باعلي الذي كان يقيم فيه، وتتبع جيش الكلاوي جيش باعلي، فمروا على آيت عيسى إبراهيم وآيت يعزى وآيت إسفول وآيت الفرسي حتى المكان المسمى تيزي نبوجو، وهدم قصور الحارة وتوريرت نمزيلن وحلول وإعبوزان.

وأما باعلي فقد كان أمسك جماعة من أشياخ تودغة مخافة أن ينحازوا إلى الكلاوي كما ذكرناه، فلما كان في الطريق وقد هرب قتلهم جميعا، وساءت العلاقة بينه وبين الحسين أوتامكا، فقد قررت قبائل آيت عطا نمالو وآيت سخمان وآيت يسري أنصار الحسين أوتامكا الوقوف ضد باعلي، وظهر ذلك بعدما منح آيت عطا نمالو اللجوء إلى هاربين اثنين من جيشه، وأرسل في طلبهم فلم يُمَكّن من ذلك[2]. وبعد أيام، في (أوائل ذي الحجة 1338هـ/ أواسط غشت 1920م) رجع الكلاوي إلى مراكش، بعد أن رتب حامية من العسكر في تودغة وعين خليفة له يدعى سعيد أولعيد أتفنوت.

على إثر هذه الحركة التي قادها باعلي إلى تودغة والأنحاء المجاورة، أظلم الجو بينه وبين قائده النكادي بعد أن بلغ كل واحد منهما ما توجس به من صاحبه، فربما كان باعلي قد أخذ يتصرف بحسب هواه مخالفا قيادته، مع احتمال أن يكون له تطلع إلى الانفراد بالسلطة في هذه الأنحاء لما غلب عليها، فقد أرسل إليه قائده

=

وبعض من رافقه لا يلوون على شيء.

(1) كانت هذه الجيوش المختلطة كسيل جرار لا يبقي ولايذر، وسمعت من بعض أهالي قصر أمان نقيدار، أن خليفة الكلاويين في إيميضر المسمى "فسكا" كان قد أرسل إليهم من يخبرهم بأن الحركة ستمر بواديهم وعليهم أن يخلوا قصورهم، فنزحوا من ديارهم إلى شعاف جبال صاغرو المحاذية هربا، وبعض من بقي تعرض لأنواع الإهانات خاصة السرقة والنهب.

(2) مقاومة سكان أزيلال: 416.

النكادي بخصوص الغنائم، لكنه استبد بها كما أورد ذلك المختار السوسي، فأرسل الفقيه الحبيب بن أحمد التدغي إلى النكادي سرا يحذره من باعلي وأنه يريد أن يستبد بالأمر كما فعل هو مع الثائر النوزونيني، فقبض النكادي على أهل باعلي وإخوانه وعشيرته[1].

ضاق الخناق على باعلي وأخذ يستنجد بمن حوله، فكتب إلى الفقيه العلامة المجاهد محمد بن الحاج التلتفراوتي بأسول سيدي بو يعقوب: (بعد الحمدلة والصلاة، فالمؤكد به عليكم غاية الإغاثة والمعاونة على نصرة الدين، لأنكم من أهل الفضل والكرم، ولا نقبل منكم عذرا، وقد كنا ننظر إليكم كمثل هلال العيد لما علمتم احتياجنا إليكم لأن الدنيا بالمعونة وأقدم مع آل أسف ملول، ولو تذبحون عليهم، فعلى الجميع أمان الله ورسوله إذ لا غرض لنا إلا في الجهاد سبيل الله، وقد عفا الله على المسلمين بخروج عدو الله الكلاوي من هذه النواحي، لأنه قد حلوا ببلادنا بجيوش لا تعد ولا تحصى، ورد الله كيدهم في نحرهم، عاملونا بصالح الأدعياء، والسلام)[2].

ولما لم يصب مراده خرج قاصدا أرفود لملاقاة حاكمها منحاشا إلى الفرنسيين، فلما كان يوم (13 يناير 1921م)[3] وقيل في شهر فبراير، رجع من أرفود إلى قصر من قصور الجرف المسمى بالعشورية، فلما كان في بعض الطريق أصابه بعض أهل مرغاد برصاصة، واندقت رجله فأمسكوا به وقطعوا رأسه وذهبوا به إلى النكادي وأعطاهم مقابله ثمنا زهيدا ونصب الرأس في جذع نخلة قرب الريصاني غرضا يرميه بالرصاص. وفيما سمعناه ممن يروي أحداثه أن قاتله رجل يسمى أطرمون.

عمل النكادي على استجماع القوى، فالتقى بأحنصال في سيدي بويعقوب

---

(1) في رواية الناصري أن النكادي قتلهم، وهو خلاف مافي رواية "المعسول"، وأما من روى لي الأحداث عن محدثه فقد أخبر أنه قتلهم. والله أعلم بحقيقة ذلك.

(2) كباء العنبر: 323.

(3) La-renaissance-du-Maroc:1920 -1912 .p:165 والتاريخ الآخر عند المهدي الناصري.

بأسول للاتفاق، وكان معهم الفقيه العلامة المجاهد محمد بن الحاج التلتفراوتي لكن تفرقوا دون حصول المراد، وكان ذلك في (رمضان 1339هـ/ ماي 1921م) فانحسر أمر بلقاسم النكادي عن تودغة ولم يستطع هو ومَعَمّي ولد الفاسية ابن موحا أحمو الزياني الذي التحق به الرجوع إلى تودغة. بل أخذ أمره ينحسر شيئا فشيئا، بعدما نافرت عنه قبائل عدة، ولم يبق معه إلا أهل الريصاني والسفالة وأملوان وبعض آيت مرغاد وآيت عطا، ومن تلك الرسائل التي أرسلها يستنهض بها الهمم للجهاد واسترداد ما ضاع، هذه الرسالة التي وقفنا عليها بعث بها إلى النواحي بتاريخ: (10 شعبان 1341هـ/ 28 مارس1923م)، فوقها عبارة الحمد لله وخاتمه المستدير:

(إخواننا المسلمين، أين ما كانوا (؟) بأسرهم قبيلة آيت عزى من الألنيف إلى حصيا إلى تغزوت إلى أوسيكيس إلى مغرد، جماعتهم وأعيانهم وخاصتهم وعامتهم كبيرا وصغيرا، كلا باسمه، أرشدكم الله وهداكم وحفظكم وجعلكم من الذين أحسنوا وزيادة، ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة وعليكم من الملك العلام أدوم الرحمة والبركة كما يليق بالمقام، أصحبكم الله السلامة والأمان آمين.

وبعد، لا زائد سوى السؤال عنكم وعن كافة أحوالكم، وتجديد العهد والمحبة، دمتم في حفظ الله المنيع، وعليه إخواننا ولُّوا وجوهكم واصرفوا همتكم لربكم، وكونوا رجالا صابرين ثابتين قانتين لله لا يأخذكم الفشل والكسل والتثبط والقعود عن الجهاد، لأن العدو دمره الله لم يبق إلا اسما بلا مسمى، وعن قريب يرفع الله عنا الكفر وتجتمع كلمة الإسلام ليرى المحسن إحسانه والمسيء عقوبته، والآن شمروا عن ساق جدكم واجتهادكم وانصحوا في خدمتكم وبالغوا في تحريض المسلمين بجمع الكلمة، من زيارة الولي الصالح سيدي محمد إفرتن نفعنا الله وإياكم ببركته آمين، اقدموا إلينا بجماعتكم وأعيانكم، وجميع من كانت فيه محبة الإيمان والإسلام فلينهض إلينا بالعزم، ومن تأخر فنحسبه من الكافرين، وأيضا فلا يلومن إلا نفسه، وأنتم يا معاشير الإسلام من اتصفتم بالرجولية والشجاعة والفراسة لا تقبلوا الدناءات والرجوع إلى الوراء، واحرصوا أن تكونوا عند الله مجاهدين، لأن

الفرج قريب إن شاء الله، وبشر المسلمين الواردين عليكم من تلكم النواحي بالتيسير والتبشير والتهليل وأسندوا كل خائف وغائب واغتنموا الربح تربحوا دنيا وأخرى، وما على الرسول إلا البلاغ، صدر بأمرنا الشريف المعتز بالله في 10 شعبان الفرد عام 1341هـ) وبهامش الرسالة ما نصه:

(وعليه، اعلموا أننا نزلنا في بلد فزنة إن شاء الله بكل خير، وبرحوا في مواسمكم على السبل لا يتعرض أحدا فيهم وكذلك - نحن جعلنا لكم عليهم عاما لا يحكم فيهم أحدا على الآخر، ومما نؤكد عليكم أن تردوا إلينا لتنالوا الحظ الوافر من الفرح والسرور)[1].

ويبدو أن ما كان يطمح إليه النكادي لم يتأت له، فإن حاله صار إلى تراجع أكبر من ذي قبل، فلقد حدثني من روى بعض أحداثه عن أخ له، أنه لما صار إلى تلك الحال المذكورة عبَر مع من بقي معه ناحية ألنيف، فلقي نفرا من أهل ألنيف وتيزي، منهم أخو راوي الأحداث المسمى مولاي حمو أيوسف، قال هذا الشاهد: فلقيناهم وهم في حالة ضعف بادية، ورثاثة هيئة تبعث على الإشفاق، فانبرى النكادي في أسف يخاطبنا بما معناه: الله الله يا مجاهدين! تقاعستم حتى ضاعت تافيلالت وسقطت في أيدي النصارى[2].

هكذا غدت تودغة إثر الحركة الأخيرة للكلاويين المدعومين بالفرنسيين - وإن شئت قلت العكس - تحت سيطرة الحامية الكلاوية بقيادة الخليفة سعيد ألعيد أتفنوت الآتي من نواحي تارودانت، ومع ذلك كانت تشهد بين الفينة والأخرى مناوشات تعبر عن رفض الوضع، خاصة وأن خليفة الكلاوي كان قد استبد بالناس وسار فيهم سيرا غير مرضي. ففي (محرم 1340هـ/ شتنبر1921)، توجهت حركة من 600 من المشاة و50 فارسا من أتباع الحسين أوتامكا إلى دادس، فقامت

---

(1) احتفظنا بنص الرسالة كما هو.

(2) هكذا سمعت من الراوي، ثم وجدت خبرا عن عبور النكادي ومعمي في هذه المنطقة وما لقياه في ذلك من متاعب عند المنصوري في "كباء العنبر": 275 وفي سنة 1932م، سيدخل المستعمر مدينة الريصاني، طاردا منها بلقاسم النكادي إثر معارك.

بعمليات ضد خليفة الكلاوي، ثم توجهت إلى تودغة وقامت بمثل ذلك في أعاليها[1].

وأمامنا رسالة جوابية من الكلاويين على لسان كاتبهم ووزيرهم أبي حفص عمر الكلاوي بتلوات إلى الفقيه المهدي الناصري بتاريخ: (24 رجب 1340هـ) تصف بعض أحوال المنطقة بُعيد القضاء على ثورة النكادي ودخولها تحت نفوذ الكلاويين، وهي تظهر مدى تتبع القيادة الكلاوية لكل ما يجري في المنطقة، وقد عُلم من هذه الرسالة ما يأتي:

- وصول الشخص المسمى عبد الرحمن نيت يغمور إلى تلوات، مخبرا عن أحوال تودغة أنها في أحسنها وتنشرح بها الصدور.
- تحري الفقيه المهدي عن أحوال المقاومين بالجبل بقيادة الحنصالي، وعدم قناعة الفقيه بما ينقل إليه فكلف من حقق في أسرارهم وأحوالهم، فتبين له أنهم في حال معنوية متردية وفشل (ولم يبق له إلا النداء نفسي نفسي) على حد تعبيره.
- حض الكلاوي الفقيه المهدي أن يواصل نقل ما يحدث لكونه محل ثقة دون غيره.
- خبر ما وقع من قتال بين قبائل ذوي منيع وبلقاسم النكادي، وكون الكلاوي اطلع على هذا من جهات أخرى.
- إخبار المهدي لهم بأن آيت مرغاد رجعوا تحت إدارة مدغرة بعد أعطيات وافرة، ومع ذلك فقلوبهم مع الكلاويين، وطلب الكلاوي منه أن يخبرهم بمآلهم.
- إخبار الكلاوي المهدي الناصري أن الأحوال بباقي الأرجاء قد عمها السلام، وأنه بصدد التهيؤ للذهاب لمراكش لزيارة الإخوان، وحضور المعرض السنوي الذي تقيمه الدولة الحامية في 3 شعبان والذي يدوم 15 يوما، سيحضره كبير جمهورية الدولة الحامية وجمع كثير من الأكابر وذووا المراتب.
- كان الفقيه المهدي قد أخبر أن جل سكان القبيلة غائبون برسم الخدمة، ويطلب

(1) مقاومة سكان أزيلال: 2/ 678.

الكتابة للمكلف بالترخيص لهم في أداء الواجبات إلى الصيف.

هكذا إذن استطاع الكلاويون تثبيت نفوذهم في المنطقة بمعونة الفرنسي المحتل، وفي الوقت نفسه إبعاد أشكال الثورة عن المخزن، وبانتهاء مقاومة النكادي في تودغة ينتهي فصل من فصول أحداث جسام عركت المنطقة وأهلها عركا، تلتها فترة قصيرة من هدوء كأنه لحظة أخذ أنفاس لما سيليه من أحداث ملحمة نضالية خالدة.

ثالثا: معركة بوكافر

تاغيا نلمشان، قصر من قصور آيت عطا يقع بسافلة واحة تودغة، فيه سيولد وينشأ رجل كتب له أن تكون له صفحة في صفحات تاريخ المنطقة خصوصا والبلد عموما، صفحة مسطرة بأحرف المقاومة التي اختزلت معاني الإحساس بالشرف والكرامة ومغزى الانتماء إلى الأرض، فأرسلها معاني خالدة من أعلى جبال صاغرو تحملها هبات النسيم عبر أفق الزمن الممتد يتضوعها كل عاشق لحياة الكرامة والأَنَفة، وتمر على المزكوم بزكام فقدان الوعي والانتماء لا يطعم شذاها!

ا- قبل الالتحام:

خلفت الحركتان اللتان قام بهما الباشا الكلاوي إلى تودغة في 1919م و1920م، قبضة المخزن على الواحة بشكل كبير، ولكن أحوالها لم تكن صافية للكلاويين ومن خلفهم فرنسا المحتلة، إذ سرعان ما سيتفكك التنظيم المخزني الذي يمثله الكلاويون تحت قيادة قائدهم سعيد أولعيد أتفنوت الذي أخذ الناس بالشدة وساءت معاملته، وذلك بفعل المضايقات والهجمات من حركة المقاومة الجديدة المتشكلة خاصة من آيت عطا آيت أونير وآيت أسفول وإلمشان بقيادة عسو باسلام، فكبدوهم مع أحلافهم في المنطقة خسائر متتالية، ولم تكن المقاومة الأطلسية بعيدة عن دعم إخوانهم في تودغى كما كان الحال عليه منذ بدء هذه

المقاومة، ففي هذه الفترة أيضا سنة فبراير 1924م، تلقى المقامون من تودغى دعما من آيت سخمان، تجلى في بعث عدد من المجاهدين لمناصرتهم في تحركاتهم ضد خليفة الكلاوي[1].

وظهر تراجع سلطة الكلاويين في المنطقة بشكل بارز منذ 1925م، مما أدى إلى إضعاف الحامية الكلاوية التي لم تعد تسيطر إلا على عشرة قصور فقط، فتضايق الكلاويون من هذا الوضع، وحاولوا إضعاف سلطة باسلام عن طريق تعيين واستمالة مجموعة من القواد من آيت عطا أمثال موحداش بدادس.

بدأت القيادة العسكرية التابعة لمنطقة مراكش تعد للتدخل في المنطقة، وكان لا بد من دعم سلطة الكلاويين أولا من أجل الحفاظ على مكاسبهم ثم ليكونوا بعد ذلك يدا مساعدة في التدخل المنتظر. وأخذ المستعمر يطوق المنطقة شيئا فشيئا انطلاقا من درعة وتازارين وتافيلالت وما بينهما، وتسنى لهم إقامة مجموعة من المراكز في هذه النواحي من بينها المركز العسكري في بومالن في نونبر1930م، الذي تم استخدامه للزحف على تودغة.

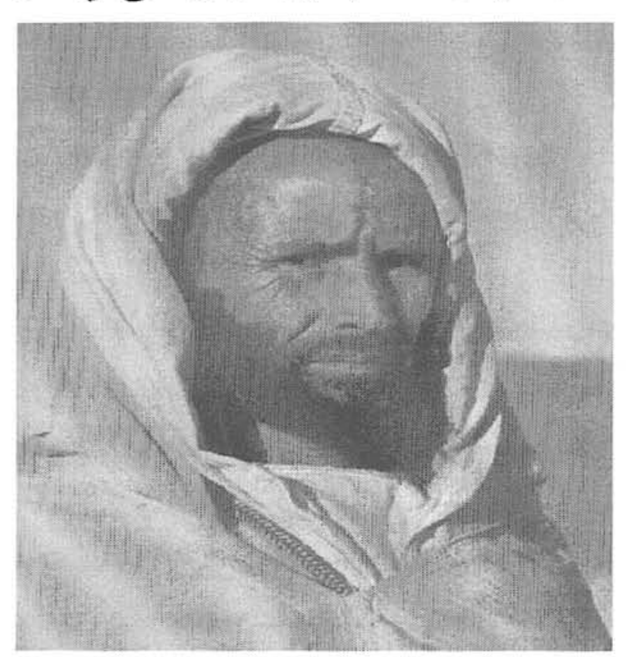
واضطرت القوات الفرنسية قبل ذلك إلى استعمال سلاح الطيران من أجل إظهار جانب القوة، فقصفت المقاومة في إيلمشان بطائراتها 1930م، كما استعملوا في الوقت نفسه سياسة المداهنة والحوار من أجل إخضاع المقاومين، وراسلوا القائد عسو أبسلام[2] يشرحون له أنهم لا يحبذون المبالغة في الصراع وأنهم على استعداد للتسامح إذا أوقفوا الهجومات، وفق سياستهم المعروفة في استمالة القياد والأعيان واحتوائهم بدل تركهم على المواقف المعادية، لكن عسو أبسلام لم يزد في جوابه أن قال لهم: (ليأت الذي حرر هذه الرسالة يسمع الجواب)، واستمرت حركة المقامة تنفذ هجماتها المباغتة التي قدر عددها أحد الضباط الفرنسيين سنة 1931م، بثلاثين هجمة وقعت في نقاط التماس.

---

(1) مقاومة سكان أزيلال: 679.

(2) ولد حوالي: 1890م، وتوفي في 1960م.

وفي متم 1932م، استطاع المحتل أن يوطد قدمه في مناطق تودغة ودرعة وما بينهما، ليتم بذلك تطويق منطقة صاغرو حيث تجمع المقامون من آيت عطا وغيرهم، وبدأت نذر المواجهة العسكرية بين الفريقين تلوح في الأفق.



المقاوم عسو أبسلام

ب- الالتحام بجبل بوكافر

ومع سنة (1933م) تراجعت مقاومة العطاويين نواحي تودغة ودادس وتركز نشاطهم على جبهة تازرين وألنيف وقاموا بهجمات أدت إلى تدخل الطيران الفرنسي للانتقام، وهكذا أخذت تزحف كثير من الأسر العطاوية وأخرى من آيت مرغاد وإقبلين وبعض الشرفاء نحو صاغرو استجابة لداعي الجهاد والفداء ضد الدخيل المعتدي، فاجتمع الكل وامتزج داخل خندق واحد لهدف واحد هو خندق الجهاد ضد النصارى المحتلين وأعوانهم دفاعا عن الأرض والعرض، وكان تعداد الرجال المقاتلين يصل إلى حوالي 1200 مقاتل ليس لهم من السلاح إلا البنادق، إضافة إلى أسرهم ليصل الكل إلى نحو 7000 آلاف فرد بقيادة عسو باسلام وأخيه

باسو من (إلمشان تودغة)، وقد حاول القائد بلفاطمي من درعة بوساطة القائد العطاوي أمعرير من آيت أونير التدخل لدى الأخوين عسو وباسو لإقناعهم بعدم جدوى المواجهة فلم يفلح في ذلك.

في هذه الأجواء قام المحتل الفرنسي بإعداد فيلقين عسكريين تحت قيادة المقدم (شاردون) قائد منطقة وارزازات هما:

✓ **الفيلق الغربي**: تحت قيادة الجنرال (كاترو) يضم حركات من:

- تودغة: تضم 100 من أتباع الكلاوي وآيت أوزكيط والفرقة 32 من الكوم بقيادة (لاكروا).
- دادس: تضم 1200 من إمغران وقلعة امكونة وآيت سدرات والفرقتين 39 و41 من الكوم بقيادة القبطان (دوماري).
- درعة تضم 1400 من أتباع درعة وتازارين منهم 650 من آيت عطا الخاضعين بعضهم قاتل ضد المقاومين ببلاء كآيت سليلو وآيت أوزين وآيت أونير، وبعضهم تواني ورواوغ كآيت حسو وضم الفيلق أيضا الفرقتين 10و49 من الكوم.
- حركة احتياطية بقيادة القبطان (دوماري) تتكون من 800 من الأتباع وفرقة المدفعية من مراكش والفرقة 43 من الكوم.

✓ **الفيلق الشرقي**: تحت قيادة الجنرال (جيرو) ويضم:

- حركة الرك بقيادة القبطان (بولين) تضم 800 من أتباع تودغة والفرقة 36 من الكوم.
- سريتان من الفرسان، وأخريان إحداهما محمولة على الشاحنات، والثانية من السباهي الجزائري، وسرية من زيز و500 من الأتباع، والفرق 7و16و17 و28 و33 من الكوم، مع مساندة الجيش بسلاح الطيران المتكون من أربع طائرات.

وفي (13 فبراير 1933م) انطلقت الحركات في اتجاه منخفض امساعدن قلب صاغرو حيث يقع جبل بوكافر الممتدة قممه الصخرية على مسافة 5 كليمتر طولا و2 كلم عرضا عبر ثلاث محاور:

محور الشمال: من دادس وإيمضر وتودغة، **محورالشرق:** من عمّار بالنيف، **محور الجنوب:** من ملال.

بدأ حصار الجبل في 21 فبراير، شنت الهجمات في هذا اليوم وأيام 24 و25 و28 وحلقت طائرات الاستطلاع ترسم زوايا المكان وخفاياه، وهب المقاومون يأخذون مواقعهم وأدوارهم من أعالي الجبال وفجاجها، فأما الرجال فليس معهم سوى بنادق، تدفع زنادها الأيادي المحكمة وتصوبها العيون الثاقبة، يتحركون بين الصخور والجلاميد أرشق من أرانبها ويرابيعها، وهم الذين ألفوا كل وعر وصعب، ولم تكن النساء بمنأى، بل كُن نِعم المعين والمأوى، والمثبتات إذا ما حمي الوطيس في الوغى، يشحنَّ البنادق داعيات بالنصر، وينقلن الرصاص بين رجال المقاومة المرابطين، وربما انتهزن غفلة من العدو فلا يتمالكن إلا أن يدحرجن الصخور، وتنطلق من أفواههن بكل فطرة عبارات الحماس من تكبيرات وصلوات فتمتزج بتكبيرات المجاهدين كأنها الوقود، حتى إذا اشتد العطش ولم يكن ثمة سوى عين ماء واحدة أخذن يختلسن الأوقات والممرات للاستسقاء منها بين جثث القتلى من ذويهن وقد تناثرت هنا وهناك، وربما وجدن العين خالطتها دماء الشهداء فينجدلن هن الأخريات شهيدات عند العين وقد سالت إليها دماؤهن فيما سال إليها من دماء.

استطاع المقامون الاستيلاء على قافلة من117 بغلة محملة بالذخيرة والمؤونة، والقضاء على فرقة من اللفيف الأجنبي، وقتل أكثر من عشرين ضابطا وضابط صف، وجرح المئات من الجنود وأكثر من ذلك في صف الجيش المساعد من غير النظاميين، كما جُرح قائد الهجوم (شاردون) يوم 24 فبراير بجروح خطيرة، وفي 28 فبراير انتهت أنفاس المقاتل الفرنسي (بورنازيل) بجبل بوكافر بعد أن أصيب برصاص المجاهدين وهو الذي قاتل في جبهات عديد ة في المغرب وكان يعرف عندهم بالفارس الأحمر، كان هذا اليوم يوم مأساة للجيش الفرنسي؛ فقرر إعداد خطة تقوم على تشديد الحصار بشكل كبير وتطويق بوكافر من كل جانب مع قصفه ليل نهار، فبدأ تنفيذ الخطة، وانطلقت الطائرات والمدفعية تدك الجبل دكا وقد

أعياهم أن يدكوا عزائم رجاله، فاشتد الحصار على المقاومين وأسرهم حتى بلغ منهم الجهد، وفيهم النساء العجائز والأطفال والشيوخ، ولم تسلم الدواب والمواشي من نيران الأعداء، فعلى إثر ذلك بدأت تستسلم مجموعات من الأسر والقبائل، ونظر عسو باسلام إلى الوضع بكل واقعية وآثر أن يحفظ ما تبقى من الدماء، فبدأ التفاوض مع العدو بما يصون الكرامة، وأقرت الهدنة يوم 26 مارس فنزل من تبقى من المقاتلين والعوائل من صياصي الجبال ينسلون إلى ديارهم وقد خلدوا مجدا لا ينسى، وجعلوا من جبل بوكافر أعظم ذكرى[1]. وقدر عدد من قضى نحبه في هذه الملحمة بنحو خمسة آلاف نفس إلا قليلا، ما بين شيخ وطفل وامرأة ومقاتل، عدا من أخذ في الأسر، ولقد حدثتني عجوز كانت تخدم في قصبة تاوريرت لدى قائدها حمادي الكلاوي بحديث تصف فيه أجواء هذه المعركة وأصداءها وقتها في تلك النواحي كأنه النفير العام، ولا تسمع في أحاديث الناس صغارا وكبارا في قبائل ورزازات التي كانت تحت نفوذ الكلاويين سوى (بوكافر)، ثم حدثتني بذلك الحديث الذي سمعته من امرأة عطاوية أسيرة لقيتها في جمع من النساء والأسيرة في رثاثة هيئة وشموخ نفس قائلة فيهن وفي رجالهن بلسانها المعبر عن حالها: (نْسَوَا يَمَان خْفْ نْبِي أليكْ غِيفنغْ كَّان وَمَان، أراغ كَّاتْنْ أَيحْزَّارنْ نْ فَارينا). وكأني بهذه العبارة منها تختزل جانب المأساة وصفحة الألم التي عاشتها ومعها الآلاف من أمثالها مما يعسر حكيه ويعجز الواصف عن وصفه، ولست أدري بعدُ، - وما نقلت إلا القليل - إن كان بعض أبناء هذا الزمان يحسون بشيء من تلك الآلام في ذاكرتهم بعد أن ذاقها آباؤهم وأجدادهم وهصرتهم هصرا، أم أنه زمان مضى وكفى!

---

(1) استفدنا في تحرير معطيات هذه المعركة مما كتبه جورج سبيلمان في "آيت عطا الصحراء وتهدئة درعة العليا" و"الكفاح المغربي المسلح" لمحمد المعزوزي وهاشم بن الحسن العلوي، و"وثائق سرية عن معركة بوكافر" لأم العيد، وروايات شفوية وغيرها من المصادر.

رابعا: مقاومة زايد احماد

هذا رجل آخر ممن خلد التاريخ أسماءهم في صفحات المقاومة، نعم هو ليس من تودغة ولكن أرض الجهاد تجر عاشقيها حيثما كانوا إلى حيث يرتع الغاصب ويلهو.

كان هذا الرجل من آيت مرغاد من وادي امطغوس بآيت هاني في بدء أمره راعيا يرعى الغنم يجوب بها المراعي، ولما قامت المقاومة في بادو عام 1933م، انطلق إلى صفوفها فقاتل وفقد هناك رفيقة عمره، ولما انتهت تلك المعارك رجع إلى بلدته، وفي سنة 1933م، اشتغل عاملا في شق الطريق الرابطة بين آيت هاني وامسمرير تحت مراقبة الفرنسيين، وفي لحظة من لحظات انصباب العرق من جهد العمل، تقدم إليه الضابط الفرنسي المكلف بمراقبة الأشغال وأهانه كلاما وصفعا، وأسرها العامل القروي في نفسه ولم يبدها له، فكانت هذه الإهانة شرارة أوقدت نارا كامنة في صدره لا يطفئها إلا الانتقام من هذا الفرنسي الذي ترك أرضه وجاء إلى أراضي غيره من العباد يستعبد أهلها وينتقص من كرامتهم وهي أعز ما لديهم. تحايل "زايد أحماد" حتى حصل على بندقية، فخرج من بلدته بصحبة رفيق له يقاسمه الهم ذاته يسمى "سعيد أحماد"[1] إلى مكان غير بعيد حيث مضايق جبال تودغة معتصما بكهوفها، جاعلا منها قاعدته العسكرية التي سينطلق منها ليباغت العدو الذي كان قد انتشر في المنطقة قريبا وأخذ يصول فيها ويجول، وبسبب محدودية العدد والعتاد لم يكن أمامه سوى شن الغارات الخاطفة والهجمات السريعة، فتحين الفرص المواتية ونفذ هجماته في تودغة وكلميمة وصاغرو وأسيف ملول على مدى أربع سنوات، ومنها:

- 11/ 6/ 1934: وضع كمين للملازم "كرماي" بأعلى تودغة قرب تمتوشت وقتل جنديين.

---

(1) كان له رفيق آخر يسمى "زايد نتارورت".

- 26/ 6/ 1934: مقتل الملازم "فيليبون" بقرية تانا قرب أسول وإحراق سيارته وغنم سلاحه وذخيرته.
- 19/ 8/ 1934: مهاجمة قافلة بمضيق تودغة.
- 10/ 10/ 1934: عملية ضد شاحنة بين الراشيدية وكلميمة قتل سائقها.
- 01/ 12/ 1934: قتل جنديين بمضيق تودغة.
- 27/ 01/ 1935: مقتل ضابط الصف "تريستاني" بين تودغة وآيت هاني.
- 01/ 06/ 1935: مقتل الملازم "فرومانتان" قرب مركز أملشيل.
- 16/ 11/ 1935: مهاجمة سيارة رجل أعمال يدعى "بوركوان".
- 16/ 11/ 1935: هجوم على فرقة من الكوم السابع بأغبالو نكردوس وقتل ستة وغنم أسلحتهم.
- 30/ 12/ 1935: الهجوم على حانة بمركز تودغة جرح فيه صاحب الحانة من أصل يهودي ومخزني مغربي وقتل ثلاثة من الجنود.

بلغ مجموع ما قتل زايد أحماد في هجماته خمسة وثلاثين شخصا وقيل ستة وأربعين، ما بين ضابط ومخازني ومن في فرقة الكوم، كما قتل شيخ آيت أريتان من تودغة المدعو امبارك أعسلام ومساعده موحا سكي، وقتل شخصا آخر من آيت بوجان يدعى خوجمان، قيل خطأ وقيل بل قتله لأنه عزم على كشف أمره.

جن جنون المستعمر من هذا المقاوم الذي فعل بهم هذه الأفاعيل، فسعوا جهدهم للقضاء عليه ومن معه، فاعتقلت من سكان المنطقة عددا، ومن عائلته كذلك - خاصة عمه المسمى حمو أمخداش وولديه سعيد لكبير القاطن بامسرير وعسو حمو - وكل من له علاقة به، فاستنطقوا لمعرفة مخبئه أو إرغامه على الاستسلام. ونكلت بكثير منهم فمات بعضهم أو قتل وسجن الآخرون.

وبعد مدة استطاعت القوات الفرنسية بمعونة المتعاونين من الخونة رصد المقاوم زايد أحماد وهو في قصر "تدافالت" بأسفل تودغة، جاء إليها لقضاء مناسبة عيد الأضحى متسترا عند بعض أهلها، فقدم إلى تودغة كل من القائد الفرنسي

لناحية مراكش "روش" وقائد ناحية ورزازات "شاردو" ورئيس دائرة بومالن "بوميي"، حتى إذا كان يوم (5 مارس 1936م الموافق لثاني عيد الأضحى 1354هـ)، في ساعته السابعة صباحا، حاصرت القوات الفرنسية والتابعة له مقر إقامته، فأعلن في مرافقيه موحا أحمو وموحا أعلي نايت حسو المقاومة وعدم الاستسلام، فدافعوا كل الدفاع عن المبدأ الذي من أجله حملوا السلاح إلى آخر قطرة من دمائهم، وارتفع زايد احماد شهيدا شاهدا على أرض أنجبت رجالا لم يعرفوا المساومة ولا الخنوع في حق أرضهم وكرامتهم، وشاهدا كذلك على أن ثمة رجالا هم لا رجال، يبيعون أنفسهم وأهليهم وأوطانهم مقابل ذل وهوان لا يرتفع مدى الأجيال[1].

وبعد هذا أشير إلى أمر يلحظه من تتبع شأن المقاومة خاصة في جانب من كان ضدها أو كان يدا عليها، أو من التبست عليهم معاني رفض المحتل ومقاومته برفض الانضمام إلى هذه المقاومة نفسها من ناحية أخرى، وهو أن هذا الرفض لا يمكن إلا أن يكون ذا مستويات، بين من يرفض الخروج عن السلطة القائمة التي دخل المحتل باسمها للحماية، وبين مَن آمن بفكرة المقاومة مبدأً ورفض المحتل، لكنه رفض من تمثلها وقادها حين لم يجد فيها تلك المعاني السامية لمفهوم الجهاد، ولِما رأوا فيها من البأس الشديد الذي نزل على الأهالي ومن الأفعال التي لا يرضاها العدو في عدوه فضلا عن أخيه المسلم، فبقي قلبه مع نبذ المحتل، ولكن ربما رفع سيفه على ذاك الثائر المقاوم، وفريق آخر تحرك فعلا في صف المحتل مرغما لأسباب كثيرة، لكنه لا يجرؤ أن ينتضي سيفه على أخيه، وآخرون تجردوا من المبادئ السامية التي تملأ وجدان كل إنسان حي نشأ بين بني قومه، فخانوا ما بينهم وبين قومهم لأغراض خسيسة وباعوا من أجلها أنفسهم وأمتهم، ولا كرامة أبدا لمثل هذا الصنف، فهم في كل العصور ذلك الثغر الذي يدخل منه الأعداء، وينتشر منه البلاء.

---

(1) الكفاح المغربي المسلح: لمحمد المعزوزي وهاشم بن الحسن العلوي. معلمة المغرب: 14/ 4605 و6/ 1999.

وفي المقابل فإن في تاريخ هذه المقاومة رجالا ونساء آخرين يستحقون من الإجلال والتعظيم ما هم له أهل وزيادة، منهم منسيون أنستهم هزالة وعينا التاريخي وضآلته، وبعضهم ما زالت ألسن بعض المعمرين تذكرهم في أحاديث عابرة... ولقد وددت أن أضع ثبتا أستجمع فيه طائفة من هؤلاء عرفانا وأداء لبعض حقهم، وذكرى خالدة في خَلَد من يأتي بعدهم لئلا يضيع تاريخنا فنضيع معه من حيث لا نشعر شيئا فشيئا، غير أن بعض الأمور التي لا يسع المقام لذكرها صرفتني عن هذا العمل، فلذلك أدعو شباب المنطقة من الباحثين الغيورين أن ينبروا لهذا العمل ولكل ما يحفظ الذاكرة عسى أن يُستدرك بعضُ ما فات وقد فات الكثير..

الحركة العلمية والدينية في تودغة

أولا: الزاوية العَمرية المرابطية

عمق تاريخي ورحم مع أم الزوايا بدرعة

ثانيا: الزاوية الإسماعيلية الناصرية

إشعاع الزاوية الأم وامتدد آصرة قديمة

ثالثا: أعلام آخرون

تقديم

تودغة واحة واقعة بين واحتين وارفتين في العلم بصمتا -حياة العلم في المغرب بيصمتيهما، هما درعة وتافيلالت، ولئن كانت دونهما في إشعاعهما فإن لتودغة أعلامها من العلماء والصلحاء الذين أثْروا جانب العلم والدين وأثَّروا في مساره، وقاموا بواجب التربية والنصح والإرشاد حتى ارتفعت عن مستوى البلاد الصاحة القاحلة من ذلك، بل إن المرء ليغتبط حقا بما وقف عليه مما لم يكن في الحسبان، فمما لا يكاد يعرفه أهل تودغة أن من أعلام بلادهم هذه من سرى علمه وصلاحه في البلاد الأخرى، وانتفع به الخواص من الناس والعوام، بل تجاوز الأمر حدود المغرب بشد الرحال إلى المشرق، فانتفع ونفع بلا شك، فحق لها بذلك أن ترفع لواء من ألوية النشاط العلمي الديني في صقع المغرب الجنوبي الشرقي.

وإذا كان هذا القول نوعا من الاعتراف اقتضاه الإنصاف، فإنه يقتضي أيضا القول بأن الشروع في الحديث عن هذه الحياة الدينية والعلمية ليسا أمرا متهيأ ميسورا، بل إنه ليصطدم بجملة من العقبات دون اقتحامها خرق القتاد، لعل أبرزها غياب ما يمكن الاستناد إليه في تحديد معالم هذه الحركة، خاصة خلال الفترة ما قبل العهد السعدي، ولولا شذرات هنا وهناك لظلت هذه الحركة مجهولة إلى حدود القرن العاشر الهجري وهو التاريخ الذي يمكننا ابتداء منه تسجيل بعض المعالم المضيئة لتلك الحركة.

وأقول أيضا: إن ما وقفنا عليه من هذا النشاط العلمي ارتبط بظهور مؤسسة الزاوايا والحركة الصوفية عموما، وما قامت به من أدوار مختلفة على صعيد المغرب عامة شمل الحواضر كما البوادي ومنها بادية تودغة وأحوازها، وبإمكاننا التعرف على بعض معالم هذا النشاط وتجلياته بالوقوف عند حدثين متميزين يشكلان في نظرنا بحق أهم حدثين كان لهما أثرهما البارز في صبغ الحياة العلمية بتودغة بصبغتها التي سنقف على بعض ملامحها خلال الفترة المدروسة.

أما **الحدث الأول:** فهو قدوم الشيخ الحاج أعمرو واستقراره بالمنطقة، وبإقامته ثم وفاته بعدُ، ستنشأ أول زاوية تربوية وعلمية في الواحة - حسب ما وقفنا عليه - تلك التي تنسب إليه وتسمى باسمه. وقد كان ذلك في حدود القرن السابع الهجري كما سنبينه لاحقا.

وتظهر المكانة العلمية لهذه الزاوية من أمرين على الأقل، **الأول:** ما أنجبته من أعلام تجاوز صيتهم حدود المنطقة، هم دليل نشاطها العلمي وأنها لم تقف عند حدود التبرك والزيارة شأن كثير من الزوايا، بل تجاوزته إلى القيام بالدور التعليمي الذي مازالت آثاره بادية في سكان أهل الزاوية إلى اليوم عبر الحرص على تحفيظ أولادهم القرآن. **والثاني:** ما كانت تحظى به من السمعة والاحترام تجلى في أعلى مستوياته عبر ظهائر ورسائل خوطبوا بها من طرف سلاطين الدولة العلوية.

وأما **الحدث الثاني:** فيرتبط كذلك بقدوم شخصية علمية تربوية أخرى، انتقلت من الزاوية الذائعة الصيت علما وتربية وهي الزاوية الناصرية بدرعة، فاستقر الشيخ بالواحة في القرن الثاني عشر الهجري، وكان هذا القادم هو الشيخ إسماعيل بن عبد الله بن محمد بن الشيخ سيدي محمد بن ناصر الدرعي الناصري، ولم يكن قدومه سوى نتيجة ارتباط وتواصل سابقين بين الزاوية الناصرية الأم بدرعة ومنطقة تودغة يرجع إلى الفترة الأولى من تأسيس الزاوية الناصرية حين ارتبطت الأسرة الناصرية في شخص مؤسسها بعلاقة مصاهرة مع علم من أعلام تودغة يرجع نسبه إلى الحاج عمرو مؤسس الزاوية الأولى، وذلك بعدما قدم إلى الزاوية الناصرية وصار أحد كبار أساتذتها وشيوخها.

وهكذا يشاء القدر أن يكون طرف الوصل بين الزاويتين وبعد قرون هو أحد أبناء الزاوية العمرية التدغية من حفدة الشيخ المؤسس. وكأني بهذا الحدث الثاني في الحقيقة ليس إلا استمرارا وتجديدا للحدث الأول في صبغة أخرى، وتنويعا لأثر مؤسسة الزاوية في البيئة التدغية، وهو قبل ذلك وبعده نتيجة طبيعية للعلاقات الاجتماعية والاقتصادية التاريخية بين المنطقتين.

وفي سياق الحركة الصوفية في المنطقة، عرفت تودغة صلحاء لهم ظهور في

معالم التصوف المغربي أخذوا عن بعض أقطابه المعروفين، ومن أشهرهم أبو سرحان علي التدغي دفين فاس، الآخذ عن أحد مشاهير العلم والتصوف في وقته أبي المحاسن يوسف بن محمد الفاسي، وكذا أبو الحسن علي بن إبراهيم التدغي دفين تودغة، الآخذ عن علم من أعلام المغرب الشيخ أبي بكر الدلائي، ومن المتأخرين محمد (فتحا) بن علي دفين مراكش، ولعل هؤلاء وغيرهم مما ينبيك عن مدى اتصال الواحة بالمؤثرات الصوفية السائدة في المغرب، وانخراط علمائها في سلك طبقتها العليا. فلذلك عرفت الطرق الصوفية الشهيرة طرقها إلى تودغة، وكان لها فيها أتباع ومريدون يلازمون أذكار تلك الطرق وطقوسها وبخاصة الطريقة الناصرية الشاذلية، والطريقة الدرقاوية التي عرفت توسعا في القرن الأخير والذي قبله، وكان آخر شيوخها الذين زاروا الواحة وزادوا في انتشارها محمد بن الحبيب الأمغاري المكناسي، ثم أيضا التيجانية التي عرفت في حارة المرابطين، والوزانية التي لها بعض المريدين بحارة إعامين.

وفي المنطقة قباب كثيرة تنسب إلى شيوخ وأولياء لم نقف على ما يروي الغليل فيما يتعلق بأخبارهم، ولم تصل في شهرتها وأثرها إلى حد ما وصلت إليه الزاويتن السابقتين، ولا ريب أن فيهم علماء وصلحاء كان لهم الأثر بين الناس، إلا أن عوادي الدهر وغفلة التاريخ طوت أخبارهم وصاروا أثرا بعد عين نذكر منهم على الخصوص: سيدي محمد أعبد الله بتزكي أعالي تودغة قدم من درعة إليها في القرن الحادي عشر الهجري من ذرية سيدي عبد العالي بدرعة، وسيدي المنديل، وسيدي علي أو براهيم بآيت سنان، وسيأتي ذكره في فصل لاحق، وسيدي مسكور[1] بآيت الحاج علي، وسيدي عبد الكريم تيكوتار، وهو غير سيدي عبد الكريم المترجم له لاحقا كما ستراه، وسيدي بوحيد بأفانور، وسيدي عثمان بأزرو، وسيدي المدني بإعدوان، وسيدي وحمد أيوسف بآيت زكنون، وسيدي علي الحاج بإفري، وسيدي

(1) ربما كان في عهد الموحدين أو قبله، فقد ورد هذا الاسم في أهل تودغة الذين أخضعهم الموحدون كما مر معنا في الفصل السابق.

محمد المسكين بآيت المسكين، وسيدي عبد الله بآيت محمد، وسيدي داود بتكماصت[1]، وسيدي عمرو ويحيى بإحجامن، وسيدي حمد بتيدرين، وسيدي علي أوعيسى بأسفالو، وسيدي احساين بإشماريرن، وسيدي علي بآيت بوجان، وسيدي عبد المومن بآيت بارا، وسيدي صالح بحلول، وغير هؤلاء.

وأما ما يتعلق بالتدريس فيمكننا أن نقرر التزامه بما جرى به العرف في البوادي المغربية خاصة منها المجاورة، فاشتهرت الواحة بالعناية بتحفيظ الولدان القرآن الكريم، وقلما تجد قصرا من القصور إلا وفيه من حملة كتاب الله عددا قل أو كثر، وتميزت من بينها قصور عرفت بعنايتها الفائقة بهذا الجانب، حتى صار فيها ما يشبه مدارس طبقت شهرتها الأنحاء المجاورة يؤمها طلبتها لحفظ كتاب الله والتفقه في دينه، ونخص بالذكر منها حارة المرابطين وتنغير وأفانور.

والملاحظ انطلاقا مما وقفنا عليه من تراجم أعلام تودغة أن التدريس فيها لم يقف عند مستوى المرحلة الأولى والمتوسطة الأولية بل تجاوز ذلك إلى مستوى التدريس العالي الذي يُعنى بتدريس الأمهات الكبرى في العلوم والفنون، وهو أمر يعكس قيمة التحصيل العلمي الذي تلقاه الشيوخ وصاروا يلقنونه بدورهم.

وساعد على ذلك تمسك طلبتها وشيوخها بالرحلة العلمية نحو المراكز العلمية الكبيرة ونحو الشيوخ العلماء ذوي السمعة الشهيرة، بدءا بالمراكز المجاورة كدرعة بتمكروت وتمنوكالت في الأخير ومثل تافيلالت والزاوية الدلائية في الأطلس المتوسط ومراكش والقرويين بفاس، بل منهم من تجاوز ذلك إلى المشرق. وهو أمر يدل على اعتناء فئة منهم بالأسانيد العلمية وانخراطهم في سلاسلها. وطَبَعي أن يعود بعض هؤلاء إلى بلده الذي انطلق منه ولا يرجع بعضهم الآخر، بل يلقي

---

(1) يوجد بقرية سيدي داود بسدرات العليا بدادس ضريح مشهور بهذا الاسم، وكنت سمعت أو طالعت، لا أدري، أن "داود" هذا، اختلف عليه أهل تودغة وأهل سدرات بدادس أين يدفن؟ فأهل تودغة يعتقدون أنه عندهم أو بعضه في حكاية عجيبة، والذي في ترجمته كما عند الإفراني في (الصفوة) أنه دفين دادس توفي في بداية القرن الحادي عشر. ص 124.

بثماره في أرض أخرى. وكما ارتحل طلاب تودغة عنها للعلم فقد ارتحل إليها من غير أهلها علماء وقضاة كان لهم الأثر في استمرار الحياة العلمية وإثرائها.

فهذا الشيخ أبو العباس أحمد التدغي انتهى به المقام إلى مصر فبرز في فن القراءات بعدما أخذ عن كبار مقرئيها في أزهر مصر، وأما الشيخ أبو محمد عبد الكريم بن محمد بن علي بن عمرو التدغي فكان من جلة الشيوخ ومهرة المدرسين، انتهى به المقام بالزاوية الناصرية بدرعة، والشيخ إسماعيل بن عبد الله مؤسس الزاوية الناصرية كان من العلماء وله رحلة إلى المشرق، اشتغل بالتدريس حين استقر بتودغة، وفيه يقول القائل:

ذاك الـذي أحْيـا الإلـهُ بِعِلمـهِ   قُطـرَ المَغـارِبِ مَـاهِرٍ يَقظـانِ

والشيخ العلامة سيدي أبو علي الحسين بن محمد التدغي اشتهر بالقيام بوظيفة التدريس في حياته والنهوض بها غاية، حتى عرف بذلك مع اضطلاع في العلوم والفنون، فأحيا به الله العلم في تودغة وتخرج عليه جماعة من العلماء والفقهاء، وفيه يقول تلميذ تلاميذته المهدي الناصري التدغي:

عـنْ ملحِـقِ الأخْفـادِ بالأجـدادِ   مُحْيـي دُروسِ العِلـمِ ذُو الرّشـادِ

شيـخِ الـشّيوخِ جِهْبِـذِ الـزّمانِ   مَـنْ دأْبُـهُ التّـدريسُ ذُو العِرفـانِ

ومن شواهد منهج هذا الشيخ في التدريس ونمطه، قيامه بتدريس متن الشيخ خليل في الفقه المالكي، وهو منتهى ما يدرسه الطالب بعد أن يترقى في المتون الصغرى والمتوسطة، وكان رحمه الله يختم تدريسه في كل عام مرة واحدة حتى عُد له في ذلك أربعين ختمة، وفي ذلك إشارة إلى طريقته في تدريسه، فختمه في كل عام يقتضي الاختصار وعدم التطويل وترك الاستطرادات خلاف ما عرف به تدريس هذا المختصر عند بعض الشيوخ حتى إنه لا يختمه إلا في بضع سنين أو يزيد[1]،

---

(1) ذكر الفقيه الحجوي الثعالبي في معرض نقد بعض أنماط التدريس القديمة أن بعض أشياخه ختم شرح مختصر خليل في أربعين سنة!
الفكر السامي: 2/ 460.

ولم يقتصر تدريسه على ذلك بل برع في تدريس غيرها من العلوم الفنون، وفي ذلك يقول المهدي الناصري:

مُختصرُ الشيخِ خَليلٍ يَختِمهْ مُدّتَهُ في كلّ عامٍ يَلزَمُهْ
نَيفٌ وأربعين خَتمةً أتى علَى الذي حَقّقهُ مَنْ أثْبَتَا
ولم يَدَعْ بابا من الأبوابِ إلا وَبَثّهُ ذوي الألبابِ
كذا فنونُ العلمِ والتّفسيرِ قرّرَها بالجِدّ والتّحريرِ
حتى تخرّجتْ بهِ جماعةْ مِنْ كلّ ذي دِرايةٍ نَفّاعةْ

وهذا الشيخ المهدي الناصري خاتمة علماء تودغة الفطاحل، وبعد رجوعه من رحلته العلمية إلى فاس، يذكر كيف أنه كان مشمرا عن ساعد الجد في التدريس بجد وتحقيق وفهم وتدقيق قائلا في أبيات:

فَعَوّدتُ نَفْسي دَرْسَ كُتُبِ أئِمّةٍ بِحَزْمٍ ونَقْدٍ حَسْبَ فَهْمي وما أَدْرِي
فَشمَّرْتُ لِلتّدريسِ قَطْعاً لِعُلْقَةٍ وأتْعَبتُ نَفْسا في النِّظامِ وفي النّثْرِ
ولَمْ آلُ في التعليمِ جُهْدي وَطاقَتِي ولَمْ تَثْنِني مَعْ ذَاكَ أَيْدٍ عَنِ البَثْرِ

وتراه يصف معتزا ومفاخرا حلقة درسه وطلاب علمه المميزين وتميزه في التدريس:

أُدرِّسُ دَرْسا لا يُضَاهَى بِوَقْتِنَا وَحَوْلِي ذَوِي التَّحْريرِ كالنُّجومِ الزُّهْرِ
تَراهُمْ إذا حَلَّ العَويصُ تَسابَقُوا إليهِ بِفَهمٍ والقَريحَةِ والفِكْرِ
أُولئِك جُلّاسِي وأهْلُ مَجَالِسي وأُنْسِي وَرُكْنِي في المَيَاسِرِ والعُسْرِ

ويشهد لهذا الزخم العلمي في الواحة ما ذكره المختار السوسي أثناء زيارته لتودغة بُعيْد الاستقلال وقت توليته منصب وزير الأوقاف حيث قال: (وقد كانت الدراسة تزخر في مساجد تودغة إلى العهد القريب)[1]. وقال أحمد بن القاسم

(1) جريدة التجديد. العدد الصادر في: 20/ 05/ 2005.

المنصوري (ت1965م) في: (كباء العنبر): تدغة قبيلة عظيمة وبها كان علماء وقضاة[1].

ومما يدل أيضا على هذا الذي قلناه، ما تركه علماؤها من آثار علمية مكتوبة، فإن ما وقفنا عليه - على ندرته - ليشير إلى وجود طبقة منهم أدركت في العلم الشفوف، فألفت في النوازل والتاريخ والأدب وغيرها. وقد وقنا على بقايا بعض الخزانات الدالة على الاهتمام بشتى أنواع العلوم اللغوية الشرعية اقتناء واستنساخا واستفدنا منها، ومن ذلك أيضا ما أشار إليه المهدي الناصري في إحدى رسائله أن خطة القضاء بتودغة كانت لجده ثم لأعمامه ولهم تآليف وأنظام في أعراف الوادي، وإن كان أغلب ذلك قد لحقه ما يلحق أمثاله من الضياع والتشتت، فذهب أيدي سبإ الأهل والأقارب والحوادث، إما إلى الأبد أو إلى أجل غير معلوم.

وأما هذا الوقت الذي كتب فيه هذا الكتاب، فقد صوّح فيها نبت العلوم الشرعية، ونالها ما نال غيرها من البوادي العريقة بل والحواضر كذلك.

ثم انقضت تلك السنون وأهلها فكأنها وكأنهم أحلام

وأسباب ذلك معروفة لا تخفى على أحد، وأبرزها ما يرجع إلى التحولات الكبيرة التي مست المجتمع المغربي في بنياته ومنها التعليم، لكن الوضع ازداد استفحالا بضعف الهمم وغلبت النفوس، وأما ما بقي فيها من تحفيظ القرآن - على قلته هو الآخر حتى لا يكاد يذكر - فإنما هو من صُبابة تلك العهود السالفة، وهمة بعض الفضلاء التي لا ترضى السافلة.

وههنا أحَدّث بحكاية من باب الغيرة على هذا النمط من التعليم وما وصل إليه حال الواحة فيه، وهي أني حضرت لقاء جهويا عن التعليم العتيق بجهة سوس ماسة درعة آنذاك، فحضر ممثلو أقاليم الجهة، وأُطلعنا على وثيقة إحصائية لمدارس التعليم العتيق في الجهة، فإذا تودغة في آخر اللائحة بمدرسة وحيدة، (إن كانت

---

(1) ص 110.

فعلا كذلك) فأسِفت لما آل إليه الحال![1].

تلك كانت لمحة مختصرة عن الحالة الدينية والعلمية بتودغة، ولا شك أنها تنبئنا عن وجود حياة نشطة لولاها لما أنتجت مثل أولئك الأعلام وغيرهم ممن لم نقف عليهم وضاعت أخبارهم، على أن تودغة بادية من البوادي، والبوادي من قديم قليلة الاعتناء بالتدوين، ومَنْ فيها من العلماء لا ينشغلون بذلك إلا لماما، لقلة البواعث واكتفائهم من العلم بالبضاعة المحمولة لكساد سوق العلم في الغالب، إلا ما استثني من بعض البوادي الشهيرة التي نافست الحواضر في أوقات خاصة.

وفيما يلي بعض تفاصيل هذه الحياة انطلاقا من تفصيل الكلام حول الزاويتين الكبيرتين اللتين قامتا بأمر نشر العلم والتربية، من خلال ما وقفت عليه من أخبار بعض أعلامهما المنتسبين إليهما، وأما من وقفت عليه من الفقهاء الذين لم تثبت عندنا نسبة أحدهم إلى هذه الزاوية أو تلك، فلم نشأ إدراجهم في إحداهما، فخصصنا لهم فصلا مستقلا، كما خصصنا للزاويتين المذكورتين فصلا مستقلا لكل واحدة منهما، فجملة الفصول إذن ثلاثة فهاكها.

---

(1) ثم انضافت بعد ذلك بقليل (مدرسة الفتح للتعليم العتيق) بعد أن حصلت على رخصة بذلك، مقرها بجماعة تغزوت (تودغى السفلى)، وهي الآن تعنى بتحفيظ القرآن مع بعض المبادئ الأولية، تحت إشراف صاحبها والقائم عليها الفقيه الغيور (سي لحسن إمدوان)، ندعو الله أن يتسع نشاطها وتدعم دعما حقيقيا من طرف الغيورين حتى تصير معلما في تودغة وسببا من أسباب عودتها إليها بعض سالف عهدها، ونحن إذ نتحدث عن هذا النمط من التعليم نعي جيدا ضرورة تحديثه موضوعا ومنهجا بما يحافظ على أصالته، ويساير في الوقت ذاته حاجات العصر ومقتضياته.

الزاوية العَمرية المرابطية
عمق تاريخي ورحم مع أم الزوايا بدرعة

1- الشيخ المؤسس الحاج أعمرو

إن الكــــريم إذا أقـــام ببلـــدة   ســال النُّضار بهـا وقـام السـماء

تقع هذه الزاوية بالقصر المسمى بحارة المرابطين في سافلة تودغة منبسط الواحة، ويرجع أصل تسميتها بهذا الاسم إلى اسم الشيخ المؤسس المسمى الحاج عمرو، وليسمح القارئ الكريم أن أقول: إننا أمام شخصية مضى عليها زمن غابر ولم توثق حياته في مصادر تراجم الأعلام المغربية المعروفة، وكل ما هنالك أحاديث وأخبار، وفي مقابل ذلك ثمة شواهد تشهد أن الرجل كان من كبار صلحاء الواحة، اعتلت به زاويته بعده مقاما كبيرا في الواحة، يدل عليه ما خوطبت به من ظهائر سلطانية عديدة، ثم إن انعدام ما يمكن أن يعتمد عليه في سيرة حياة هذا العَلم وأيضا ما رأيناه من اضطراب في تحديد نسبه يجعلنا ندلي بدلولنا في البحث في نسبه محاولين إزالة بعض الغموض الذي يكتنف حقيقة شخصيته وأصلها، فهذا هو المفتاح الحقيقي الذي سيمكننا من معرفة ما يتعلق بظروف قدومه إلى المنطقة، ذلك أن جل ما يُتدوال عن حقيقته ونسبه يحتاج إلى تمحيص وتحقيق، وكيف يكون للحديث معنى إذا لم يُدر من هذا الذي يُتحدث عنه إما على وجه اليقين أو غلبة الظن ؟! فإنه لا عبرة بما يقال عن شخص يتوهم أنه المعنِيُّ حقيقة، فإذا الاسم غير المسمى وما في الأذهان مخالف لما في الأعيان، فأشد الأخطاء العلمية في تراجم الرجال ألا ينتبه إلى مثل هذا، ولأمر ما اعتنى المحدثون قديما ومن سار على منهجهم بتحقيق مثل هذه المباحث وأطلقوا عليها (المتفق والمفترق من الأسماء)!

فالذي وقفت عليه من مجمل ما كتب عن نسب الشيخ وأصلِه ثلاثة أنساب،

نسبان ذكرهما بعض من تعرض للزاوية وشيخها من سكانها[1]، ونسب ثالث جاء ذكره في بعض البحوث التي قام بها كتاب وضباط فرنسيون ووردت في بعض الروايات الشفوية، وإليك تفصيل هذه الأنساب. فأما النسبان الأولان:

- **فأحدهما**: يورد عموده كالآتي:الحاج عمرو بن محمد بن أبي القاسم بن إبراهيم ابن أبي السباع بن عامر بن حريز بن محرز بن عبد الله بن إبراهيم حتى يصل إلى المولى إدريس بن عبد الله الكامل جد الشرفاء الأدارسة. أقول: هذا العمود (من ابن أبي السباع إلى المولى إدريس) هو عمود الشرفاء السباعيين المعروف عندهم في مشجراتهم والمثبت في كتب الأنساب المغربية، عرفوا به نسبة إلى ابن أبي السباع المذكور، وإذا سلمنا بهذا فالحاج عمرو من الشرفاء السباعيين ومن نسله، ولا قائل بهذا ممن تتبع فروع أولاد ابن أبي السباع ولا من أهل الزاوية أنفسهم، فنسبة الشيخ إلى هذا النسب غير صحيحة قطعا لأسباب:

الأول: ما ذكرناه من عدم دخولهم في السباعيين، ولم يدَّعِ أهل الحارة في يوم من الأيام أنهم سباعيون، ولم ينقل في فروع السباعين وأولادهم أن منهم من سكن تودغة، مع استبعاد خفاء مثل ذلك إذا كان أحد أوليائهم وصلحائهم في مقام الحاج عمرو ينتسب إليهم!

السبب الثاني: كون ابن أبي السباع لم يترك ولدا يسمى إبراهيم كما أثبت في العمود المذكور أعلاه، بل أولاده ثلاثة (اعمر وعمران والنومر) كلهم مدفونون بقرية (القصابي) بوادي نون على بعد 18 كلم من كلميم، وولد أعمر عَمرا آخر منه نسل السباعيين في أحواز مراكش وصحراء المغرب وموريتانيا، وقيل بل اعمر الابن الأكبر لأبي السباع ترك أربعة أبناء ذكور، وهم:

---

(1) منها وثائق الزاوية لدى السيد ميلود الحداشي، وأخرى مطبوعة على أوراق، وبحث جامعي بعنوان "زاوية الحاج عمرو دراسة لمقوماتها الحضارية والنظم الاجتماعية والثقافية" لصاحبه عمر عمالكي وكتاب "بغية الراغبية في معرفة أخبار الزاوية العمرية" للأستاذ مولاي مصطفى البوعزاوي.

1- الحاج عمرو، 2- الغازي، 3- إبراهيم، 4- عامر.

ثم عمرو الثاني (الحاج) ترك خمسة من الذكور وهم:

1- سيدي محمد الْبقار (البكار)، 2- إبراهيم بو عنقا (بو عنكة)، 3- عبد الرحمن الغازي، 4- وعيسى، 5- ومحمد الشهير بأَكللش، وليس فيهم من يتصل بأهل تودغة[1].

وأما كون هذا النسب ذكره أبو العباس أحمد بن الشيخ عبد الله البكري فلا إشكال، وقد ذكره غيره أيضا كما رأينا، لكن الإشكال هل صُرح فيه بنسبته إلى تودغة أم لا ؟ وقد عرفت ما قيل في هذا النسب، ثم إن كثيرا من أخطاء المشجرات في أنساب المغاربة ترجع إلى مثل هذا، فيتعلق من تعلق بهذا النسب أو ذاك من جهة تشابه الأسماء ولا يحرر الموضع.

والسبب الثالث: أن ابن أبي السباع توفي سنة (924هـ) والذي عندهم أن الحاج عمرو توفي في: (930هـ) وهو حفيدُ حفيدِ ابن أبي السباع كما في المشجر، فكيف يعقل أن تتزامن حياة الولد مع جد جده ويتوفيا في زمن متقارب لا يتجاوز الست سنوات مع وجود هذا الفارق الذي يبلغ الجيلين ؟! فهذا بعيد.

- **وثاني النسبين**: يورد منسوبا كالآتي: عمرو بن يعزى السملالي... إلخ ويثبتونه نقلا عن ما أورده المختار السوسي في ترجمة هذا العالم كما هي في مصادره[2]. وهذا في الحقيقة ليس سوى نسب علم من أعلام سوس المشاهير ينتهي نسبه إلى وكاك بن زولو اللمطي شيخ عبد الله بن ياسين مؤسس الدولة المرابطية. وعمرو بن يعزى لم تذكر له المصادر من الأولاد سوى أحمد وهو من العلماء توفي بفاس ومنه تناسلت ذرية الحاج عمرو واشتهرت بالعلم والصلاح وانتشروا في بقاع سوس. وليس ثمة أدنى إشارة تدل على أن عَمرا هذا انتقل إلى تودغة، بل الحاصل هو العكس كما تدل عليه ترجمته وتراجم

(1) انظر على سبيل المثال: "الإبداع والاتباع في تزكية شرف أبناء أبي السباع" للعالم لشقر مولاي أحمد السباعي.

(2) المعسول: 11/ 48 وفيات الرسموكي: 17.

الأعلام من أحفاده، فشهرة الأسرة في سوس وشهرة جدها تمنعان من أن يكون هو الحاج عمرو دفين تودغة، فضلا عن عدم وجود أية وثيقة تدل عليه، فشتان ما بين العَمرين؟ ولولا ما ذكره من ذكره في بحث جامعي دون أدنى تريث، بل لمجرد الاتفاق في الاسم وتبعه على ذلك من تبعه لما كان ينبغي الالتفات إلى مثل هذا الكلام ولا مناقشته، إذ هو خطأ جلي في أمر جلي!!

ومن العجيب بعد هذا أن بعض الإخوة ممن تعرض لنسب الشيخ جمع بين النسبين معا في الحديث عن شخصية الحاج عمرو، فهو في عمود النسب سباعيٌّ على ما أوردناه سابقا، لا ذكر فيه لنسبة (يعزى السملالي)، وفي حياته العلمية ووفاته هو ابن يعزى السملالي السوسي؟! وهذا غلط ظاهر. والذي أوقعهم في هذه هو ما أشرنا إليه سابقا من التعلق بتشابه الأسماء دون النظر في حقائق الأعلام.

- **وثالث الأنساب**: للشيخ الحاج أعمرو هو الذي تذكره بعض الروايات الشفوية، وأشار إليه الضابط الفرنسي سبيلمان وغيره[1] في بحثه الذي أنجزه عن الزاوية الحنصالية، وهو نسب يربط بين الحاج أعمرو ومؤسس الزاوية الحنصالية الأم الشيخ (سعيد أحنصال بن عمرو)، وحاصل ما أفادت تلك الدراسات أن (سعيد ابن عمرو) رابع أربعة إخوة، وأخوته الثلاثة الآخرون هم:

1- سيدي أحمد، 2- سيدي محمد، 3- سيدي الحاج.

فأما المسمى أحمد فدفن في بلدة (أكانان) بآيت محمد بين آيت داود وآيت أوتباغوس، وأما محمد فدفن بآيت توتلين بأولتانا، بينما دفن الحاج أعمرو بتودغة،

---

(1) Au coeur de l'Atlas, mission au Maroc, 1904 - 1905. p: 41.

- Zaouia d'Ahançal :(D'après les notices de M. le lieutenant SPILLMANN) Archives marocaines publication. 1927.

ونشير إلى أن هذه االدراسات - خاصة من طرف القبطان (سبيلمان) اعتمدت أبحاثا ميدانية في عين المكان، مع استفادته من الذين سبق لهم البحث في هذا الشأن، وقد أتيح لهذا القبطان من الوثائق والمعلومات الشيء الكثير بحكم مهامه التي شغلها طيلة فترة الاستعمار، ولذلك نعتبره مرجعا أساسا في مثل هذه القضايا ما لم نجد ما يخالفه صراحة.

وذكر أن لهذا الأخير أولادا، وهو الصحيح خلاف ما يشيعه بعض الناس من عدم وجود عقب له[1].

ولم نجد ما نعترض به على هذا الرأي إلا ما سنذكره بعد قليل، ثم إذا نحن وافقناه، نكون أمام (الحاج أعمرو) بالهمز الدال على النسبة إلى (عمرو) وعرف بالحاج، كما أن الفترة التي عاش فيها الحاج عمرو تكون غير ما هو شائع فيما كتب عنه، بل يمتد عصره إلى ما قبل ذلك، اعتمادا على علاقة أخيه (سعيد) بأحد كبار صلحاء تلك الفترة الزمنية وهو الشيخ أبو محمد صالح الماجري[2] المتوفى سنة (631هـ) وهي الفترة التي شهدت أفول نجم الموحدين وظهور المرينيين، فعلى هذا يكون (سعيد) عاش وتوفي في القرن السابع الهجري، إذا اعتبرنا أنه عاش إلى نهاية القرن أو حتى بداية القرن الذي يليه، و(سعيد) هذا أصله من سوس، استقر بإشارة من شيخه أبي محمد صالح في جبال الأطلس بالمكان المسمى (تاغيا نايت تاكلا) بأسيف نحنصالن، وهو الذي لقبه بـ (الحصَّال) لسرعة تحصيله واستيعابه ثم صار الناس بعد ذلك يقولون (أحنصال)، واستطاع أن يربط علاقات مع قبائل كثيرة في الأطلس الكبير والمتوسط، وهو ما جعل إخوته الثلاثة يفدون عليه، ليستقر كل واحد منهم بعد ذلك في بعض تلك المناطق التي ترتبط بالشيخ سعيد، ثم إن هؤلاء

---

(1) سمعته من بعض الناس في المنطقة، وهو مردود كما بيناه.

(2) ولد وتوفي بآسفي، كان له فيها رباط مشهور، وتفقه بها ثم أقام 20 سنة في الإسكندرية. وانتشرت في أيامه الشكوى من وعورة الطرق إلى الحج حتى قيل: إن الحج ساقط عن أهل المغرب، فتصدى صاحب الترجمة لمحاربة هذه الفكرة، وجعل ديدنه الدعوة إلى الحج وتذليل عقباته. وكثرت زواياه في بلاد إفريقية والمغرب والمشرق حتى بلغت 64 زاوية منتشرة من آسفي إلى الحجاز معمورة بالأشخاص والمريدين، شغلهم تسهيل الحج والسير بالحجاج في الأماكن الموحشة الوعرة، بأمن وأمان. ولحفيده أحمد بن إبراهيم الماجري، كتاب (المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح) وللكانوني محمد بن أحمد كتاب (البدر اللائح من مآثر آل أبي محمد صالح) الإعلام: 3/ 199 وأشار المهدي الناصري في (نعت الغطريس) إلى العلاقة بين سعيد وشيخه هذا، وهي توافق ما عند (سبيلمان).

الحنصاليين منذ زمن يرجعون نسبهم إلى الشرفاء الأدارسة.

وأما ما يمكن أن يعكر على هذا الرأي، فهو ما وقفنا عليه من أعلام ينتسبون إلى الحاج عمرو، وردت أسماؤهم متصلة إليه وصحت تواريخ وفاتهم، وأقدمهم هو الشيخ عبد الكريم بن محمد بن علي بن عمرو التدغي عاش في النصف الثاني من القرن الحادي عشر وتوفي عام (1132هـ)، ووجه ذلك أن هذا النسب إذا كان متصلا بلا أي انقطاع فيصعب معه الجزم بصحة التاريخ المفترض الذي عاش فيه الحاج عمرو كما هو مستنتج من الدراسات السابقة، وقد رأينا الفترة التي عاش فيها سعيد الأخ الأكبر للحاج عمرو، وإذا اعتبرنا فارق السن بينه وبين أخيه الصغير فالراجح أن يكون الحاج عمرو قد عاش في القرن الثامن الهجري لا يتجاوزه - في الغالب - على أبعد تقدير. وعليه فمن العسير أن يكون الفارق بين حفيد وجد أبيه حوالي ثلاثة قرون ! اللهم إلا أن يكون النسب المذكور للشيخ (عبد الكريم) فيه انقطاع بين (علي) ابن الحاج عمرو و(محمد)، كما جرت العادة في اختصار النسب إلى الجد المشهور، وهو أمر شائع في تراجم العلماء منذ القديم، خاصة إذا كان المقام ليس مقام تحقيق نسب وإنما مقام تعريف فيكتفى فيه بما يحقق ذلك.

وربما يشهد لهذا ظهير شريف لمرابطي زاوية الحاج عمرو بتودغة، يعود إلى عام (924هـ)[1] مما يدل على أن تأسيس الزاوية كان قبل هذه الفترة، ولم يتسن لي التحقق من جميع عبارات هذا الظهير.

وأما عن ذريته فيعتقد أنه ترك أربعة أولاد، هم:

1- عبد القوي، 2- علي، 3- إبراهيم، 4- يعقوب.

فأما (علي) فقد أشير إليه في نسب الشيخ (عبد الكريم)، وغيره محفوظ لدى الناس، وذكر الملازم الفرنسي (بوربير) غيرهم استنادا إلى ما كتبه باحث فرنسي

(1) من وثائق الزاوية، وأشار أخونا مولاي المصطفى البوعزاوي في كتابه عن الزاوية العمرية إلى السلطان المانح للظهير أبي عبد الله محمد الشيخ السعدي، ومعلوم أن هذا السلطان إنما حكم المغرب بدءا من (949هـ) تقريبا، فإما أن يكون الغلط في التاريخ أو في اسم السلطان!

آخر سنة (1917م) يدعى (نويل Noel)[1]، قال يحتمل أن يكونوا أبناءه، وهم (مولاي علي) بمزكيطا و(مولاي بوبكر) و(سيدي داوود) ببلدة (تكماصت) المجاورة، فأما (مولاي علي) فمزكيطة المشار إليها واقعة في درعة، وبها بعض ذرية الحاج عمرو من أقارب العلامة الحسين التدغي وهو متأخر، أشار إلى هذا محمد الحبيب التمنوكالتي في حديثه عن مزكيطة في كتابه الذي أخذنا منه، فربما كان هذا العلامة من ولد (علي بن الحاج عمرو)، وهو ما يمكن أن يكون قصده الملازم، وأما أن يكون علي بن الحاج عمرو نفسه دفينا في مزكيطة فلم نقف عليه فيما بحثنا فيه من مراجع فقهاء درعة وصلحائها، وأما (علي بن عمرو) دفين بلدة غزوان بـ (تالسينت) فربما تُوُهِّم أنه هو وليس كذلك، وإنما هو من الشرفاء السغروشنيين كما ذكره غير واحد ممن كتب في الأنساب[2] أبوه عمرو دفين فاس، وأما (أبو بكر) فيوجد ضريح بهذا الاسم في إحدى مقابر الحارة لكنه ينسب إلى تافيلالت ومنها قدم، وأما (سيدي داود) فأهل تجماصت أدرى به، وله خبر ذكرناه في هامش سابق، وبهذا فلا شيء يعول على هذا الذي نسبه (نويل) وتبعه عليه (بوربير).

وعلى كل حال، فالقصد من هذا، تحقيق المعلومات وتصحيحها، ونفي ما هو واضح الخطأ وبيانه، والوقوف عند الآراء الأخرى وإظهارها، وهذا سبيل الإنصاف في كل بحث علمي ينبذ الاعتساف، بحسب ما توافر من المعطيات والشواهد إلى أن يتوافر غيرها فيبنى عليها مرة أخرى، وهكذا مسيرة العلم.. ونحن لا نبتغي إلا هذا، وليس لنا حاجة في خلع لباس أو إلباسه لأحد دونما وجه حق، ولو كان الأمر جليا مقطوعا به لما كلفنا أنفسنا الخوض فيه، ولكنه ليس كذلك، فاحتاج إلى مزيد توضيح وتحرير، والله تعالى أعلم.

والذي يهمنا بعد هذا كله مما لا يرتاب فيه أحد، أن الشيخ الحاج عمرو ممن شهد له بالخير والصلاح، وظهر أثر ذلك في عقبه، وعم الواحة وخارجها، قال فيه

---

(1) 60 - 61.

(2) انظر على سبيل المثال: الدرر البهية والجواهر النبوية: 2/ 162.

أحد فقهاء تودغة محمد بن اليزيد الناصري في معرض ذكر بعض شيوخه المنتسبين إليه: (شيخ الأمة ومرشدها وناصحها المتبرك به حيا وميتا سيدنا الحاج عمرو)، ويكفيك بيانا لهذا من ستقف عليهم من الأعلام ممن ينتسب إليه عدا من لم نقف عليه، فذاع بهم بعد جدهم المؤسس صيت الزاوية، وقصدها من الآفاق كل راغب في حفظ القرآن الكريم وتعلم العلوم الشرعية، وعرفت بمدرستها التي بقي صيتها حتى فترة الاستعمار، وقد ذكرها الملازم الفرنسي (بوربير) في تقريره لعام (1930هـ)، وما يزال أهلها إلى اليوم معتنين بحفظ القرآن الكريم وتحفيظه، ومن مزاياهم في الواحة كلها ما اشتهر بين كبارهم من حفظ المنظومة الأمازيغية في عقائد الإيمان وشرائع الإسلام، نأمل من الله تعالى أن يتقوى عطاؤهم وتتجدد عنايتهم لبناء صرح علمي يليق بالتاريخ العلمي لهذه البلدة. وها نحن نذكر بحول الله من منتسبي الزاوية ثلة من الأعلام الأمجاد، لهم في العلم والصلاح الطراف والتلاد.

2- سيدي أبو محمد عبد الكريم بن محمد ابن علي بن عمرو التدغي[1]

ينتهي نسبه إلى الشيخ المؤسس، وهو أقدم من وقفنا عليهم من الأعلام المنتسبين إلى الزاوية العَمرية. أقول: هذا مفخرة العَمريين بعد جدهم المؤسس، بل هو مفخرة أهل تودغة قاطبة إذا تباهى كل بلد بأعلامه.

لا عذر للشجر الذي طابت له أعراقه أن لا يطيب جَناهُ

جمع الله به بين نسبين كريمين وذرية شيخين صالحين، بعد أن انعقدت المصاهرة بينه وبين الشيخ أبي العباس أحمد ابن ناصر شيخ الزاوية الناصرية

(1) الدرر المرصعة: 2/ 409، العقود اللؤلؤية في الأنباء الدرعية (مخطوط خاص)، خلال جزولة: 3/ 65.

بزواجه من أخته الصالحة الناسكة السيدة سارة بنت الإمام أبي عبد الله محمد بن ناصر، وناهيك بمن يقربه الشيخ ويتخذه صهرا. ومن مكانة المترجم وقدره لدى الشيخ أبي العباس الناصري أن هذا الأخير لما كان آيبا من رحلة من رحلاته إلى الحج لدغه عنكبوت وهو في الإسكندرية سنة (1122هـ) فكتب وصيته التي أوصى بها إخوانه وأصحابه، وكان ممن أوصى بهم أن يُوَقروا صهره هذا الشيخ عبد الكريم التدغي، ومن مكانة المترجم أيضا ومقامه في الزاوية الناصرية أنه كان من جملة من شهد على تولية الشيخ موسى بن محمد الكبير الناصري شؤون الزاوية وتلقين الأوراد خلفا لأبيه[1].

وقد ذكر موسى بن المكي الناصري المترجم في تائيته في معرض ذكر أصهار الشيخ قائلا:

وأصْهَارُنا الأَعْلامُ مِنْ ذَاك أَحْمدُ لِهَشْتُوكة يَنْتمي وفازَ بِشُهرةِ
كذا الشَّرَحبيلي والحُسينُ هُو اسمُه وعبد الكريمِ الحَبْرُ صاحبُ تُدْغَةِ
ولِلوارزازِيّينَ الأَجِلَّةِ صُحْبةٌ لنَا ثمّ صهر في تمامِ مَودّةِ

حلاه صاحب (الدرر المرصعة) بألقاب بارعة غاية في بيان سني درجته العلمية والأخلاقية قائلا فيه: (العالم العلامة الفهامة المحدث المتفنن التقي الرُّحَلة)، وذكر أنه قد انتقل إلى الزاوية الناصرية واستقر بها بعد عام (1090هـ) بعد أن حصل جملة من المعارف والعلوم. وقال عنه معاصره أحمد بن صالح الأكتاوي الدرعي[2]: (شيخنا العلامة الأورع الأذكى، التقي الزكي الأزكى، سيدي عبد الكريم

(1) بعد وفاة الشيخ أحمد الخليفة 1129هـ، وقع خلاف بين أقارب الشيخ في من سيتولى المشيخة بعده، وكان أكبر من طالب بها تلميذه الحسين بن محمد الشرحبيلي الذي غادر في النهاية إلى تازناخت وأسس بها زاويته بعد أن حسم الأمر لصالح ابن أخ الشيخ المتوفى موسى بن محمد الكبير. المعسول: 242/18.

(2) أحمد بن صالح بن إبراهيم بن عبد المؤمن الشاوي أصلا، الدرعي أبو العباس الأكتاوي: أديب وعالم بالطب، كانت نشأته وإقامته ووفاته في زاوية أكتاوة بدرعة. له نظم كثير في =

التدغي)، وقال عنه محمد بن الحبيب التمنوكالتي: (المحقق المدرس بالزاوية الناصرية)، وأكد هذا الوصف ما قاله فيه تلميذه العلامة الأديب محمد بن عبد الله الحسني الحوات في مرثيته فيه حيث يقول:

لسانُ العُلومِ المُرْتَضَى شيْخُنَا الرضي يُضَاهِي الإِمَام الفَخْر والسّعْد والسُّبْكي[1]

وهل من يوضع بصحبة هؤلاء الأفذاذ ولو في سياق التعظيم إلا رجل بزّ الأقران، ونال في العلم أسمى مكان؟! وكيف لا وهذه مشيخته العلمية تشهد له بذلك، فلقد أخذ عن جماعة من الأعلام على رأسهم إمام المغرب في وقته أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي[2] وأبو الحسن علي الشهير بالمراكشي[3]. ولم يقف به

=

ديوان سماه "شفاء المريض في بساط القريض"، ومن كتبه و"الهدية المقبولة" أرجوزة في الطب وشرحها "الدرر المحمولة" و"الرحلة الشافية " حجازية و"تنبيه السائل ببعض ما هو عنه سائل" و"شفاء الأكمه في عيون الفوائد والحكمة" وغيرها توفي سنة: 1147هـ. الأعلام للزركلي: 1/ 138.

(1) من كبار علماء الأمة ومحققيها، وأشهر من أن يعرّفوا؛ فأما الفخر: فهو الرازي المتكلم الأصولي والمفسر والمؤرخ وعالم اللغة (ت 606هـ) والسعد: هو التفتازاني السمرقندي الحنفي، الفقيه الأصولي النحوي البلاغي المتكلم النظار المنطقي، (ت 791هـ) والسبكي: هو القاضي تقي الدين، ابنه تاج الدين، من كبار الأصوليين والمتكلمين والنحويين، (ت 756هـ).

(2) الإمام الكبير، أبو علي الحسن بن مسعود بن محمد اليوسي، أحد كبار أعلام المغرب، قال فيه أبو سالم العياشي قولته المشهورة:

من فاته الحسن البصري يصحبه فليصحب الحسن اليوسي يكفيه

وقال عنه صاحب نشر المثاني: "كان رحمه الله عالماً ماهراً في المعقول والمنقول، بحرا زاخرا في المعارف والعلوم" من تآليفه: "زهر الأكم في الأمثال والحكم" و"القول الفصل في تمييز الخاصة عن الفصل" و"المحاضرات" و"ديوان شعر" و"القصيدة الدالية وشرحها" و"القانون" وغيرها. توفي عام 1102هـ، نشر المثاني: 25/3 الفكر السامي: 2/ 337.

(3) علي بن محمد بن عبد الرحمان المراكشي الأقاوي الأصل، فقيه تولى التدريس بالزاوية الدلائية، ولاه السلطان المولى الرشيد قضاء تادلة توفي بكناس 1090هـ.

ظمأ العلم عند الورد القريب بل رحل إليه في المشرق، فلقي هناك أعلاما ثم رحل إلى الشام، واتسعت رحلاته حتى وصف (بالرُّحَلة) الوصف المفيد للتلبس بالفعل والإكثار منه.

ولما أناخ رحله بالزاوية الناصرية اشتغل فيها بالتدريس وتلقين العلوم، وهي وظيفة لا تسند في مثل ذلك المقام إلا لمن اضطلع في العلوم وكان بين أقرانه كالبدر بين النجوم، كيف والمقام مقام الزاوية الناصرية في ذروة تألقها العلمي حتى صارت قبلة طلاب العلم والشيوخ من سائر النواحي وعلامة من علامات الفكر والتربية معا، وبقي على ذلك إلى أن وافاه الأجل ليلة الخميس التاسع عشر 19 من جمادى الأولى سنة (1132هـ) ودفن ظهر يوم الخميس بعدما أوصى رحمه الله أن يدفن في مقبرة العالم سيدي أبي القاسم الشيخ[1] محاذيا له من جهة القبلة، وصلى عليه الشيخ إبراهيم بن علي الدرعي[2] الشهير بالسباعي بوصية كذلك، وكفن في الثياب التي كان يصلي بها الجمعة وهي قميص وسروال وعمامة وكساء رقيق بوصية منه، ووضعه في قبره عالمان أحدهما: ابنه محمد والآخر محمد بن عبد الله الحسني الحوات.

ومن شعره رحمه الله أبيات رقيقة سلسة يظهر فيها مدى علو همته، ويعتز بقدره ومكانته ويشكو أحوال الزمان وعدم الإنصاف، كما هو حال كثير من الناس قديما وحديثا، يقول:

إذَا ضَاقتْ أكُونُ لهَا إمامَا   وإنْ وُسِعَتْ فغَيْري للتّلاقِ

(1) دفن بتامجروت خارج زاوية سيدي الناس، يعرف عند أهل فاس "بالكوش" أخذ عن كبار علماء زمانه كابن غازي والونشريسي والقاضي سعيد الهوزالي، توفي سنة: 953هـ. الدرر المرصعة: 1/ 267 طبقات الحضيكي: 1/ 151.

(2) من كبار المسندين، وعمدة من أعمدة أيمة القراءات المغربيين، وبقية من كانت الرحلة إليهم على المحدثين كالواجبة، وناهيك بكونه شارك أبا سالم العياشي في معظم شيوخه المشارقة والمغاربة، وعاش بعده 45 سنة. فهرس الفهارس: 2/ 1097.

وإن رمْتُ المَعَالي كُنْتُ أهْلاً أجابتْ - لَا أَبا لَكَ - بِالوِفاقِ
وقالتْ: غَيْرُكمْ عنّا حَرَامُ ولوْ بِألْفِ أَلْفٍ مِنْ صَداقِ
ولكنْ ذَا الزّمانُ أراد خَفْضي ورفعَ الغَيْرِ أخْذاً بالنِّفاقِ
فَقَدّمَ كُلَّ غُمْرٍ لَيس يَدْري وأخَّرَني شَطَاطاً بِالشِّقاقِ

ومن نظمه كذلك شعر يستودع فيه الشيخ أحمد بن صالح الأكتاوي الدرعي ومن معه، أورده هذا الشيخ المذكور بعد أن قال: (ومما صدر نظمه من محبنا وشيخنا العلامة الأورع الأذكى، التقي الزكي الأزكى، سيدي عبد الكريم التدغي نازل الزاوية الناصرية حرس الله مجدها وذلك في شهر ذي قعدة سنة 1107هـ، وقد أقام عندنا مدة تزيد على العشرين يوما، أفادنا فيها ما هو أهل له من العلوم التوحيدية والأحاديث النبوية وغير ذلك من العلوم والإشارات الأدبية، ولما عزم على الأوبة أنشد الأبيات:

عَزمنا على التّرحالِ منْ خيْرِ منزلِ وَقَاهُ إلهُ العَرشِ مِنْ كُلِّ مُعضلِ
ألا ليْتَ شِعري هلْ يُتاحُ لنا اللّقا بأحبَابِنَا مِنْ بعدِ يومِ الترحُلِ؟
فيَهنَأُ عَيْشُنا ويَنعَمُ بَالُنا ونرْقى سَماءَ العِزِّ دُون تَنزّلِ
تركتُهمْ والقلبُ من بَعدُ بُعدِهِمْ جريحٌ، فَلَمْ يَلتذّ بِعرْسٍ ولا نسلِ

ولما توفي في التاريخ المذكور رثاه تلميذه العلامة الأديب محمد بن عبد الله الحسني الحوات بهذه القصيدة قائلا:

إذا ما بدَا برْقٌ مِنَ الجانبِ المَكّيِ أَرى شَوقَ سُكانِ المَعاهدِ لِي يَبْكِي
فيا قلبَ مَحْزونٍ تَذَكّرْ عُهودَهُمْ فَغُصّ بما لاقَى مِنَ الضّيقِ والضّنْكِ
سَلِ الطّالعَ الغَرْبِيَّ مِنْ نَحوِ دَرْعةٍ سؤال الشّجِيّ المُشتاقِ عنْ جِيرةِ الأَيْكِ
ثَوَواْ رَبْوةَ الشّعاعِ مِنْ رفعِ حافرٍ وقد أشرفَتْ نفْسُ المحِبِّ على الهلْكِ
فهَلْ هاج تَذكارُ الحَبيبِ لَهُمْ أَسَى بِكُلِّ حَشا نار الغَضا أبَدًا تُذْكِي؟

كمـا هـاج مِنّـا ذاك فَقْـدُ حُلاحِـل[1] جليـلٍ سَـنِيّ كـانَ وَاسـطَةِ الـسِّلْكِ
لسانُ العلومِ المُرتضى شَيخُنا الرَضِـي يُضاهي الإمام الفخْرَ والسّعدَ والسُّبْكِي
وَلِيُّ التُّقـى عَبْـدُ الكـريمِ الـذي سَـرَى إلـى اللهِ تَلقـاهُ البَـشائرُ بالـضَّحْكِ
فَقَـدناهُ لا نرجُـوا اصْـطِبارا، ولا نَـرى لـهُ الـدّهرَ كُفُـؤاً فـي الزّمـانِ بِـلا شَـكِّ
وخَلّفْنـاهُ نَأْسَـى ونَبْكـي تَأَسُّـفاً وَفي حُزْنِها الخَنساءُ فِي فَقْدِها نَحْكِي
مُصابُ الـوَرى طُـرًّا مُصابُك، مَـا أنـا بِقائِـلٍ هـذا مِـنْ مِـراءٍ وَلا إفْـكِ
فَمنْ لِلْمعالِي بَعْدَ أنْ غِبْتَ في الثّرَى وسَـوَّوا عليْـكَ الأَرْضَ بِـالتُّرْبِ بِالـدَّكِّ
ومِـنْ لِلعلـومِ اليـومَ بَعْـدَكَ نَاشِـراً يُحَرِّرُهـا بِالنّقْـلِ والنّقْـدِ والـسَّبْكِ
فنَاهيـك مِـنْ عِلـم غزيـرٍ، ومِـنْ نَـدًى جَزيـلٍ، ومِـنْ دِيـنٍ مَتينٍ ومِـنْ نُـسْكِ
ولكنّـهُ سَـهْلُ الـسّجايا رَطِيبُهـا إذا سَـامَ غُمْـرٌ حُرْمـةَ اللهِ بِالهَتْـكِ
عَـدَا أنَّ هَـذا الـدّهرَ عَاجـلَ مَوتَـهُ عَلَـى أنّـهُ المعـروفُ بـالبَطْشِ والفَتْـكِ
هُـوَ الـدّهرُ لا تَـأْمَنْ حياتَـكَ كيْـدَهُ فَمـنْ سُـرَّ فـي يـومٍ ففـي غَـدِهِ يَبْكِـي
ومَـنْ بـاتَ يوْمـا فـوق فَـرْشٍ مُنَعّمَـا فَـلا بُـدّ يومـا أنْ يَبِيـتَ عَلَـى شَـوْكِ
تـرَقَّ إلـى الأعلـى مـعَ الـصّفْوةِ المَـلا إلـى الرّفْـعِ مِـنْ فَلْـكٍ سَـمِيٍّ إلـى فَلْـكِ
وَدُمْ بِجِنـانِ الخُلْـدِ تُـسْقى بِحَوْضِـها وَتَسْرَحُ في ذاكَ الحِمَى الواسعِ المُلْكِ
عَلَيْـكَ سَـلامٌ لايـزالُ عَبيـرُه يُوافِيـكَ أَذْكـى مَـنْ شَـذَا أَذْفَـرِ المِـسْكِ

وأما تلاميذه ومن أخذ عنه من الشيوخ فلا شك أنهم من الوفرة بما لا يسهل عده، فهذا حال من تصدى للتدريس في زاوية كالزاوية الناصرية في أوج عطائها لما يزيد عن أربعين عاما، ولكن لم نتعرف سوى على أسماء هؤلاء:

- **أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم التدغي**: ولده وسيأتي ذكره بعده
- **العلامة عبد الله بن محمد (الكبير) بن الشيخ محمد بن ناصر**: الأستاذ النحوي

---

(1) السيد المبجل.

المشارك والقارئ العشري.

- **العلامة أبو العباس أحمد بن صالح الدرعي الأكتاوي:** صاحب التواليف المعروفة التي منها أرجوزته في الطب المسماة: (الهدية المقبولة في حلل الطب المشمولة).
- **العلامة الأديب قاضي شفشاون محمد بن عبد الله الحسني الحوات:** الذي ألف في الناصريين كتاب (تحفة المعاصر في بعض صالحي تلامذة أبي عبد بن ناصر).
- أبو بكر بن علي التيزختي: تزوج بإحدى أخوات أبي العباس أحمد بن ناصر، ذكره الحضيكي في (طبقاته).
- **محمد بن أحمد السكتاني التافانكولتي:** أجازه الشيخ في صحيح البخاري. ذكره المختار السوسي في (خلال جزولة).

3- أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم بن محمد ابن علي بن عمرو التدغي[1]

المُعم المُخوِل ابن المترجم قبله وسبط الشيخ ابن ناصر.

إن المقدمتين مهما كانتا صِدْقا فمثلهما النتيجة تخرج

لم نقف له على ترجمة سوى ما جاء في معرض ترجمة صاحب (الدرر) لوالده حين أنشده الأبيات التي من نظم أبيه عبد الكريم وهي المذكورة في ترجمته. وأخرى في رحلة الشيخ أبي العباس أحمد بن ناصر عام (1121هـ) وقد آب من رحلته تلك، حتى إذا جاوز الركب تافيلالت وبلغ ناحية في وادي غريس كان الذي تلقاه هناك هو المترجم صحبة أبيه بعد صلاة صبح يوم الأحد الثاني من رمضان

---

(1) الدرر المرصعة: 2/ 409، العقود اللؤلؤية في الأنباء الدرعية (مخطوط خاص)، الرحلة الناصرية: 737، فهرس الفهارس: 2/ 917، وثائق خاصة.

عام (1122هـ)، وسارا معه حتى دخل الركب زاويتهم بدرعة يوم الأربعاء اللاحق، وأما شيوخه فلا شك منهم أبوه الفقيه المدرس عبد الكريم، وبعض سادات البيت الناصري وكذلك العلامة الشيخُ إبراهيم السباعي فقد أجازه إجازة أشركه فيها مع موسى بن محمد بن محمد بن ناصر والأديب محمد بن عبد الله الحوات الشفشاوني وغيرهم بتاريخ: (1132هـ) كما في (فهرس الفهارس) للكتاني.

4- أبو علي الحسين بن محمد البوجمعاوي التدغي[1]

وهو من نسل شيخ الزاوية كما أثبت ذلك أحد تلامذته محمد بن اليزيد الناصري حين قال عنه: (من ضئضئ شيخ الأمة ومرشدها وناصحها المتبرك به حيا وميتا سيدنا الحاج عمرو) من فرع بني أبي جمعة. أحد الشيوخ الأجلاء والمربين الفضلاء، عابد ناسك، إلى ربه سالك، ما زال صيته يتردد في ذاكرة بعض الأهالي مما وصل إليهم من خبر علمه وكراماته. له شهرة في العلم تحصيلا وتدريسا، وفي السلوك والتربية تخلقا وتخليقا، تهذب قلبا وقالبا حتى حلاه شيخ الزاوية الناصرية في عصره بقوله: (صدر المدرسين، وفقيه الطالبين، وقدوة العلماء العالمين، الفقيه العلامة) وقال فيه محمد بن الحبيب الدرعي: (الأستاذ الجحجاح الفاضل العامل الكامل ذي البركة الشهيرة والفيوضات الغزيرة العلامة) و(الفقيه الشهير)، وقال تلميذه المذكور آنفا: (العالم القدوة ذي الكرامات الباهرة الجامع بين الحقيقة والشريعة)، وذكره المهدي الناصري في جملة شيوخ مشايخه وحلاه (بشيخ الجماعة). وكلها تحليات تنبيك عن مقام الرجل وقدره. وقد ذكر محمد بن الحبيب في سياق ترجمة لبعض علماء مزكيطة أن بها - أي مزكيطة - بعض أقارب هذا الشيخ وقت تأليفه تاريخه.

كانت له رحلة إلى فاس فأخذ عن جِلة شيوخها آنذاك أمثال، سيدي حمدون بن

---

(1) العقود اللؤلؤية ووثائق خاصة.

الفاسي (ت 1232هـ)[1] وعبد السلام بن أبي زيد الطيب الأزمي السباعي الإدريسي (ت 1241هـ)[2] ومحمد الطيب بن كيران (ت 1227هـ)[3]. وعن علماء سجلماسة أمثال هاشم بن الحسن الحسني المدغري البوعبلاوي وولده عبد الرحمان الدرقاوي، ومنه إلى هؤلاء الشيوخ تمر أسانيد كثير من أمهات الكتب والمتون العلمية التي تلقاها أهل درعة وتودغة في العقائد والتفسير والحديث والفقه والقراءات والرسم، وغير ها من العلوم، أثبتها العلامة محمد بن الحبيب الدرعي في كتابه عن درعة.

---

(1) أبو الفيض حمدون السلمي المرداسي، المعروف بابن الحاج: من أهل فاس، صاحب التآليف الحسنة والخطب النافعة. له كتب، منها "حاشية على تفسير أبي السعود" و"تفسير سورة الفرقان" و"منظومة في السيرة" على نهج البردة في أربعة آلاف بيت، وشرحها في خمسة مجلدات، و"المقامات الحمدونية" و"الثمر المهتصر من روض المختصر" و"حاشية على مختصر السكاكي في البلاغة" و"ديوان شعر" و"نفحة المسك الداريّ لقارئ صحيح البخاري" وغيرها، ولاه السلطان مولاي سليمان ولاية العرائش ثم استعفى منها واشتغل بالتدريس توفي عام 1232هـ، الأعلام للزركلي: 2/ 275 الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام: 3/ 117.

(2) أبو محمد عبد السلام بن أبي زيد بن الطيب الأزمي: بفتح الزاي الحسني السباعي؛ حامل راية المذهب ومفتي الديار المغربية؛ حافظ مطلع نفاع، أحيا الله به الفقه في المغرب ونفع به الجم الغفير من أهل وقته، ممن تشد إليه الرحال طلبا للعلم، عرف بالتقشف والزهد والورع والانقباض والعبادة. توفي سنة 1241هـ، الفكر السامي: 2/ 355.

(3) أبو عبد الله محمد الطيب بن عبد المجيد بن كيران:عالم محقق نقاد، حامل لواء العلوم المعقولية في المغرب وقته؛ وحافظ متقن تفرد في وقته بالجمع بين علمي المعقول والمنقول، والفروع والأصول؛ يعرف أكثر الفنون على أنه مجتهد فيها لا مقلد، وهو ممن حصل رتبة الاجتهاد في زمنه، أخذ عن التاودي بن سودة، له تآليف مفيدة؛ كـ "شرح توحيد المرشد"، و"شرح الخريدة في المنطق"، و"حاشية على توضيح ابن هشام"؛ و"شرح على حكم العطائية". تواليفه كلها تحقيقات وتحريرات ودرر وغرر، وهي أشهر بين طلبة المغرب من قام زيد. توفي سنة 1227. الفكر السامي: 2/ 352.

درّس بالزاوية الناصرية وكان من كبار شيوخها قبل أن يعود إلى بلده تودغة ويتوفى بها عام: (1287هـ) كما ضبطه محمد بن الحبيب في تاريخه، ودأب على تدريس جملة من العلوم والفنون بتودغة بقصر تنغير، ماهرا في تدريسها، وأحيا الله بدرسه العلم في الواحة حتى تخرج عليه العلماء والفقهاء، فكان يدرس على الخصوص أمهات المتون العلمية الكبرى، ذكر منها تلميذه اليزيد الناصري (مختصر خليل) في الفقه، و(الخلاصة في النحو) لابن مالك.

ولما ذكر المهدي الناصري شيوخه في فهرسته عقد له فصلا باعتباره شيخ مشايخه ومشايخ تودغة، قائلا فيه بما يغني عن قول قائل في قدره وأثره العلمي:

عنْ مُلحِقِ الأَحفادِ بِالأجْدادِ ... مُحْيي دروسِ العِلمِ ذُو الرَّشادِ

شَيخِ الشُّيُوخِ جِهْبِذُ الزّمانِ ... مَنْ دَأبُهُ التَّدريسُ ذُو العِرْفَانِ

مختصر الشيخ خليل يختِمهْ ... مُدّتُهُ في كُلِّ عَامٍ يلزَمُهْ

نَيْفٌ وأربعين خَتمةً أتى ... عَلى الذي حَقّقهُ مَنْ أثْبَتا

ولَمْ يَدَعْ بابا مِنَ الأبوابِ ... إلّا وبَثّهُ ذوي الألْبابِ

كذَا فُنون العِلمِ والتّفسيرِ ... قَرّرها بالجِدِّ والتّحْريرِ

حتّى تَخَرّجتْ بِهِ جماعهْ ... مَنْ كُلِّ ذي دِرايةٍ نَفّاعَهْ

فَقيهُ تُدغةٍ أبو عَلِيّ ... حُسَيْنُهم يَا لَهُ مِنْ مَرْضِيّ

شُهْرتُه لَنا بِها كفايهْ ... ونَعمتَهُ مَا لها مِن نِهايهْ

وناهيك عن شيخ يدرس مختصر خليل ويختمه مع طلابه كل سنة مرة فضلا عن سائر العلوم. ويظهر من خلال التحليات الواردة في حقه أنه لم يقف عند حدود مشيخة التعليم والتدريس. بل تحلى بكمالات الأخلاق والأوصاف فترقى حتى أضاف إلى مشيخة التعليم مشيخة التربية والتزكية، يسقي طلبته ومن حوله من النبعين الصافيين معا.

وقد ارتبط في الجانب السلوكي التربوي من جهة الأوراد المتبعة بالطريقة

الناصرية الشاذلية، وهذا أمر معلوم باعتبار صيت الزاوية في المنطقة وارتباطه بها من جهة المشيخة العلمية، فهو الشيخ الملقن لأورادها في تودغة بعد تلقيه الإذن في ذلك، منذ وقت مبكر من حياته، حسبما جاء في رسالة إليه من شيخ الزاوية الناصرية بتمكروت أبي بكر بن علي بن يوسف بن محمد الكبير بتاريخ (8 رجب 1238هـ)، وهي رسالة مخطوطة وقفنا عليها جاء فيها:

(أدام الله رعايتك وسرمد بمنه سعادتك، السلام عليك ورحمة الله وبركاته، أحمد الله إليك، وبعد: فعلى النصح الجميل والدعاء الجزيل كما نرجو ذلك من جانب مودتك في كل وقت وحين. واعلم أن بعض الأحبة من أهل تودغة كانوا يبعثون لنا في شأن الورد وأخذهم له مع تعذر وصولهم إلينا، وعليه، فقد آذناك بتلقين الأوراد لمن وفقه الله للدخول في السلسلة الشاذلية الناصرية من العباد إذنا تاما على شرطه المعلوم عند أهله، حسبما أخذنا عن أشياخنا رحمهم الله مسلسلا إلى عين الرحمة، سيد الوجود وسبب كل موجود ﷺ). ثم ذكر محتوى الورد من الأذكار وأعدادها.

وأما تلامذته فقد علمنا من سيرته أنه اشتغل بالتدريس في درعة وتودغة، ولا شك أن من كان كذلك مع ضلوع يد وتمكن ورفعة حال في السلوك لا يمكن إلا أن يكون مهوى أفئدة طلاب العلم الراغبين والسالكين، إلا أن شح المصادر وقلة التوثيق وضياع خزانته كل ذلك منعنا من التعرف على الآثار العلمية لهذا الشيخ الجليل في التأليف والتدريس. ومع ذلك فقد وقفنا له من جملة تلامذته على ثلاثة أعلام من درعة وتودغة، وكأنهم بذاك ينطقون عن بقية التلاميذ ممن لم نتعرف إليهم، ذاك عن تلامذة درعة والوافدين إليها، والآخران عن تلامذة تودغة وأهلها.

أما الدرعي فهو: العلامة محمد بن علي الناصري، من السادة الناصريين المشهورين، انتقل بعد أن أخذ عن الشيخ الحسين التدغي وأجازه إجازة عامة إلى قرية تمنكالت، وشارط في مسجدها يدرس فيها فنون العلم ويفتي ويحكم في النوازل وتوفي عام (1330هـ)، له تلاميذ مشهورون في كل من درعة وتودغة.

وأما التدغيون فهم: ابنه الفقيه المسمى سيدي إسماعيل ومحمد بن اليزيد

الناصري، تقدم ذكره وستأتي ترجمته في العلماء الناصريين التدغيين. وسيدي أحمد ابن العباس بن إسماعيل الناصري والعلامة أحمد بن عبد الله التدغي.

5- إسماعيل بن الفقيه سيدي الحسين التدغي

هو إسماعيل بن الفقيه سيدي الحسين التدغي المشهور، قتله باعلي الفتاك سنة (1320هـ) مع بعض طلبة علم آخرين، خرجوا من قصر تنغير وقد ضاق بهم الحال من شدة الحصار الذي ضربه القائد المذكور. وقد حكى لي حفيده عن الفقيه أحمد نايت ناصر وقد أدرك المترجم، أنه لما وقف بين يدي قتلته ردد قوله تعالى: ﴿ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ ﴾ والحفيد المذكور هو السيد الحاج لحسن الوشكوني، إمام وخطيب المسجد المعروف بالتحتاني بتنغير مازال فيه مشارطا إلى اليوم.

6- علي بن أحمد بن مسعود الوشكوني

من علماء القرن الثالث عشر، وقفنا له على مخطوطات نسخها بيده في إحدى الخزائن الخاصة، وهي: (اللمع الماردينية في شرح الياسمينية) من تأليف سبط المارديني، وهو شرح لنظم في الحساب، نسخه عام (1233هـ) وكتاب (كشف الحجاب للأصفياء الأحباب عن أجنحة الرغاب في معرفة الفرائض والحساب) للرسموكي نسخه عام (1235هـ) وكتاب (إيضاح الأسرار المصونة في الجواهر المكنونة) في أحكام المواريث للرسموكي أيضا، نسخه في (1243هـ)، و(وشكون) هي الأرض التي سكنها جدهم (الحاج عمرو) فصاروا ينسبون إليها.

7- إبراهيم بن عبد الله بن علي التدغي

من نسل الحاج عمرو كان حيا عام (1240هـ) نسخ أو شرح كتاب (سفينة النجا

لمن إلى الله التجا) المعروف بـ (الوظيفة الزروقية)، الشك مني، ونسخ شرحا من شروح (الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع)، وقفت على النسختين بخط يده في خزانة بعض فقهاء المنطقة.

8- أحمد بن عبد الله التدغي

من شيوخ المهدي الناصري الذين أخذ عنهم بتودغة، كما أورده في فهرسته، والواسطة بينه وبين شيخ مشايخ تودغة أبي علي الحسن التدغي، عاش في نهاية القرن الثالث عشر وبداية الرابع عشر، ولا نعلم له تاريخ وفاة، وإنما أوردناه في علماء الزاوية العمرية لما ترجح عندنا من أنه من أبنائها، فقد نعته المهدي الناصري في فهرسته بـ (المرابط) وهي تنصرف في الغالب إلى أبناء هذه الزاوية خاصة إذا اقترنت بصفة العلم والتدريس، فهم المرابطون المشهورون بالجمع بين الوصفين في الواحة، وإن كان يوجد مرابطون غيرهم في الواحة إلا أننا نميل إلى ما اخترناه، والله أعلم.

9- محمد (فتحا) بن علي التدغي

من بني المرخي، قال فيه التعارجي في الإعلام[1]: (حفيد سيدي الحاج عمرو التدغي) ثم قال: (المقدم المعظم المحترم البركة العظمى، الولي الكامل، المربي الواصل، شيخ الطائفية الدرقاوية بزاوية سيدي محمد بن صالح بمراكش، أخذ عن سيدي العربي بن عبد الله الهواري. وسيدي أحمد البدوي زويتن تلميذ مولاي العربي الدرقاوي المتوفى بفاس (1275هـ) وعن تلميذه سيدي محمد العربي المدغري، وكان في أول أمره يلبس المرقعة ويحزم بشريط، وفي آخر عمره صار يركب ويلبس الرفيع من الثياب).

(1) 7/ 150.

تلقى رسائل من سيدي محمد العربي المدغري الموجهة لمراكش سنة (1283هـ)، وصفه فيها (بالبركة الكبرى) و(المقدم المعظم المحترم) ودعا فيها بالبركة له في الدار التي اشتراها قرب الزاوية، واستحسن فتحه لمدخل منها لها، ويعلم فيها المريدين أنه آخا بين المترجم له (محمد بن علي) والشريف المهدي بن محمد بن عبد الرحمن أخوة لا افتراق بعدها، وألفة لا خلاف معها، وأنهما مقدمان يتعاونان على عبودية الله تعالى.

قال في السعادة الأبدية[1]: (ظهرت على يديه كرامات، وله زاوية وأتباع) ولم ينسبه إلى تودغة وإنما إلى درعة وفركلة ومثل هذا كثير في التراجم، وقال في: (سل النصال)[2]: سمع عنه الشيخ محمد بن الحبيب الأمغاري الفيلالي المكناسي شيخ الدرقاوية المعروف، فرحل إليه وأخذ عنه الطريقة. وقد أخبرني بعض من لقي الشيخ الأمغاري أنه رأى عنده وثيقة فيها سنده في الطريقة الدرقاوية أول شيوخه فيها المترجم، ثم وقفت بعد ذلك على هذا السند شعرا ونثرا في ديوان الشيخ محمد بن الحبيب المسمى: (بغية المريدين السائرين وتحفة السالكين العارفين) ، ومما ورد في هذا الكتاب أيضا في صلته بالمترجم قوله:(ولو أردنا بسط ما أنعم الله به علينا لاحتجنا إلى مجلدات، و لكن نذكر إلى الفقراء ما خصني به شيخي وأستاذي محمد بن علي ، وذلك أنه لما تصدر رضي الله عنه كتبت له رسالة في تجديد العهد معه..فكتب إلي رضي الله عنه وأمرني بالقدوم إلى حضرته فامتثلت أمره وقدمت إلى مراكشة فلما دخلت عليه رضي الله عنه دخل عليه من الفرح والسرور ما لا يدخل تحت حصر ، وقال لي: جاءتني الطائفة كلها لما جئتني أنت، وقال لي مرة أخرى في بشارة يطول ذكرها : أنت عندنا في طائفتنا بمنزله ابن عطاء الله من الطائفة الشاذلية ، فكما أن الله أحيا الطريقة الشاذلية بابن عطاء الله كذلك يحيي الله هذه الطريقة المباركة بك إن شاء الله) توفي رحمه الله في يوم الثلاثاء 12 ربيع الأول يوم المولد النبوي سنة (1326هـ) ودفن بوسط قبة زاويته التي بناها في حياة شيخه بحومة محمد ابن صالح بمراكش.

---

(1) ص 65.

(2) ص 213.

10- الحبيب بن عمر التدغي

من آيت أحسو المعروف بـ: (سيدي الحبيب أحسو)، آخر أعلام الزاوية العَمرية رسوخا ومكانة في العلم. بل أراه خاتمة فقهاء تودغة المبرزين بعد العلامة الفقيه المهدي الناصري، وهو من تلاميذته الآخذين عنه. ذكره كذلك محمد ابن الحبيب في جملة من أخذ عن العلامة محمد بن علي الناصري الذي تقدم ذكره، واصفا إياه بقوله: (النحم الثاقب العلامة الفهامة سيدي الحبيب بن حسو التدغي).

نقف أمام هذا العلم ولا نملك إلا أن نتحسر على ضياع آثاره العلمية كما تحسرنا على غيره وعلى شأن تراث الواحة كلها، وهو بين أيدينا مثال لعالم ضيعه أهله من أهل بلدته إذ لم يحفظوا تاريخه وتراثه، فالرجل كانت له مشاركة في الحوادث السياسية والعسكرية في زمانه كما كانت له في الكتابة والتأليف. وليس بين أيدينا من آثاره وأخباره إلا نتفا تدل على مكانته، ولقد علمت بوجود جملة من آثاره محفوظة في أرشيف المركز العلوي للدراسات بمدينة الريصاني، فحاولت الوقوف عليها غير ما مرة لكن دون جدوى، واتصلت بحفدته فلم يتيسر لي إلا النزر القليل، فبقيت الحسرة في مكانها بل ازدادت وأنا أكتب هذه الأسطر عن رجل أعلم أنها لن توفيه تلك الأسطر حقه. وها نحن نورد ما بلغنا عنه.

تلقى الشيخ تعليمه بتودغة ومراكش ودرعة ورحل إلى فاس، وشارط مدة تناهز العقدين في مسجد قصر (آيت يحيى أو عثمان) بالغرفة التابعة حاليا لإقليم الراشيدية، ولما قام أمر بلقاسم النكادي بتافيلالت وتودغة التحق به وكان من كتابه الخاصين. وذكر لي بعض حفدته أنه أفتى بقتل قائد بلقاسم النكادي المعروف بَاعلي على إثر حركته إلى تودغة وما ارتكب من فظائع إبان تلك الفترة. رجع إلى بلدته حارة المرابطين بتودغة، وبها توفي فجر يوم الاثنين (14 رمضان 1352هـ/30 ديسمبر 1933م) وعمره 63 سنة على ما أمدني به بعض حفدته كما وجده موثقا.

من آثاره رحمه الله كتاب لم يُلف فيه غير وريقات عنوانه: (طراز الحلة الإبريزية بفتوحات الدولة القاسمية): ترجم فيه للقائد محمد بن القاسم النكادي، وأرخ فيه لأحداث مقاومته التي خاضها في تافيلالت وحملاته على المناطق ومنها تودغة.

والكتاب مقسم على مقدمة وخمسة أبواب جاءت عناوينها كالآتي:

- المقدمة في ذكر حركة السيد الرئيس أيده الله إلى سجلماسة مع عصبة المجاهدين إلى البطحاء لقتال عدو الدين، مقدما فيها الكلام على ما دهم المسلمين من هجوم النصارى دمرهم الله على البلاد ومن كانوا لمحاربته متصدين.
- الباب الأول: في ذكر نسبه الشريف ورفعه وذكر بعض أعيان قرابته الواردين عليه بعد ولايته.
- الباب الثاني: في وفود القبائل عليه وإقبال الناس وقبولهم ومحبتهم لولايته وسكونهم لديه.
- الباب الثالث: في أخلاقه الحسان مع الناس، من تواضعه ومسامرته مع أصحابه وطعامه، وتقريبه لأهل العلم، وأصحاب ديوانه ومهامه.
- الباب الرابع: في ذكر وقائع وقعت له مع بعض أصحابه ممن خرج عليه مثل علي ابن التهامي الثائر، فمكن الله منه لقبح سعيه وخبث سريرته.
- الباب الخامس: في ذكر ترتيب أمره، وترتيب جيوشه، وذكر سلاحه وما انتزع فيه من هذه العدة الغريبة الشكل القويمة النصل.

وها أنت قد رأيت من خلال هذه الفصول أنه كتاب غاية في الأهمية لكونه رواية شاهد على مقاومة بلقاسم النكادي وفصولها، بل وأحد المشاركين فيها، وهو أيضا ترجمة ضافية لهذه الشخصية المقاومة من مقاومي الجنوب الشرقي، فضلا عن أنه رواية مقابلة لرواية المهدي الناصري في كتابه (نعت الغطريس) للأحداث نفسها يرويها كل من موقعه، أحدهما في صف النكادي والآخر في صف الكلاوي، وبه ستتضح وقائع هذه الأحداث وتزداد انكشافا، مع ما يمكن أن يتفرد به من أخبار ووقائع. ونحن لا نملك إلا أن نستحث همم الباحثين الشباب ومعهم أهل البلدة الغيورين للعمل على إخراج هذا المخطوط وما تبقى من آثار الرجل حفظا لتراثه ولذاكرة المنطقة خصوصا.

خلف الشيخ أولادا، جلهم فقهاء شارطوا، والتحق بعضهم بالعدالة وسلك التعليم، فمنهم:

1- **أحمد الوافي**: كان عالما رحمه الله، حدثني الفقيه المرحوم عبد الوهاب الصديقي

وقد سألته عن معارفه فأجاب بما يدل على تمكنه في الفقهيات واللغويات. وكذلك قال غيره ممن تحدث عنه، أخذ عن أبيه في تافيلالت وعن غيره، وشارط في عدد من مساجد الواحة، ثم انتظم في سلك العدالة وتوفي عام: 1969م.

12- **ابنه الحسين:** عمل خطيبا بالمسجد المركزي بتنغير توفي عام: 1994.

13- الحبيب بن أحمد المعلم

معاصر للحبيب السابق من بني عبد القوي، وكان معه في صفوف بلقاسم النكادي، وقد نقل المختار السوسي في (المعسول) أنه هو الذي نبه النكادي على ما كان يضمره قائده باعلي التزاراني من السعي للاستئثار بالأمر دونه، فلم يلتق بعدها باعلي ببلقاسم النكادي حتى قتل على يد من قتل كما ذكرناه في حوادثه، أخذ في الغالب عن فقيه تودغة العلامة الناصري، وقيل بأنه رحل إلى فاس، وكانت وفاته في 1940م، وقفنا له على نص فتوى تتعلق بنازلة تخص النزاع حول أرض بيعت وعليها مغرم ثم رام طرف ثالث أخذ المبيع فاختلف في من يلزمه أداء المغرم. وهذا نص الفتوى كما وجدتها بخط صاحبها.

(الحمد لله: الجواب عن سؤال وهو: الأرض تباع وزعم قوم أن عليه مغرما من هذه المغارم ووقع النزاع، قلت: إن كان النزاع بين البائع للأرض والمشتري لها، وكل واحد منهما يفر من دفع المغرم، فمذهب ابن القاسم وأشهب أن المغرم كالعيب، فإن بيَّن البائع المغرم عند البيع لزم المشتري وإن لم يبين فللمشتري رد البيع بهذا العيب (؟) كسائر العيوب، وأما إن قام أجنبي غير البائع والمشتري ورام أخذ - كهذه القضية وامتنع المشتري من دفعه إياه أن التحقيق الذي (؟) ولا محيد عنه بحال أبدا هو أن هذا المشتري لا يلزمه شيء من هذا المغرم المرتب على الأرض قبل شرائه، لأنه لم يكن مالكا للأرض في ذلك الوقت. كيف يتصور أخذ مغرم الأصول من غير المالك لها، والإنسان إنما يطالب بمغرم ملكه وأصله ؟! وعليه، فكيف يفوه عاقل بلزوم هذا المغرم (على) المشتري في قضية في مدة

السنين التي كانت هذه الأصول المحدث عنها(؟) قبل أن يتملكها هذا المشتري بالشراء؟! لكن كل من فاه بشيء فهو مسؤول عنه من مولاه، لا جرم أنه سبحانه يجازي عبده بما اكتسب من خير أو شر جناه.

لا بالرّجـالِ الحَـقُّ يُعـرَفُ عِنـدنا هيهـات، بـلْ بِـالحقِّ مَعرفـةُ الرّجـالِ

ولا ينكر ما سطرنا إلا من ينكر المحسوسات، ويحيد عن طريق الحق إلى الضلالات، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور، أفحكم الجاهلية يبغون، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. قاله راقما بقلمه الحبيب بن أحمد أمنه الله). ثم عقب على ذلك بما نصه:

(نعم، تبيين حكم النازلة أن أولاد عمرو المحدث عنهم لا يلزمهم مغرم هذا الأصل المسطر حكمه أعلاه، في جميع المدة التي كان الأصل بيد البائع قبل شرائهم، الحبيب بن أحمد أمنه الله).

فهؤلاء هم مشاهير أعلام هذه الزاوية العمرية ممن وقفنا على بعض أخبارهم، ونضيف إليهم آخرين كان بعض الطلبة قد وثق أسماءهم من عدد من العقود المتداولة بين الناس، وزاد عليهم أخونا الأستاذ العزاوي بعض الأسماء، وكنت أيضا قد دونت أسماء بعضهم من بعض الأفواه، على أن تواريخ الوفيات المذكورة بإزائهم لم نتحقق منها أهي كذلك أم تواريخ كانوا فيها على قيد الحياة، وهذا مسردهم:

14- **أبو بكر بن علي**، قدم من تافيلالت بقصر أولاد ليمام منذ زمن، وأقيم عليه ضريح.

15- **محمد بن أحمد بن علي من بني يشو**، ت 1205هـ.

16- **إبراهيم بن عبد الله بن أحمد**، ت 1258هـ.

17- **علي بن عبد الله**، ت 1264هـ.

18- **علي بن أحمد بن الحاج بلقاسم**، ت 1269هـ.

19- **علي بن أحمد**، ت 1270هـ.

20- علي بن محمد أقدي: توفي أوائل القرن الماضي.

21- الحسن بن علي، ت1324هـ.

22- الحسن بن محمد المعروف بـ (لحسن أمزي)، ت 1325هـ.

23- عبد الكبير بن العباس، ت 1325هـ.

24- عبد الرحمن بن أبي بكر الواثق، ت 1325هـ.

25- ابنه عمر: يعمل الآن عدلا بتنغير.

26 - أحمد بن أبي بكر الواثق، ت 1357هـ: شقيق الذي قبله.

27- ولده محمد المعروف بسعيدو، ت 2005م.

28- الحاج علي بن محمد عزاوي، ت 1997م.

29- محمد بن علي الناصري، ت 2010م.

30- أبو عمران مولاي المصطفى عزاوي آل الإمام

الأستاذ الفاضل الكريم، المجد الغيور، عرفته واعظا بالمجلس العلمي المحلي وجالسته في بيته، وتحادثنا عن الزاوية والعناية بجوانبها العلمية والثقافية، له مشاركة في التأليف نثرا وشعرا، مع خط جميل يروق العين، خاطبته من أجل أن يوافيني بترجمته وببعض ما جادت به بنات فكره فأجابني بذلك مشكورا، فأنا الآن أرفع قلمي تاركا قلمه ينوب عنه مع بعض الاختصار، فهو من مواليد حارة المرابطين عام (1962م) تلقى تعليمه بالمدارس الابتدائية إلى أن بلغ مستوى الخامس الابتدائي، فانقطع ليتفرغ إلى حفظ القرآن الكريم على يد أبيه الفقيه البارع في علم الرسم والتجويد الحاج علي ابن محمد بن محمد آل الإمام، وكذلك على بعض شيوخ الحارة وهم السيد محمد بن أحمد داوي، والسيد محمد بن لحسن منتصر، والسيد عمر بن عبد الرحمن الواثق الذي كان يعقد مجلس علم بمسجد عمارة حارة المرابطين يلقن فيه إضافة إلى القرآن الكريم ورسمه منظومة (ابن عاشر) ومنظومة (العدة) للهبطي و(الذكاة الفاسية)، رحل بعدها إلى تافيلالت فنزل بقصر لعشورية بالجرف، فأخذ مبادئ علم القراءات والتجويد وصحيح الرسم القرآني من المقرئ الفقيه الجليل: محمد بن التهامي الدويري، وأخذ

في مبادئ العربية الأجرومية و(تحفة المبتدئين في إعراب الماضي والمضارع والأمر) لأبي الشتاء الغازي الحسيني و(رسالة الجنائي في معاني الحروف) إضافة إلى معلومات أخرى متنوعة، ثم انتقل إلى الريصاني وفي القصر الفوقاني أخذ على يد الفقيه عبد المالك الأنصاري منظومة (التوحيد) للهلالي و(الجوهر المكنون) في البلاغة للأخضري، وفي أواخر (1977م) رحل إلى تامكروت فالتحق بالمعهد الإسلامي بها فأخذ المواد المقررة فيه على شيوخه أمثال الفقيه اللغوي الفرضي الكبير أبي بكر الناصري والفقيه الأديب أحمد خالص السوسي، ثم انتقل إلى ثانوية ابن يوسف للتعليم الأصيل بمراكش وقضى بها سبع سنوات، وفي عام (1986م) التحق بكلية اللغة العربية، وبعد الحصول على الإجازة منها عام (1990م) درَس سنة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، وفي نهاية العام عين عدلا بالمحكمة الابتدائية بأكادير (أسا الزاك) فقضى بها سنة كاملة هناك، ليلتحق بعد ذلك أستاذا بالمدارس الابتدائية التي يعمل بها حتى الآن). قلت: إن له مشاركة في التأليف نثرا وشعرا، فأما المنثور فله:

- **غاية التجويد في شرح مقدمة ابن الجزري في التجويد**: طبعه المجلس العلمي المحلي لتنغير.
- **بغية الراغبين في معرفة أخبار الزاوية العمرية بحارة المرابطين**: طبع هو الآخر، وكتب أخرى تنتظر الطبع يسر الله في إخراجها.

وأما المنظوم فله فيه ديوان أسماه (الرياح اللواقح) جمع فيه مقطعات من موضوعات مختلفة الأغراض، أوقفني على عدد منها لما زرته فإذا هي عذبة الألفاظ حسنة السبك رائقة المعاني، ونحن نختار منها متفرقات ليقف القارئ فيها على أسلوب صاحبنا في نظمه وهو يسبك فيه خواطر فكره.

قال في باب تزكية النفس بتخلقها بمقامات الحب والأنس والخوف والرجاء، وذلك بعد أبيات:

فالحب أن تملأ قلبك بهِ ملئا به لا تدنيه من غيرِهِ

ترجو بذاك أن يسعْك حبُّهُ وسعا يخص مَن يحب ربَّهُ

يدنيك منه حظوة وزلفى عنده، رِفعة لديه تُلفى

والأنـــس أن تـــشعر باطمئنـــانِ فـــي ذكـــرك لـــه فـــي كـــل آنِ
تـــسكنُ نفـــسك بـــه وتـــذهبُ وحـــشتها وللوهـــاب ترهَـــبُ
صـدرك فـي رحـب لمـا بـه قـضى مِـن أمـره لمـا بـه نيـلُ الرضـى
والخـــوف أن تخـــشى لـــه عقابـــا مهمـــا أتيـــتَ الطاعـــةَ أبوابـــا
وهْـــو شـــرطٌ مكمـــلُ الإيمـــانِ قـــد أُمـــر بـــه ذَووا الإيمـــانِ
فـــاجتمع لهـــم بـــه علـــمٌ رِضـــى هـــديٌ رحمـــةٌ بهـــا الـــذِّكْرُ مـــضى
إذ إنـــه أعلـــى مقـــام لليقـــينْ ترنـــو إليـــه أفئـــدة المتقـــينْ
أمـــا الرجـــا أنْ يعفـــوَ تفـــضلا ذو الرحمـــة الكـــريم جـــل وعـــلا
عـــن كـــل عبـــد جـــاءه مـــستغفرا مـــن ذنبـــه، رحمتَـــه مـــستمطِرا
غلِّـــبِ الخـــوف علـــى الرجـــا تنـــلْ فـــضلَهما مِـــن رب أجـــره اكتمـــلْ

وله أيضا في النفس ناصحا بتحليتها بما يجملها من المكارم وتخليتها مما يدنسها من المآثم، مع لزومه في شطري غالب أبياتها فن الجناس وفي قافيتها ما لا يلزم:

الـــبس لكـــل حالـــة لباســـها تجمُـــل وتَحمـــد لهـــا لباســـها
ورقِّـــع مِـــن نفـــسك أســـمالها واجعـــل دثـــار التقـــوى أســـمى لهـــا
وبـــالعلم اعمـــل تُـــزِل أوحالهـــا وعرِّفهـــا بـــالله ومـــا أوحـــى لهـــا
وانبـــذ الجهـــل فهـــو أردى لهـــا فلـــيس نافعـــا وأرضـــى لهـــا
وراقـــب وهـــي ســـائمةٌ أعمالهـــا فـــإن اســـتمراءها الغـــيَّ أعمـــى لهـــا
واقطـــع فيهـــا للأهـــواء أوصـــالها فـــالله بـــالرجوع إليـــه أوصـــى لهـــا
ولا تكـــن غـــافلا عـــن ذكـــرى لهـــا فمـــا نـــافع نفـــسا مـــن ذكـــرى لهـــا
ولا تـــنس دومـــا مـــا عليهـــا ومالهـــا وطهرهـــا مـــن الآفـــات تحـــز كمالهـــا
واطمـــع فـــي نِعَـــم الأخـــرى أن تنالهـــا فمـــن أطـــاع الله فقـــد دنـــا لهـــا
ولا تغرنـــك الـــدنيا ودع مالهـــا وبـــالعلم والفهـــم صـــحح آمالهـــا

فمـــن أعارتـــه يومـــا جَمالهـــا ســـاقت لـــه مـــن شَـــرٍّ جِمالهـــا
وكـــم تـــذيق النـــاس أهوالهـــا وهـــم لجهلهـــم بهـــا أهـــوى لهـــا
فـــالمغرور مـــن يرضـــى أحوالهـــا ويُجِلها وهْـــي لا فحـــوى لهـــا
والغافـــل الغافـــل مـــن انـــزوى لهـــا وهْـــو يـــستيقن أصـــلا زوالهـــا

وقال في أحوال الزمان وأهله:

نحـــن فـــي زمـــان قـــد طغـــى فـــسادُهُ وانحـــسر فـــي النـــاس أمنُـــه ووِدادُهُ
لـــم يبـــق جـــزء مـــن الأرض إلّا بـــهِ عربونُـــهُ وكـــذا البحـــرُ فهْـــو مِـــدادُهُ
لـــم تهنـــأ الأســـماك فـــي أعماقِـــهِ والطيـــر لـــم يُفِـــدها فـــي الجـــو ابتعـــادُهُ
ســـادتْ لوْثـــةُ المـــصانع فـــي أجوائنـــا والمـــاء لـــم تحمِـــهِ الأرض وهـــي مِهاده
كـــلُّ مخلـــوق تَـــرى لـــم يَرُقْـــهُ وَضـــعُهُ يـــستوي فـــي الكـــون نباتُـــه وجمـــادُهُ
والإنـــسان لـــم يُفِـــده طِبُّـــه وعِلمـــهُ فـــي دفـــع آفـــاتٍ بهـــا اشْـــتدَّ سُـــهادُهُ

ومن النظم التعليمي قوله في الفرق بين كلمتي (التقويم) و(التقييم) اللتين تردان كثيرا لدى أرباب التعليم المعاصرين:

بالـــشّذب قـــوَّم الفـــلاح غرســـتَهُ تقويمـــا بـــه استحـــسن الكـــل فِعلتـــهُ
لمـــا أنْ جنـــى المحـــصول قيَّمـــهُ تقييمـــا بـــيَّنَ الـــوزنُ قيمتـــهُ
فـــانجلى أنَّ التقـــويم تربيـــةٌ والتقيـــيمَ يُعطـــي الـــشيءَ رُتبتَـــهُ[1]

ونظم سور القرآن الكريم الخمسة المفتتحة بالحمد بقوله:

خمـــس مـــن الـــسور قـــد افتُتِحـــتْ بحمـــد مـــن لـــه الأكـــوانُ ســـبحت

---

(1) هذا ما أقرته بعض مجامع اللغة حديثا، وللفائدة أقول: ثمة رأي آخر يرى أن (التقويم) يستعمل للمعنيين معا، ولا أصل للتقييم في كلام العرب ولم يرد عنهم فعل (قيم) وإنما ورد (قام) و(قوم). وما ورد من كلمات بالياء فأصلها واو، وفي حكاية عبيد الله بن الزبير لما خطب على المنبر فقال: قد رأيتم ما صنع الله بقوم في ناقة قيمتها خمسمائة درهم، فقالوا: مقوم الناقة.

أُمُّ القـــــرآن ســـــورة الأنعـــــامِ كهــــفٌ ســـــبأٌ فـــــاطرُ الأنـــــامِ

وكـــل آيـــة مـــن هـــذه الـــسورْ قـد خُصِّصَتْ بمـا بـه الحمـد صَـدَرْ

مــن كــل وصــفٍ للـربِّ المحمـودِ أوصـــافُه جلَّـــتْ عـــن الحـــدودِ

وفي الفقه جمع أصحاب الأعذار العشرة الذين يرفع عنهم الإثم بتأخير الصلاة إلى الوقت الضروري قائلا:

تأخيرنــــا الــــصلاة للــــضروري فـــي عـــشْرة أعـــذار لا تمـــاري

حـــيضٌ نفـــاس ثـــم نـــوم كفـــرُ فقـــدُ الطهـــورين جنـــون ســـكرُ

وغفلـــةٌ ثـــم الـــصِّبا إغمـــاءُ احفـــظ جميعهـــا لـــك الجـــزاءُ

وقال في الفرق بين الفقير والمسكين كما هو مشهور عند المالكية:

إن كـــان ذو فقـــر مـــن المِلـــك خـــلا فـــسمِّه المـــسكين دومـــا فـــي المَـــلا

وهْـــو مـــن الفقيـــر فـــي الإذقـــاع ألـــصقُ بـــالتُّرب فـــاحفظ ســـماعي

أمـــا الفقيـــر فهْـــو مـــن لا يملـــكُ فـــي عامـــه قوتـــا بـــه يـــستدركُ

فهْـــو وإن قـــد ملـــك النـــصابا لـــه الزكـــاة تُعطـــى عِ الـــصوابا

وجوبهـــا عليـــه لـــيس يـــمنعُ ذاك العطـــا لـــه لـــدى مَـــن شـــرعوا

وقال أيضا:

الفقـــر فقـــر المواهـــب والأخـــلاقِ لا فقـــــر الإمكانـــــات والأَرزاقِ

هذا بعض ما سطره قلم الأستاذ النجيب الأديب الذي نحسب أن أمثاله قلوا اليوم في من يدرس العربية، فأين اليوم من يصوغ مثل هذا ؟ بل أين من يفهمه على وجهه ؟ وفق الله الأستاذ مولاي مصطفى وشكر سعيه ونفع به آمين.

الزاوية الإسماعيلية الناصرية
إشعاع الزاوية الأم وامتداد آصرة قديمة

- المؤسس وظروف التأسيس

31- أبو إسحاق إسماعيل بن عبد الله بن محمد الكبير ابن الشيخ الأكبر سيدي محمد بن ناصر الدرعي[1]

جد الناصريين بتودغة، وأصلهم الذي أينعت فروعه بها، فسعدت بهم مثلما سعدوا بها، وأثمرت بها ثمار علومهم، وأورفت عليها ظلال ماسرى فيهم من الصلاح والخير.

لا عــذر للــشجر الــذي طابــت لــه أعراقُــــه أن لا يطيـــــب جَنـــــاهُ

لم نقف على تاريخ ولادته إلا أنه كان قبيل (1131هـ)، وهو العام الذي ولد فيه أخوه عبد السلام، وقد كان المترجم أكبر منه، ومنه تَعرف أيضا أن المترجم عمّ العلامة المحدث الشيخ محمد بن السلام الناصري (ت 1239هـ). ولما ولد أخوه عبد السلام المذكور قال فيهما أبو عبد الله الحوات مهنئا أباهما:

وقُــلْ كَمــا قــال إبــراهيمُ ســيِّدُنا: الحَمــدُ للهِ وَاهِبِــي عَلَــى الكِبَــرِ
أبْقــاهُ رَبِّــي، وأبْقَــى إســماعيلَ ومَــنْ يَــأْتِيكَ مِــنْ وَلَــدٍ مِــنْ بَعْــدِهِ ذَكَــرِ

كرع الشيخ إسماعيل من العلوم في زاويتهم الناصرية بدرعة على يدي أبيه الشيخ عبد الله بن محمد الكبير، وجلة شيوخها منذ صباه، وذكر الخليفتي في (الدرة الجليلة) في ترجمته له أنه رحل إلى المشرق للحج، ولا شك أنه استفاد منها

---

[1] ترجمنا له من: الدرة الجليلة: 1/ 314، طلعة المشتري: 2/ 142 و2/ 152 وما بعدها، نعت الغطريس: 246 - 247، الأنباء الدرعية (مخطوط)، وثائق خاصة.

معارف وعلوما، كعادة أسرته الناصرية وسائر العلماء الذين يغتنمون رحلة الحج للقاء الشيوخ ونيل الإجازات، ومما يدل على مكانته العلمية والروحية، أن إشعاعه امتد أيضا خارج تودغة، فكانت له زاوية أخرى بـ (إدخسان) كما ذكره الخليفتي جنوب شرق مدينة خنيفرة حاليا، وقد كان سبق لبعض الشيوخ الناصريين أن صالحوا بين بعض قبائلها في خلاف كان بينهم، توفي الشيخ إسماعيل بتودغة ضحى يوم الخميس رابع عشر رمضان المعظم سنة تسع وتسعين ومائة وألف (1199هـ)، وعليه ضريح معلوم في تودغة إلى يومنا.

والشيخ إسماعيل أبوه هو عبد الله الشيخ الذي تولى مشيخة الزاوية الناصرية بعد شقيقه سيدي موسى بن محمد عام (1142هـ)، ولم تدم مشيخته على الزاوية إلا ثلاثة أشهر بعد أن تنازل عنها ورعا، ليتوفى بعدها بقليل عام (1143هـ)، تاركا أولادا من جملتهم مترجمنا هذا سيدي إسماعيل. وكنا أشرنا سلفا إلى تلك الرابطة القديمة التي جمعت بين الزاوية الناصرية بدرعة وبين تودغة من خلال رابطة المصاهرة بين شيخها الكبير سيدي أحمد بن ناصر والشيخ سيدي عبد الكريم العَمْري التدغي، وذكرنا أن من تلاميذ هذا الشيخ التودغي أحدَ أعلام الزاوية الناصرية وشيوخها العلامة سيدي عبد الله بن محمد الكبير، فلهم بتودغة بذاك نسب علمي وروحي.

ويظهر أن من جملة العوامل الأخرى التي جعلت الشيخ سيدي إسماعيل يرحل عن موطن آبائه وأجداده، ما صار إليه حال الزاوية آنذاك من خلافات وانقسامات ظهرت منذ عهد الشيخ سيدي أحمد بن ناصر وبعد وفاته، فإن عمه موسى الذي تولى بعده واجه اعتراضا كبيرا من بعض أفراد الأسرة ومن الشيخ الحسين بن محمد الشرحبيلي تلميذ الشيخ أحمد بن ناصر، فضلا عن بعض المضايقات من المخزن الحاكم، وكذلك ما عرفته البلاد آنذاك من الغلاء وانتشار الطاعون، وفي هذه الظروف غير المستقرة تولى أبوه عبد الله بن محمد الكبير أمر الزاوية كما يدل عليه قول صاحب (الدرر) في ترجمته له عندما حجم عن ذكر ملابسات توليه مشيخة الزاوية، واكتفى بالعبارة الموحية بتكدر الأمور مما يطوى ولا يروى، وهي أنه

تولاها (بعد أمور يطول بنا سردها).

هكذا رحل إسماعيل بن الشيخ عبد الله إلى بلاد تودغة التي لهم فيه آصرة كما ذكرناه، فنزل بقصر آيت الحاج بتنغير أخيرا، بعد أن تردد بين عدد من قصورها، وقد ذكر الفقيه المهدي الناصري خبر نزوله هذا قائلا: (اختار (النزول فيها) نخبة السادات الفحول إسماعيل بن عبد الله بن محمد بن الشيخ الأكبر سيدي محمد بن ناصر الدرعي، كان رحمه الله قد خرج من زاوية جده تمكروت وطاف بالبلاد[1] والأقطار، فمتى هم بالنزول وإلقاء عصا التسيار أشار عليه بالانتقال رجل من أهل الله الأخيار، إلى أن وصل إلى تنغير فقال له: هذا محلك، وانصرف عنه بعد أن دعا له ولأولاده بخير كثير، فابتنى هناك زاوية وانقطع فيه لعبادة ربه إلى أن توفي ضحى يوم الخميس رابع عشر رمضان المعظم سنة تسع وتسعين ومائة وألف (1199هـ) ودفن في موضع زاويته وبنيت عليه قبة بديعة).

ومن سيرته وأحواله ما ذكره معاصره وصاحبه الشيخ عبد الله الخليفتي، ينقله عنه ابنه محمد في كتابه (الدرة الجليلة) قائلا: (كان رضي الله إماما عالما عاملا، تقيا سخيا مطيعا لله، متابعا لسنة نبيه ناسجا على منوال أسلافه، مؤتمرا بأمر عمه سيدي يوسف، وممتثلا لأمره ولا يخالفه قط، وحج معه مرة، لا بأس به، وهو الآن حي وله زاوية كبيرة بتدغة، وجعل فيها بعض أزواجه، فتارة يسكنها، وتارة يرجع للزاوية الناصرية، وله زاوية أخرى بإدخسان وجعل فيها ولده، فقد عاشرت صاحب الترجمة، وكانت بيني وبينه مودة عظيمة ورأيت له بركة، نزل بداري مرة ودعا لي ولأولادي كلهم، وقال لي: أسهمتك في شفاعة أبي التي وعد بها الشيخ إن دخل في عمومها. وأعطاني خفيه مع يدين من السبحة، واحد له، والآخر أتى به من الحرم المكي، حيث حج، وهو مصنوع من عظم النخل، وهم باقين الآن عندي للتبرك).

ولما أقام رحمه الله بتودغة بتنغير بقصر الحاج علي ونال من أهلها ما هو أهل

---

(1) ومن تلك البلاد قصر آيت بوجان بأعلى تودغة كما قد سمعنا.

له من الحظوة والتقدير، وقبل وفاته بأربع سنين اجتمع بعض مقدَّمي القصور المجاورة بعد طلب منه فكتبوا له هبة أرض له ولذريته من بعده، وهي أرض كما يظهر من حدودها المذكورة ذات امتداد واسع يصل إلى مداخل المدينة الحالية، وكان مد في طرفها المحاذي للحقول ساقية كبيرة اندثرت الآن، وإنه لكرم دونه كرم حاتم:

نَزَلـتُ عَلـى آلِ المُهَلَّـب شـاتياً غَريباً عَنِ الأَوطانِ في زَمَنِ المَحْلِ
فَمـا زالَ بـي إِحسانُهم وافتِقـادُهم وَبِرُّهُمُ حَتّـى حَسِبتهمُ أَهلـي

ونص الهبة كما هي في ورقة مخطوطة:

(بعد الحمدلة والصلاة:

لما من الله تبارك وتعالى على واد تدغة وأحوازها بالسيد الأنور والكوكب الأزهر السيد الأسمى والراعدة العظمى أبي إسحاق سيدي إسماعيل بن عبد الله بن محمد بن محمد بن ناصر بنزوله بتدغة بتنغير، صانها الله من الآفات، بجوار القطب الصالح والطيب الفالح سيدي مسكور، نفعنا الله ببركاته، واتخذ ذلك البلد وطنا لنفسه وذريته من بعده، وأراد بلدا يكون قدما به ولأولاده بعده طلبا بالحلال(؟)، فعمد إلى القبائل المجاورة لتنغير المذكورة أهل حلول وأهل ازرود سراة آيت بلمان وأهل تجماصت وآيت لحسن أعلي، وطلب السيد المذكور من جميعهم موطنا يحفر فيه عينا يحيي فيه خارج بلادهم من موات الأرض يكون بلدا له ولأولاده، فأجابته القبائل المذكورة (؟) ثم لأولاده ثم أولاد أولاده طبقة بعد طبقة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، من حد الدراع الفاصل بين تنغير وكدية بني علي، إلى جبل زعرور إلى مقطع النعلين إلى كدية الحمراء إلى عرق الديب إلى فم واكليم إلى كدية تقدرة ممتد إلى جرف الن على بلد تجمصت وبلد أهل أزر، هبة تامة بتة بتة لا يتعرض لهم فيما اكتنفته الحدود المذكورة أحد، ولا ينازعهم فيه إلا ظالم متعمدا أو شيطان متمرد، فحاز الفاضل المذكور ذلك حوزا تاما بمعاينة شهدية للحوز والتطوق كما يجب شرعا بعد أن قبل منهم ذلك

قبولا تاما لنفسه وممن سيليه من بعده.

ثم إن كل قبيلة عينت حملا يحمل جميع ما ذكر عنهم بعد أن استحملوه، يحمل من أهل **تنغير الفوقية**: الطالب عبد الله من آيت بوتمرت مع خي لحسن من آيت (؟) أواحي مع المسعود بن عبد المالك مع خي الصغير من آيت بلحسن، ومن **آيت الحاج علي**: سيدي محمد بن عبد القادر مع خي المسعود مع أحمد بن من بني ناصر بن عبد الله، ومن بني لحسن بن الحاج سالم من آيت سالم وخي غانم، ومن **أهل حلول**: الشيخ عبد الكريم من عبد الله بن داود والشيخ موسى من بني يعقوب، ومن **بني بلمان**: المقدم محمد مع محمد من آيت علي من **أهل الحجر**: أحمد من حمي مع عبد الرزاق من آيت محمد، ومن أهل **تجمصت**: محمد من بني داود أقاسي وخى عبد العالي من آيت حم مع خى محمد من آيت أعمي ومن **آيت لحسن أعلي**: عبد الله بن بسو وأحمد من آيت حسو. وهؤلاء كلهم كحمل واحد من حضر منهم يكفي، ومن مات قام ابنه مقامه، فإن لم يكن له ابن فقاربه يقوم مقامه، هكذا وأولاد سيدي إسماعيل وأولاد أولاده يتنزلون منزلته في كل طبقة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۝١٠﴾ (الفتح: 10).

شهد على الجميع بما فيه عنهم وعرفهم وهم بحال كمالها بعد الشهادة، في ربيع النبوي على من ولد فيه الصلاة والسلام. من عام خمسة وتسعين ومائة وألف. عبيد به: محمد بن المسعود من بني الحاج اليوبي الفنوري، لطف الله به آمين. وعبيد ربه تعالى: عبد العزيز بن محمد من بني سيدي علي بن إبراهيم، لطف الله به آمين).

وقد وصف بعض الأئمة قبة مرقد الشيخ إسماعيل ملما ببعض فضائله قائلا:

تِلْك التي سَنَى حُسنِها أَنْسى الوَرى وبهَاؤُهـــا أَنْفــاسَ كــلِّ زَمـــانِ

تلـك التـي قـدْ أحْكـم البـاني صُـنْعها وتقَلّـــدتْ بِنفـــائس العِقْيـــانِ

تِلــك المُنيفــةُ إنْ عَلــوْتَ قَــواعلاً تَغـــشاك، شَـــيْءٌ شـــامخُ الكُثبـــان

لِمَ لا ؟ وَبَحرُ السّرِّ إسماعيلُ الرِّضى أسْخى بِها بِنفائِسِ الأثْمانِ
ذاك الذي أحْيا الإلهُ بِعِلمهِ قُطرَ المَغارِبِ ماهِرٍ يَقظانِ
أُصِيكَ خِلّي يَومَ تَأتي لِبابهِ مُتَضرّعاً مُستَمْطِر الأَمانِ
اخْلعْ خليلي عَنك أَرْدِيةَ الهَوى والْبَسْ هُديتَ حُلّةَ النّقصانِ
واقْرَعْ لِبابِ الرّبِّ خِلّي مُسَلِّما مُتخشِّعا مُتضرّعا بِلسان
فَهُناك تُسقى مِنْ مواهبِ رِبِّنا ما يُبهرُ الحُفّاظَ كُتُبَ بَيانِ

ذكر أحمد بن خالد الناصري في: (طلعة المشتري) أن الشيخ إسماعيل ترك من الأولاد الذكور أربعة عشر ولدا من ثلاث نسوة وهم على الترتيب:

- محمد، العربي، العباس، التهامي، الحسن، الهاشمي: من أم ولد تدعى: (أم الكتب)، كانت قارئة تطالع الكتب فدعيت بذاك.
- القرشي، الشافعي، الطيب، الحنفي: من أمهم حليمة الميمونة.
- المكي، محمد (لعوان)، العدناني، الشرقي: من أمهم رقية الشلحة.

وكلهم تناسلوا وتفرقت ذريتهم بفركلة وتازة وسلا والرباط ودكالة وغيرها من البقاع، إلا الابن الأخير المسمى الشرقي فإنه لم يعقب، وقد عُرف عدد من هذه الذرية بالعلم والإمامة والقضاء، كما أخبر عن ذلك أحدُ فروع نسله، وهو المهدي الناصري عندما أشار إلى إن خطة القضاء بتودغة كانت لجده ثم لأعمامه، ولهم تآليف وأنظام في أعراف الوادي، إلا أن كثيرا من أخبار هؤلاء السادة الناصريين الإسماعليين ضاعت في ثنايا ما ضاع من تراث هذه الواحة، وأما من وقفنا عليه منهم فهم:

32- العربي بن إسماعيل

هو الابن الثاني للشيخ، قال فيه أحمد بن خالد الناصري في (طلعة المشتري): فقيه جيد القريحة.

33- أحمد بن العباس بن إسماعيل

حفيد العَلم المؤسس، وصفه في (طلعة المشتري) (بالفقيه)، وذكره محمد ابن الحبيب التمنوكالتي وحلاه بقوله: (العلامة الماهر البدر الباهر)، وهما شهادتان كافيتان تظهر قدر الرجل ومكانته، يدل عليه أيضا أنه من شيوخ العلامة الدرعي الكبير سيدي محمد بن علي، توفي المترجم في: (11 رمضان 1287هـ) كما نص عليه محمد بن الحبيب. قلت: وقد وقفت على رسالة من بعض الفقهاء يستفتي فيها عن نازلة بخصوص الحيازة في البيع ووجه إثباته أبالعرف أم لا بد من حكم؟ توجه بها إلى الشيخين المترجم والعلامة الحسين بن محمد التدغي ابن بلده ومعاصره[1]، ونص الرسالة: (الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه، وعلى الفقيهين النبيهين السيد لحسين بن محمد والسيد أحمد بن العباس الناصري. سلام الله ورحمته وبركاته مدى الدوام، وبعد: فموجبه بعد السؤال عنكما وعن التعلقات - أصلح الله الجميع - أن حامله استكتبني إليكما على شأن الحيازة في هذا البلدان، هل يعمل بمقتضاها إذا كان المحوز عليه قادرا على التكلم وسكت مدة الحيازة إذ المدار على قرائن الأحوال أم لا تخلو هذه البلدان من الأحكام، هذا وقد ذكر حامله أن البيع عليه ماله كان في كفالة البائع حين البيع، فقلت إن كان ذاك وأنفق عليه حصته من الثمن وكان البيع سدادا فدعواه باطلة، وكيف إذا كانت القبيلة تولي شخصا على أمورها ويرد الظالم على المظلوم أليس يقوم مقام صاحب الأحكام ؟ والحاصل لا بد سطرا له ما ظهر لكم في نازلته واكفونا أمره بارك الله فيكم وجزاكم عنا خيرا بجاه النبي ﷺ. وبه إليكم أحمد بن محمد وفقه الله والمسلمين)، ولا يخفى ما في الرسالة من الورع في أمر الفتوى، فلله درهم جميعا.

---

[1] بل توفيا في العام نفسه، ونسبت فاطمة عمراوي في كتابها (دادس) الفقيهين المرسل إليهما إلى درعة استنادا إلى نسبة (الناصري)، والصحيح ما أثبتناه.

34- أحمد بن محمد بن إسماعيل

حفيد الشيخ المؤسس، كان قاضيا على تودغة كما في (طلعة المشتري)، عرف أبوه محمد بـ (لعوان)، وسبب تلقبه بذلك أنه تزوج بامرأة بربرية من آيت وريبل وحملها معه إلى درعة، فكانت كثيرا ما تقول له: سيدي محمد والعوان، فجرى عليه هذا اللقب.

ومن هذه الدوحة الناصرية المنيفة كذلك العالمان الجليلان: **محمد اليزيد بن محمد بن إسماعيل ومحمد المهدي بن العباس بن المهدي بن العباس بن إسماعيل**، وإذا كان هذا الأخير قد ذاع ذكره واشتهر، فإن الأول مغمور لا يذكر، وهذا أوان إزالة بعض ما علا ذكره من عباية الإهمال، والتعريف به بما تيسر من المقال. ثم نتبعه بترجمة ضافية للثاني.

35- محمد اليزيد بن محمد بن إسماعيل الناصري

حفيد الشيخ إسماعيل، يعرف بالفقيه كما في (طلعة المشتري). وحلاه محمد ابن الحبيب التمنوكالتي بقوله: (الطالع السري الدري)، توفي عام (1274هـ)، وتوفي أبوه محمد بن إسماعيل وهو رضيع، وهو أحد من تخرج على يدي شيخ شيوخ تودغة وأستاذ أساتذها الفقيه الشهير أبي علي الحسين بن محمد التودغي المذكور في أعلام الزاوية العمرية، وعلى يديه ختم (مختصر خليل) في الفقه و(ألفية ابن مالك) في النحو. وعنه تلقى الشيخ محمد بن علي الدرعي العهد الناصري، قال عنه شيخه أبو علي الحسين بن محمد التدغي مثنيا عليه ومقرضا رسالته (سراج الهداية) لما أطلعه عليها:

جــزى الإلــهُ يَزيــداً خيْــرَ إِحْــسانِهِ   جــاء بِــنَظْمٍ مُفيــدٍ سِــرُّهُ عَجَــب

جــاءتْ بَلاغتُــه تُبْــدي مَحاسِــنَهُ   إِذْ صَــار لَفْظــاً بَــدِيعاً حلــه أدب

أبانَــتْ أَفعالُــهُ عَــنْ طِيــبِ نَــشْأَتِهِ   فَقَــرَرتْ فَــضْلَهُ الأَخْــلاقُ والأَدَبُ

لا تعْجَبَنّ لِمَنْ صارتْ مَراتبُهُ تَرْقى إلى رُتَبٍ مِنْ فَوقِها رُتَبُ
فإنَّ المَلا قَدْ طابتْ شمَائِلُهُمْ وَكُلُّ فَرْعٍ لَهُ بِالأصْلِ مُنْتَسَبُ
لا يُنكَرُ الفَضْلُ مِمَّنْ طابَ مَعْدِنُهُ وأيُّ فَضْلٍ حَوَاهُ ذَاكَ النَّسَبُ
فَقَدْ عَرفْنا لَهُ آبَاءً ارْتَفَعُوا وأَنَّهُ تَابعٌ وَرَفْعُهُ يَجِبُ

وهي أبيات وجدت على ظهر منظومة له نقلها العلامة المهدي الناصري في النسخة التي نسخها لنفسه، وقد عثرنا له على هذه الرسالة وهي عبارة عن نظم قصير من سبعة عشر بيتا، عقد لها شرحا وأسماه (سراج الهداية) تعرض فيه لنازلتين من النوازل الواقعة في المجتمع التدغي.

النازلة الأولى: في حكم بيع الثنيا.

النازلة الثانية: في حكم هبة البنات لأقاربهن.

وهذه دراسة مختصرة للرسالة ومراجعة لمتنها نضعه بين يدي القارئ في ثنايا هذا الكتاب.

دراسة ومراجعة رسالة "سراج الهداية لإخواننا طلبة تدغة"

- النسخة المعتمدة:

هي نسخة فريدة من سبع صفحات عثرنا عليها عند أحد فقهاء المنطقة، مكتوبة بخط واضح نقلها العلامة الفقيه المهدي بن العباس الناصري بخطه من خط مؤلفها بتاريخ: ثامن رمضان المعظم عام (1320هـ) كما أثبت ذلك في آخر النسخة. وعلى هوامشها طرر، بعضها للمؤلف وأكثرها لشيخه أبي علي الحسين بن محمد التدغي. وقد ورد عنوان هذه المخطوطة في مقدمة شرح المنظومة لصاحبها باسم العنوان المثبت أعلاه، غير أن الفقيه المهدي الناصري قد نقل منه في آخره في كتابه (نعت الغطريس) الفقرة المعزوة لابن عرضون، وأحال إلى هذا النظم وشرحه بعنوان آخر

هو: (شرح الهبة الناصرية لطلبة البادية).

- موضوع الرسالة:

هي عبارة عن فتوى في نازلتين واقعتين بتودغة في عصره، سبقت الإشارة إليهما، إحداهما: في باب البيوع من عقود المعاوضات وهي مسألة بيع الثنيا، والأخرى في باب الصدقات والهبات من عقود التبرعات وهي مسألة هبة البنات لأقاربهن، وكلتاهما من النوازل المشهورة التي عم ظهورهما نواحي كثيرة من المغرب، فنظر فيهما الفقهاء والقضاة، وكتبت في شأنهما فتاوى عديدة نثرا وشعرا.

والمؤلف في هذا كغيره ممن سبقه أو أتى بعده يدلي بدلوه في القضيتين، انطلاقا مما أوجبه الله على أهل العلم من البيان والأمر بالمعروف والنهي المنكر. ولأن النازلتين من العقود فإن نَظَر الفقيه المؤلف فيهما - كنظر مثله ممن سبق - اتجه فيه نحو إعمال القاعدة المعروفة (العبرة في العقود بالمقاصد والمعاني، لا للألفاظ والمباني) المندرجة تحت القاعدة الكلية الكبرى (الأمور بمقاصدها)، وهو نظر يُظهر تصور الفقهاء لحقيقة العقود وملابساتها ولتصرفات المتعاقدين ونواياهم؛ وعدم الوقوف عند ظواهرها وأشكالها، واستحضارهم لذلك عند إرادة تنزيل الحكم الشرعي ومواءمته مع مقاصد الشرع التي قصدها في مثل هذه العقود، واستعانوا لأجل ذلك بمعرفة الأعراف الجارية خصوصا، بناء على أن الأحكام تدور مع الأعراف ومقاصد الناس كما عبر الفقهاء، وأن حمل الناس على أعرافهم ومقاصدهم واجب والحكم عليهم بخلاف ذلك من الزيغ والجور.

- التعريف بالنازلتين

النازلة الأولى: بيع الثّنيا

- تعريفه:

الثنيا: بضم الثاء معناها في اللغة الرجوع إلى ما سلف، ومنه ثنى عنانه وثنيت

الحديث، فكأن البائع رجع عن بيعه. وفي الاصطلاح: أن يقول البائع للمشتري حين العقد: متى أتيتك بالثمن أو إلى أجل كذا عاد المبيع لي[1].

وبيع الثنيا في حقيقته خيار، إلا أنه شرط النقد فيه، فالخيار إذا لم يشترط فيه نقد الثمن ليس بثنيا، وإن اشترط فيه ذلك وشرط معه أنه إن أتاه بالثمن فمبيعه مردود عليه فهو الثنيا. وهذا المعنى هو الذي خصه الأكثر بالثنيا، وهو المعروف اليوم بذلك[2]. وفي ذلك يقول ابن عاصم:

وَالشَّرْحُ لِلثُّنْيَا رُجُوعُ مِلْكِ مَنْ   بَاعَ إِلَيْهِ عِنْدَ إِحْضَارِ الثَّمَنْ

وقال الأجهوري:

وقولُ بائعٍ: مَتى بالثّمنْ   أَتَيتُ فَالمبيعُ لي فَبَيِّنْ

بأنّها ثُنيا، بِها البيعُ فَسَدْ   إذا بِعَقْدٍ وَقعتْ لِمَنْ رَشَدْ

ويعرف هذا البيع أيضا عند الفقهاء من غير المالكية باسم بيع الوفاء أو العهدة أو الأمانة. قيل: لم يكن له ظهور في عهد السلف، ويرجح أنه ظهر في القرن الخامس الهجري، وذكر ميارة والتسولي في شرحيهما على التحفة أن العامة في المغرب اليوم لا يعرفون معنى الثنيا وإنما يسمون ذلك البيع والإقالة كما يطلقون عليها الرهن[3].

- حكمه[4]:

اختلف فيه على وجهين بناء على الاختلاف في تكييف نوع هذا العقد، فقيل: هو بيع، لكنه بيع فاسد بسبب اشتراط البائع على المبتاع من أنه أحق به متى ما جاءه بالثمن، فهو في هذه الحالة بيع تام الأركان، وإنما لحقه الفساد من جهة الشرط المنافي لمقاصد البيع.

(1) توضيح الأحكام على تحفة الحكام: 3/ 64، شرح الرصاع على حدود ابن عرفة: 5/ 313.
(2) البهجة بشرح التحفة: 2/ 97.
(3) شرح ميارة على التحفة: 2/ 7. البهجة في شرح التحفة: 2/ 101.
(4) المرجع السابق، والبيان والتحصيل: 7/ 336. مناهج التحصيل: 6/ 294.

وقيل: إنه ليس بيعا، وإنما هو سلف جر منفعة، قال سحنون ذلك في المدونة، وهو قول ابن الماجشون وغيره، كأن المبتاع أسلف البائع الثمن على أن يغْتَل حائطه حتى يرد إليه سلفه، وصورته صورة رهن.

واختلف إذا أسقط مشترط الثنيا شرطه، هل يجوز البيع أم لا؟ على قولين: أحدهما: أن البيع باطل والشرط باطل، وهو المشهور. والثاني: أن البيع جائز إذا أسقط شرطه.

فعلى التكييف الأول هو بيع فاسد يفسخ ولو أسقط الشرط، ما لم يفت فيمضي بالقيمة، وفوات الأصول بالهدم والبناء والغرس لا بحوالة الأسواق، وعلى التكييف الثاني هو رهن يفسخ أبدا، ولا يفوت بشيء بهدم ولا غيره، ويرد المشتري فيه الغلة ولو طال الزمان. وإلي الأول ذهب ابن عاصم في قوله:

وجَازَ إنْ وَقَعَ بَعْدَ الْعَقْدِ طَوْعًا بِحَدٍّ وَبِغَيْرِ حَدِّ

أي: أن الثنيا إذا وقعت طوعا بعد انعقاد البيع وانبرامه فهي جائزة كقول المشتري للبائع: إن جئتني بالثمن لسنة أو عشرين سنة مثلا أو بغير حد، فالمبيع مردود عليك، كقوله: متى جئتني بالثمن فالمبيع لك، فهذه الإقالة يعني التطوع بها بعد العقد قد أجازوها إلى غير غاية وإلى غير حد مؤجل، وأجازوها أيضا إلى أجل قريب أو بعيد[1]. وتحت هذا البيع فروع ومسائل يتعرض لها الفقهاء، وأما المصنف فاقتصر منها على:

- كون العقد يفسخ ما لم يفت بيد المشتري فيلزمه حينئذ القيمة يوم القبض.
- وفواته - أي ما يقتضي زوال الملك عن مالكه - يكون في الأصول بالبناء والهدم والغرس ونحو ذلك، أما العروض والحيوان فيكون فواته بحوالة الأسواق، وهو مذهب ابن القاسم وبه العمل، إلا أشهب وأصبغ فإنهما قالا في الأصول يفيتهما أيضا حوالة الأسواق كما في العروض. واختلف في الفوت بطول الزمن ومدة هذا الطول.

---

(1) البهجة: 2/ 104.

- إذا اختلف المتبايعان في الثنيا من جهة كونه على الطوع أو الشرطية، فالقول لمدعي الطوع، لأنه ادعى الصحة وهي الأصل، لا لمدعي الشرط، لأنه ادعى الفساد وهي خلاف الأصل. واختلف هل يكون قوله - أي مدعي الطوع - بيمين أو يكتفي بالبينة.
- نظرا لفساد الواقع والتحايل الواقع في العقود، ومنها بيع الثنيا الذي جرى عرف الناس فيه في تودغة - كما في غيرها - على إجرائه فيما بينهم على الشرطية وإن كانت الكتابة تخلو منه، بل ربما تضمنت الكتابة ما يشير إلى كونه على الطواعية، فإنه لذلك يلزم مراعاة هذا الواقع ومقاصد المتعاقدين لا العبارات والألفاظ، فيعتبر في حكمها كونها على الشرطية، أي على الوجه الفاسد، فيكون القول فيها لمدعي الفساد مع يمينه. ولا ينبغي لمن وجدها على الطوع أن يحملها عليه، ولو صرح الموثق بطوعيتها. وكل هذه المسائل مما في (العاصمية) وشروحها.

النازلة الثانية: هبة البنات لأقاربهن

وهي من النوازل التي تصور جانبا من وضع المرأة وعلاقتها بمحيطها الاجتماعي، حين يتداخل العامل الاقتصادي بالاجتماعي فينشأ عن ذلك وضع ثقافي عبارة عن أعراف تحكم نظام العلاقات بين أفراد سكان المجتمع، وتعمل في الوقت ذاته تلك الأعراف الناشئة - باعتبارها سلطة - على الحفاظ على أوضاع اقتصادية واجتماعية معينة ولو كانت في بعض الأحيان غير متكافئة تميز طرفا على طرف، وهو وضع يحمل الطرف المستفيد على محاولة تشريع تلك الأوضاع والدفاع عنها، ومن هذه الأوضاع ما ظهر خاصة في بعض البوادي المغربية من تنازل النساء عن أملاكهن لذوي القرابة تحت مسمى عقد الهبة فيحوزها الموهوب له، ومثلها تصرفات تهدف إلى المقصد ذاته، كالتحبيس على الذكور دون الإناث أو القسمة على الذكور دونهن وغير ذلك من الصور[1].

---

(1) انظر في هذا "مواهب ذي الجلال في نوازل البلاد السائبة والجبال": 74.

- صورة النازلة:

جرت أعراف بعض القبائل بعدم توريث البنات، وحيازة الأخوة الذكور نصيبهن عن طريق هبة منهن لهم، بينما الحقيقة الكامنة خلف هذا التصرف من الطرفين شيء آخر ليس سوى وضع اجتماعي ونفسي للمرأة متسم بالاستكانة والحاجة إلى الرجل زوجا كان أو أخا أو أبا لدفع العوائل والعوادي من جهات مختلفة، قد يكون أحدها الزوج نفسه عند طلاقها أو مخاصمته، وقد يكون الأخ أيضا عند نزاعه، فلا تجد حينها من تأوي إليه إلا الطرف الآخر، فتبقى دوما في حاجة ماسة لرجل قريب مساند، فتتفادى لذلك كل ما من شأنه أن يؤدي إلى قطع الرحم، فيستَكِنّ عن مطالبتهن بحقهن، أو يتنازلن عن حقهن الشرعي لأقاربهن تحت دعوى الهبة منهن أو من جانب الأقارب، وبموجبه يضع الرجل يده على مال قريبته دون أن يصرح أحد منهما بحقيقة الأمر ودوافعه بسبب نمط من العلاقات الاجتماعية غير المتكافئة، يستفيد فيه الطرف الأقوى ويستسلم فيه الطرف الضعيف كما أشرنا إلى ذلك[1].

- الحكم في النازلة:

نظر الفقهاء[2] في حقيقة هذا التصرف وملابساته الاجتماعية والنفسية، فأفتوا بعدم نفوذ هذه الهبة، وأن لهن الحق بالرجوع، بناء على أنه تصرف انتفت فيه الإرادة الملازمة لشرط الرضا في صحة العقود وثبوت آثارها، أما إذا انتفت تلك

---

(1) وقد نزلت في بلدتنا منذ بضع سنين مثل هذه النازلة، حاصلها أن المشتكين وهم أولاد وأمّهم ادعوا على أخوالهم الذين حازوا نصيب أختهم هذه وأخريات من إرث أبيهم أن تلك الهبة التي كانت منهن إنما تمت بغير قناعة ووعي تام ولكن استدرجن إليها بحكم العاطفة الأخوية واستكانتهن كما هو شائع، والإخوة المدعى عليهم ينفون ذلك ويصرحون بصحة الهبة، والقضية لاتزال معروضة على القضاء ولا أدري حكمها.

(2) ومن أحسن ما كتب فيها تفصيلا "مواهب ذي الجلال في نوازل البلاد السائبة والجبال" لمحمد بن عبد الله الكيكي (1185هـ).

الموانع أو وهبت بإرادتها من غير سؤال صحت هبتها وليس لها الرجوع[1]، وفي ذلك يقول صاحب العمل الفاسي[2]:

وفِي هِبَاتِ الأُختِ لِلأَخِ وَمَا فِيهِ تُسَلِّمُ الرُّجُوعُ فَاعْلَمَا

بِطلبٍ مِنْهُ لِونْشَرِيسِي هذا، ولِلْقُورِي وَلِلعَبْدُوسِي

لها القِيَامُ إِنْ تَكنْ مطلوبهْ إِذْ لَيس فِي طَلَبِهِ مِنْ رِيبَهْ

والحكمُ بِالتفصيلِ لِلحُمَيدِي لا بُدَّ فَي رُجُوعها مِنْ قَيْدِ

فالونشريسي ومعه القوري يشترطان لرجوع الأخت كون الهبة بطلب الأخ من أخته، ونسب إلى العبدوسي التفصيل بين أن تكون المرأة طالبة الهبة وقعت الهبة عن اختيار منها فلا قيام لها، أو أن تكون مطلوبة فلها القيام سواء كان الطلب من أخيها أو غيره.

ففي نوازل ابن هلال[3]: سؤال عن امرأة تصدقت على أخيها بنصيبها من أصل كان بينهما أو بشيء من مالها، وبعد ذلك قامت الأخت أو قام وارثها في ذلك على الأخ، وأرادت أو أراد وارثها ارتجاع الصدقة، وزعمت أو زعم وارثها أنها لم تقصد بذاك سبيل القربة لله تعالى ولا فعلته عن طيب نفسها، وإنما فعلته بسبب الحياء وخوفا من التعايُر في مجامع أحبائها إن لم تفعل، فهل تصح هذه الهبة الواقعة على الحالة المذكورة؟ فأجاب أبو عبد الله محمد بن القاسم القوري: الحمد لله، إن كانت عادتهم أن من طلبت من أخت أو بنت حقها عوديت وقطع رحمها بذاك الطلب، ولم يؤخذ بيدها عند نائبة تنزل بها من زوجها أو من غيره، وكانت الصدقة بطلب من الأخ فالصدقة غير عاملة ولا لازمة، وللأخت أو ورثتها استرجاعها، وسواء استحفظت بذاك شهادة أولا.

قال ابن هلال معلقا على فتوى شيخه: ما أجاب به شيخنا حفظه الله في المسألة

(1) مواهب ذي الجلال في نوازل البلاد السائبة والجبال: 69.

(2) العمل المطلق: ورقة 33 "مخطوط خاص".

(3) الدر النثير: 393 وما بعدها "طبعة حجرية".

فوقه صحيح وبه أقول، وأورد كذلك أن هذا هو قول شيخه أبي الحسن الصغير، في أن الأخت إذا سكتت وتركت ميراثها لأخيها سنين أو تصدقت عليه بطلبه ذاك منها أن لها الرجوع في ذلك، قال الشيخ: وهو أولى لأنها تقول: لو طلبت ذاك منه لقطعني ومنعني رفده ولم يكف عني ظلم زوجي.

وأما القاضي الحميدي فيرى في ذلك تفصيلا يحتمل أن المراد به الفرق بين من كان من النساء بين من كانت في قوم يورثون النساء وبين من كانت من قوم لا يورثوهن أو الفرق بين الحاضرة والبادية أو بين الأصل والغلة أو بين من وهبت باللفظ ومن سكتت[1].

- وأورد الكيكي اعتراضا وجوابه وهو، إن قال قائل: إن الأخت تترك ذلك لقريبها توسعا وبطيب نفس منها ولغناها بزوجها، ولو أرادت أخذ ذلك لأخذته بطيب نفس الولي من غير أن يثقل ذلك عليه. قلنا: ذلك من قائله كذب وبهتان وإنكار للمحسوسات، فإن عدم مسامحة الولي في إرث وليته بل في بعضه معلوم في بلدنا بالتواتر حتى ضربوه مثلا سائرا بينهم. يقول أحد لمن عاداه: أي عداوة بيني وبينك ؟! حتى كأني أخذت منك الميراث ! وما ذلك إلا لمشاهدتهم مقاطعة من أخذ ذلك وبغضهم له أشد البغض..[2].
- وفي فتاوى أبي عمران الفاسي، أنه سئل عن أخ كان يتصرف في موروث أخته دهرا طويلا وهي حاضرة عالمة ساكتة، إلى أن توفيت، فقام ورثتها يطلبون الأخ بالحظ الذي لموروثتهم وغلته، فاحتج ورثة الأخ بسكوتها وسكوت ورثها بعد هذا الزمان الطويل، فهل يقطع سكوتها حقها أم لا؟ فأجاب: اعلموا رحمكم الله بأن جماهير علمائنا اختلفت آراؤهم في السكوت، يروى عيسى عن ابن القاسم أنه لا حق للأخوات في الغلة وحمل السكوت على الرضى، وجعله مع الزمان الطويل كالإذن المصرح بالهبة من الأخوات لأخواتهن، وروى ابن حبيب في

---

(1) العمل المطلق: ورقة 33 "مخطوط خاص".

(2) مواهب ذي الجلال: 79.

(الواضحة) عن جماعة من أصحاب مالك أنهن على حقهن في الغلات، وأن السكوت لا يدل على الإذن، وقاله عيسى بن دينار في (العتبية) من رأيه، ووجهه أن السكوت أمر مبهم محتمل ثبوت الحق للأخوات في الابتداء مجمع عليه، فلا يسقط الحق المجمع عليه ابتداء بالأمر المحتمل الآخر.

قال أبو محمد صالح: وفي المسألة قول ثالث، وهو لبعض المتأخرين وهو إن كان بين الأخوة من الألفة والمحبة والحياء والوقار، فالأخوات أو ورثتهن باقين على حقوقهن وإن طالت الحيازة، وإن عرف منهن غير ذلك بطل حقهن، وكل ما قلناه إنما هو في الغلة فقط، وأما حقهن فلا يسقط بسكوتهن ولو بعد مائة سنة إلا أن يدعي الحائز لذلك أنه اشتراه أو ورثته من القائمة أو من ورثتها فحينئذ يكون القول قوله...[1].

وقد رأى أكثر من أفتى في هذه النازلة إلى أن الحكم السابق يتقوى إذا كانت الواقعة جارية في البلاد السائبة حيث لا سلطان يحمل الناس على التقيد بالشرع، ولذلك فرق فقهاء المالكية بين الحيازة أن تكون في البلاد التي يجري فيها سلطان الأحكام الشرعية وبين البلاد التي لا يقع فيها ذلك ويسري فيها التعدي والظلم، قالوا فالحيازة في البلاد السائبة ساقطة لكون الضعيف لا يجد له ناصرا، والقوي قد يسكت مخافة ما يتولد من ذلك من خصام ومباغضة. وهذا السكوت عن التصرف مما جرت به العادة في البوادي مخافة المعرة، ثم إن الأصل بقاء الأملاك لأصحابها الشرعيين وعدم انتقالها إلا بيقين بناء على القواعد الشرعية في ذلك[2].

- من فتاوى علماء المذهب في النازلة:

- **في المعيار**: سؤال بعضهم عن هبة بنات القبائل وأخواتهم لقرابتهن مع اشتهار العرف بعدم توريثهن، فأجاب المفتي: هذا وأمثاله مما ثبت خلافه في الشريعة،

---

(1) المعيار: 263/5، 262، فتاوي أبي عمران: 131.

(2) العمل المطلق: ورقة 33 مخطوط خاص.

فإن كان الأمر كما ذكر فهبة البنات والأخوات والعمات باطلة مردودة، ولهن الرجوع في حياتهن، ولورثتهن القيام بعد مماتهن في ذلك لأن من مات عن حق فلورثته، ولو امتنعن من الهبة لوجب ذلك امتهانهن والغضب عليهن وقطعهن وعثهن فإذا شهدت العادة بذلك فلا حيازة عليهن في ذلك لأنهن مقهورات مغلوبات ويقبل قولهن فيما يدعين، ولا فرق بين المتجالات ذوات الأولاد وغيرهن[1].

- وبمثل هذا أفتى أبو زكرياء يحيى السراج وقال: تسليم الأخوات والبنات والعمات في ميراثهن لا يلزمهن، ولهن رد ذلك ولورثتهن بعد موتهن، كن متجالات أو صغيرات، لهن أولاد أم لا. وبه استمرت الفتوى.

- هل يفرق بين نساء البوادي والمدن في حكم النازلة؟

قال أبو محمد صالح: وكنا نسمع من الأشياخ أنه لا ينبغي أن يختلف في نساء البوادي لأنهن إذا طلبن حقهن يهجرها أولياؤها فلا تجد أين تبيت، زائرة أو شاكية ضررا لحقها من زوجها، فلا يقطع سكوتها حقها إذا كان هكذا. ثم قال: ووقع للقاضي أبي سالم اليزناسي قاضي الجماعة بفاس جواب بالغلة لبنت العم بعد الخمسين سنة، ومثله للشيخ أبي القاسم العقباني، وكفى بهما حجة، وتعقبه صاحب العمل في مسألة ثبوت الحكم في نساء البوادي دون اختلاف، رادا الحكم في النازلة إلى العلة التي ينبغي أن يناط بها الحكم وهي ثبوت عادة عدم التوريث سواء كان في البوادي أو الحواضر قائلا: لا مفهوم لنساء البوادي، وإنما المدار على عدم التوريث كما يعطيه التعليل بقوله: لأنهن إذا طلبن حقوقهن.. إلخ، فكلما وجد ذاك التعليل في بادية أو حاضرة لم ينقطع الحق بالسكوت[2].

- إذا بيع نصيبُها وعلمت بذاك وسكتت:

أفتى أبو الحسن الصغير إذا بيع نصيب المرأة وعلمت به وسكتت فيعد سكوتها

(1) المعيار: 154/9. 153، العمل المطلق: ورقة 33 مخطوط خاص.
(2) المعيار: 263/5. 262. فتاوي أبي عمران: 131 .

رضى إن لم يمنعها مانع، ومن تلك الموانع التي لا يسقط معها الحق - كما قال صاحب (العمل) - أن تكون وهبت نصيبها لقريبها على الوجه الذي لا تلزمه الهبة فيه، ثم تراه يبيع وتجهل أن هبتها غير لازمة وأن لها القيام على المشتري فتسكت لذلك، وهذا الحكم مبني على قاعدة أن من ادعى الجهل فيما يجهله أبناء جنسه فالقول قوله في جهله[1].

- هل يلزم اليمين المرأة على هذه الدعوى؟

قال صاحب (العمل) عن المرأة التي صدرت منها الهبة ثم ادعت موجب عدم لزومها، أو ادعي عليها الهبة وأنكرت مع تحقق الدعوى، وعلم أن الواقع من حالهن عدم القدرة على القيام بطلب حقوقهن مع فشو هذا الأمر والعلم به، فإن هذا الفشو يقوم مقام البينة على دعواهن، وأما في حال عدم الفشو فقد أفتى ابن لب ونصره صاحب العمل بلزوم يمين الزوجة[2].

- حكم ما استغله المدعي للهبة قبل قيام قريبته:

قال صاحب (العمل): يؤخذ مما سبق أن كل من انتفع به واستغله قبل قيامها عليه حرام لا يحل له، وسكوتها حياء لا يحل له ذلك ولا ينجيه مما بينه وبين ربه، وبه قال ابن لب في المتصدق إذا تصدق حياء وخجلا وعن غير طيب نفس، فإنها لا تحل للمتصدق[3].

وخلاصة ما نبه عليه المصنف في هذه النازلة هو:

- عدم إنفاذ هبة البنات لأقاربهن الواقعة في البوادي في الظروف المشار إليها، وأن لهن الرجوع في ذلك في حياتهن، ولورثتهن القيام من بعدهن.
- أنهن كذلك يرجعن في ما بيع، ويقبل منهن سكوتهن لجهلهن أن الهبة لا تلزمها.

---

(1) العمل المطلق: ورقة 34 و35 "مخطوط خاص".

(2) المرجع نفسه.

(3) المرجع نفسه.

نص رسالة

"سراج الهداية لإخواننا طلبة تدغة"

الحمد لله والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على أشرف الخلق وأكرمه إمام المتقين وقائد الغر المحجلين، وعلى آله وصحابته الأكرمين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فيقول العبد الذليل، الوجل من كسبه يوم حلول رمسه محمد اليزيد بن محمد ابن إسماعيل الناصري، نور الله بصيرته بأنوار المعرفة واليقين، وأفاض عليه وعلى المسلمين من خيره المتين:

لما كان الاشتغال بعلم الفقه وفهم مسائله من أهم ما يشتغل به اللبيب، ويفرغ إليه أفكاره الأريب مادام في الحياة، ليغتنم بذلك الحسنات يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، فقد ورد فضله في التنزيل والأحاديث قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ﴾[1] قلت: قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ من عطف الخاص على العام، وذلك - والله أعلم - للتنبيه على أفضلية أهل العلم على غيرهم، قال في (التلخيص)[2]: (لأن ذكره للتنبيه على فضله، حتى كأنه ليس من جنسه، تنزيلا للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات. يعني أنه لما امتاز عن سائر أفراد العام بما له من الأوصاف الشريفة، جعل كأنه شيء آخر مغاير للعام مباين له، لا يشمله لفظ العام، ولا يعرف حكمه منه، بل يجب التنصيص عليه والتصريح به)، وفي الحديث قال عليه السلام: (**فضل العالم على العابد كفضلي**

---

(1) المجادلة: 11.

(2) هو كتاب: "تلخيص المفتاح" لخص فيه الخطيب القزويني739هـ، القسم الثالث من كتاب "مفتاح العلوم" للسكاكي (555هـ/ 626هـ)، والكلام من قوله: (للتنبيه...) إلى قوله: (الذات) للسكاكي، وما بعده إلى قوله: (والتصريح به) لشارحه سعد الدين التفتزاني في: "المطول" ص: 493.

على أمتي)[1] وقال عليه السلام: (**من أراد الله به خيرا يفقهه في الدين**)[2] وقال: (**من سلك طريقا يطلب فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة**)[3] وقال: (**إن الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع**)[4].

قال ابن أبي زيد في (مختصره)[5]: (قال لي بعض شيوخي: يعني تبسط أجنحتها بالدعاء للطالب بدلا من الأيدي)[6] وقال عليه السلام: (**إذا مات المرء انقطع عمله إلا من ثلاث الحديث..**)[7] وفي الخبر: (**يجمع الله العلماء يوم القيامة فيقول لهم إني لم أضع حكمتي في صدوركم إلا وأنا أريد أن أغفر لكم، اذهبوا فقد غفرت لكم على ما كان منكم**)[8] وقال عليه السلام: (**ما من رجل يترك ورقة من العلم إلا وتقوم تلك الورقة سترا بينه وبين** (النار[*]) **ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف**

---

(1) جامع بيان العلم وفضله: برقم 92 عن أبي سعيد الخدري، قال الألباني: " موضوع ضعيف ". الجامع الصغير وزيادته: 3968.

(2) البخاري: 71. مسلم: 1037 بلفظ (من يرد الله به خيرا...).

(3) مسلم: 2699 عن أبي هريرة ورواه أصحاب السنن.

(4) جزء من الحديث الذي سبقه كما في السنن، عن أبي الدرداء. أحمد: 21715. الترمذي: 2682 أبو داود: 3642 من غير قوله: (بما يصنع) كما هو في شعب الإيمان: 1573. قال الألباني: (صحيح). الجامع الصغير وزيادته: 11243.

(5) من أعلام المذهب المالكي توفي في: 386 هـ، والمختصر هو كتاب "اختصار المدونة والمختلطة" اختصر فيه ما في "المدونة" و"المختلطة". والمختلطة هي المدونة، أو بتعبير أدق هي المدونة قبل تنظيم سحنون لها، وهي اسم بقي علماً للأجزاء التي لم يكتب لسحنون أن يهذبها وينظمها من المدونة؛ انظر: اصطلاح المذهب عند المالكية. ص 144.

(6) نص العبارة كما في "اختصار المدونة والمختلطة": (قال لي بعض شيوخنا: يعني بأجنحتها تضعها تبسطها بالدعاء للطالب بدلا من الأيدي). 1/ 21.

(7) مسلم: 1631، وأبو داود 2880، عن أبي هريرة.

(8) أخرجه ابن عدي في "الكامل": 4/ 111، والبيهقي في "المدخل": 567. قال العلامة الألباني: (ضعيف جدًا) الضعيفة: 868.

(*) سقط لفظ (النار). والراجح أن هناك عبارة أخرى ساقطة بعدها للفصل بين الأثرين، فالثاني يبدأ بقوله: (ولفقيه...).

عابد)[1] وقال سحنون[2]: (نفقة درهم واحد في العلم أفضل من عشرين ألفا في سبيل الله).

واختلف قول مالك رحمه الله في أفضلية الاشتغال بالعلم على صلاة النافلة على قولين، وفصل أبو بكر بن عبد الرحمن[3] فقال: أما صلاة الليل فهي أفضل، وأما صلاة النهار فطلب علم أفضل منها[4]. وقال ابن وهب[5]: كنت عند مالك فحانت صلاة الظهر أو العصر وأنا أقرأ عليه، فجمعت كتابه لأقوم، فقال: إن هذا لعجب! ما الذي قمت إليه بأفضل من الذي كنت منه إذا صحت النية[6]. قال بعض الشيوخ: يعني ما الذي قمت إليه بأوجب عليك الآن من الذي قمت عنه، لأن الصلاة لا يتعين وجوبها بأول الوقت. وقال مالك بن دينار[7]: أوحى الله إلى موسى عليه السلام أن اتخذ نعلين من حديد، وعصى من حديد ثم اطلب العلم حتى تخلق نعلاك وتنكسر عصاك[8]. وقال الحسن[9]: لولا العلم لكان الناس كالبهائم. وقد

(1) عن أبي هريرة، "تذكرة الموضوعات" ص 23. "تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الموضوعة": 107 وقوله: (ولفقيه..) في الدارقطني: 322 وهو في الضعيفة: 4461.

(2) أبو سعيد عبد السلام سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي: المتوفى في: 240هـ، من أشهر فقهاء المالكية، وصاحب كتاب "المدونة" المعروف في الفقه المالكي.

(3) أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث القرشي الفهري المخزومي المتوفى في: 94هـ. من التابعين وأحد فقهاء المدينة السبعة.

(4) قال ابن رشد: (وليس ذلك عندي اختلافا من قوله. ومعناه أن طلب العلم أفضل من الصلاة لمن ترجى إمامته، والصلاة أفضل من طلب العلم لمن لا ترجى إمامته إذا كان عنده منه ما يلزمه في خاصة نفسه من صفة وضوئه وصلاته وصيامه. وقال سحنون: يلزم أثقلهما عليه) المقدمات الممهدات:1/ 51.

(5) أبو محمد الفهري مولاهم عبد الله بن وهب بن مسلم الفقيه المالكي المصري من تلاميذ الإمام مالك توفي في: 197هـ.

(6) جامع بيان العلم وفضله: 116.

(7) أبو يحيى مالك بن دينار البصري، من أعلام التابعين توفي عام: 130هـ.

(8) جامع بيان العلم وفضله: 577.

(9) أبو سعيد بن أبي الحسن يسار البصري، من كبار التابعين، توفي في: 110هـ.

سئل مالك رحمه الله[1] عمن قالت له امرأته: يا سفلة، فقال لها: إن كنت سفلة فأنت طالق. قال: إن لم يكن طالب علم فهو سفلة[2]. لأنه روي عنه عليه السلام أنه قال: (**إذا استرذل الله عبدا حظر عنه العلم**)[3] وقال ابن المبارك[4]: السفلة من يأكل بدينه[5]. والعلم لا ينال براحة الجسد[6]. قال يحيى بن يحيى[7]: وإن رجلا من الطلبة ذكر هذا الحديث وهو على بطن امرأته فنزل قبل أن يقضي حاجته وأخذ دفتره من العلم يقرره[8]. وروى أبو زيد عن ابن القاسم قال: قال مالك: إن هذا الأمر لا ينال حتى يذاق فيه طعم الفقر، وذكر ما نزل بربيعة من الفقر حتى باع خشب سقف بيته في طلب العلم[9]. وقال سحنون: لا يصلح لمن كان يأكل حتى يشبع ولا لمن يهتم بغسل ثوبه[10].

فائدة: قال بعضهم: وكما يجب على الجاهل التعلم كذلك يجب على العالم التعليم[11]. قلت: قال البناني[12] في حاشيته عند قول المؤلف: (فيجب تعلمها) ما

---

(1) أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي الحميري المدني، إمام المذهب توفي في:179هـ.

(2) المدونة الكبرى: 1/ 15.

(3) مسند القضاعي: 795 عن أبي هريرة. قال الذهبي: باطل. "ميزان الاعتدال": 1/ 151.

(4) عبد الله بن المبارك المروزي الإمام المجتهد أخذ عن بقايا التابعين. توفي عام 181هـ.

(5) شعب الإيمان للبيهقي: 6442.

(6) مسلم: 612 عن يحيى بن أبي كثير.

(7) لعله أبو زكريا التميمي يحيى بن يحيى التميمي المتوفى سنة 226هـ، وهو صاحب الأثر المذكور قبل هذا في (مسلم)، وليس راوي الموطأ.

(8) لم أقف على القصة.

(9) جامع بيان العلم وفضله: 596.

(10) جامع بيان العلم وفضله: 600.

(11) المقدمات الممهدات: 1/ 43.

(12) أبو عبد الله محمد بن الحسن البناني الفاسي، فقيه محقق مشارك، له حاشية على "الزرقاني" متقنة، وشرح على "السلم في المنطق" وغيرها، توفي سنة 1194هـ. والمراد بالمؤلف في كلامه: الشيخ خليل في مختصره.

نصه: (وقد ذكر المجروتي[1] في كتابه (تنبيه الغافل) أن العالم لا يجب عليه التعليم حتى يسأل، قال: وهو الصحيح عند القاضي أبي بكر وغيره.. إلخ)[2]. ويجب على من تعلم العلم أن يعمل به وإلا كان عليه حسرة وندامة يوم القيامة، وجميع ما ورد في فضل العلم إنما هو في حق المخلصين فيه، فإياك يا أخي والغلط فإن الناقد بصير. اهـ[3]. وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ﴾[4] الآية. وقال عليه السلام: (إنما الأعمال بالنيات.. الحديث)[5].

انقدح[6] في خاطري أن أذكر بعض مسائله كانت تقع كثيرا في بلد تدغة. وتدغة اتخذها والدي[7] وطنا، وتوفي رحمة الله عليه بالطاعون في درعة وتركني رضيعا فأدخلتني جدتي للمكتب، وكنت ملازما له إلى أن من الله تعالى علي بحفظ كتابه العزيز، وأخذت في الاشتغال بقراءة الفقه على العالم القدوة ذي الكرامات الباهرة، الجامع بين الحقيقة والشريعة، شيخنا ووسيلتنا إلى ربنا أبي علي السيد الحسين[8] ابن سيدنا محمد فتحا من ضئضئ[9] شيخ الأمة ومرشدها وناصحها المتبرك به حيا وميتا سيدنا الحاج عمرو[10] نفع الله به، إلى أن ختمت عليه (مختصر أبي المودة

---

(1) كذا في النسخة والصحيح (التفجروتي) أحمد بن محمد بن مسعود، من أعلام درعة، له كتاب "تنبيه الغافل عما يظنه عالم وهو به جاهل". توفي بعد 976هـ، دليل المخطوطات الناصرية: 16.

(2) حاشية البناني على الزرقاني: 1/ 352.

(3) العبارات من كلام ابن رشد في "المقدمات": 1/ 70 وعبد الوهاب الشعراني في: "العهود المحمدية".

(4) البينة: 5.

(5) البخاري: 1 مسلم: 1907.

(6) على الهامش: (قولنا: "انقدح في خاطري" جواب عن قولنا: "لما كان الاشتغال").

(7) تقدمت ترجمته.

(8) تقدمت ترجمته.

(9) على الهامش: (من نسل).

(10) تقدم التعريف به.

خليل) و(خلاصة ابن مالك)، وكنت أرى مسائل الثنيا تقع عندهم كثيرا، وكذا هبات بناتهم للأقارب، فأردت أن أذكر لهم أحكام ذلك في نصيحتي هذه، بعد أن أشغلت فكري بذلك مدة مديدة، فلما أراد الله تعالى أن يكمل على عبده تفضل علي بمطالعة كتب لم أكن طالعتها قبل، فوجدتهم قد أجادوا بتحرير تلك الأحكام ومهدوها أي تمهيد. جزاهم الله عن أمة سيدنا محمد ﷺ خيرا.

وبإثر الفراغ من نظمها وضعت عليها شرحا مطابقا للمراد، مؤسس القواعد، وأسميته: "**سراج الهداية لإخواننا طلبة تدغة**" والله الكريم الرحمن الرحيم أسأل أن يخلص النية ويصلح الطوية، ويجعلها من العمل المقبول يوم التنادي بمنه وكرمه، وأن ينفع بهما الكاتب والناظر والقارئ، وأن يكف عنها ألسنة الحاسدين، وأقلام المفترين، إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير، وقد أذنت لشيخنا في إصلاح ما فيها من الخلل، فالخطأ لمثلي لا يعد خِطْئا. وفقنا الله للصواب. آمين.

(مقدمة)

يقولُ بَعْدَ حَمْدِ مَوْلاهُ المجيد	**عُبَيْدِ رَبِّهِ مُحمدُ اليَزِيد**
ثُمَّ صلاةُ الله بالتمامِ	**على النَّبِي أَفضل الأَنَامِ**
وآلِه وصحبِهِ الزُّهادِ	**مَا طَلَعتْ شمسٌ على العبادِ**
وبعدُ فالقَصدُ بِذِي النَّصيحةِ	**نَظْمُ مسائلٍ لأَهلِ تُدغةِ[1]**
لأنهمْ في غايةِ افتقارِ	**لَها فَجِئْتُهُم بِها يَا قَارِي**
واللهَ أسألُ بأحمدَ الجَسورِ[2]	**أَنْ يُديم النَفعَ بِها طُول الدُّهورِ**

(1) في الهامش: قوله: (النصيحة) مع قوله (تدغة) الوقوف عليهما بالتاء لا بالهاء، وإنما يوقف بالهاء إذا اتفق الحرف الأخير قبل هاء التأنيث، قاله الرسموكي في شرح نظمه للميراث، من خط العلامة السيد الحسين بن محمد.

(2) في الهامش: وفي القاموس، من معانيه الشجاع، بخط المؤلف.

الكلام في افتتاح التأليف باسم المؤلف وبالحمدلة والصلاة على النبي ﷺ كل ذلك معلوم ومشهور، فلا نطيل بذكره، والإشكال الوارد في قوله ﷺ: (**كل أمر ذي بال .. إلخ**)[1] أن الحمد من الأمور التي لها بال فيستحق حمدا آخر، فيؤدي ذلك إلى التسلسل، أجيب عنه بجوابين: الأول: أن الحمد قوي يمنع نفسه من أن يبتدئ بحمد آخر ويبتدئ به غيره، كما قالوا في فصل الرؤية، فالبصر لقوته يرى غيره، ومنع نفسه من أن يرى. والثاني: أن هذا التسلسل لا يسع إلا الاستقبال وهو جائز، وإنما الممنوع التسلسل في الماضي، فهو نعمة يستحق عليها حمدا، ودليله قول القائل:

لك الحمد مولانا على كل نعمة ... ومن جملة النعماء قولي لك الحمد

فلا حمد إلا أن تمن بنعمة ... تعاليت لا يقوى على شكرك العبد

فالأول: لأبي القاسم المطماطي، والثاني: للسيد علي بن محمد أقدار[2].

(باب في ذكر بعض مسائل الثنيا)

القولُ في الثُّنيا وحكمِهِ يَفِي ... وَهُوَ مِمّا شاع في تُدغة اعْرِفِ

فالفسخُ إنْ بالعقدِ جاء مُقتَرِنْ ... ما لَمْ يَفُتْ بِالهدْمِ أوْ طولِ الزّمنْ

والطولُ مِنْ عشرين قُلْ للْفوقِ ... كذا نقَلْنا عنْ ساداتِ الخلْقِ

والغَرسُ والبناءُ مِثلُ الهَدمِ ... في فَواتِ[3] الأصولِ فَافهمْ نَظْمي

---

(1) ابن ماجه: 1894. اختلف في درجته فحسنه النووي وابن حجر وضعفه الشيخ الألباني في "إرواء الغليل" 1/ 29 - 32.

(2) من علماء الجزائر، عاشا في القرن العاشر الهجري، وهما من شيوخ سحنون بن عثمان صاحب كتاب "تحرير المقال في الحمد لله والصلاة والسلام على سيد الإرسال" وفيه أورد المسألة المذكورة عن شيخيه السابقين. ص 22 - 23.

(3) في الهامش: يُفوِّت.

وفـــي العُـــروضِ تَحويـــلُ الأســـواقِ فـــــي فَوْتِـــــه تَكفينـــــا بِاتّفـــــاقِ

وحيثُمـــا لـــــه الفـــوَاتُ يُعْـــرَضُ فامْـــضِهِ بالقيمـــةِ يَـــوم يُقـــبَضُ

تضمنت هذه الأبيات ما ذكره الشيخ التاودي[1] عند قول العاصمية: **والبيع بالثنيا لفسخ داع إلخ**[2]: (أي ممنوع، ويجب فسخه بعد الوقوع، وهذا ما لم يفت بيد المشتري، وإلا مضى بالقيمة، وفوات الأصول بالبناء والهدم والغرس، لا لحوالة[3] سوق خلافا لأشهب[4] وأصبغ[5]. وهل يفوت بطول الزمان ؟ قولان: في المدونة في رهونها وشفعتها، فحملا على الخلاف وعلى الوفاق، فحمل الفوت على الطول جدا العشرين سنة، وعدمه على الطول لا جدا كالسنتين والثلاث، وهو مذهب **المدونة**[6] ونص **النوادر**[7] عن ابن القاسم، ولم يذكر ابن أبي زمنين[8] في **المنتخب**

---

(1) أبو عبد الله التاودي بن الطالب بن سودة المري القرشي، الفاسي دارا ومنشأ، فقيه محقق كبير مشارك، انتهت إليه رياسة العلم في المغرب إقراء وإفتاء، من كتبه "شرح على تحفة الحكام" لخصه من شرح ميارة وغيره، توفي سنة: 1209هـ.

(2) البيت كاملا:

وَالْبَيْـــــعُ بالثُّنْيـــــا لِفَـــــسْخٍ داعِ والخَـــــرْجُ بالـــــضَّمانِ لِلْمُبْتـــــاعِ

(3) في المطبوع: بحوالة.

(4) أبو عمرو أشهب بن عبد العزيز بن داود القيسي:الفقيه المصري صاحب مالك، وأحد الأعلام، توفي سنة: 204هـ.

(5) أبو عبد الله أصبغ بن الفرج ابن سعيد بن نافع مولى عبد العزيز بن مروان، أجل أصحاب ابن وهب، توفي سنة: 225هـ.

(6) كذا في النسخة. وفي نص التحفة المطبوع: (الموازية) بدل المدونة.

(7) "النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات": لأبي زيد القيرواني من أمهات كتب الفقه المالكي ومصادره الأصلية وأوسعها، وهو في المذهب المالكي كمسند الإمام أحمد عند المحدثين. استوفى فيه الشيخ النقول عن الإمام مالك وفقهاء المذهب من أعلام تلامذته.

(8) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري الأندلسي، المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي، له كتاب: "منتخب الأحكام" أحد أمهات الكتب المصنفة في نوازل الأحكام، توفي سنة: 399هـ.

ولا ابن بشير[1] ولا صاحب **المجالس**[2] غيره)[3]. ثم قال: (انظر: تحفة الإخوان)[4]، ونص ما في **التحفة** المذكورة، قال رحمه الله: (وقد سئلت عن بيع العقار، الأرض والدور بيعا فاسدا، كالثنيا يمضي عليه السنون المتطاولة كالعشرين فأكثر، ثم يقوم البائع يريد الرد لما ذكر من الفساد، هل يُمكن من ذلك أم لا ؟ الجواب والله الموفق سبحانه: إن هذه المسألة - أعني فوات العقار المبيع فاسدا لطول الزمان - لم يتكلم عليه ابن شاس[5] ولا ابن الحاجب[6] ولا صاحب **المختصر**[7] ولا صاحب **التلقين**[8] ولا **الجلاب**[9] ولا **الرسالة**[10] ولا **القلشاني**[11] عليها، ولا الشيخ

---

(1) أبو الطاهر ابن بشير إبراهيم بن عبد الصمد التنوخي توفي بعد 526هـ.

(2) "مجالس القضاة والتنبيه والإعلام فيما أفتاه المفتون وحكم به القضاة من الأوهام" لأبي عبد الله محمد بن عبد الله المكناسي المتوفى في 917هـ.

(3) شرح التاودي على هامش البهجة في شرح التحفة: 2/ 100 - 99.

(4) "تحفه الإخوان في فوات بيع الثنيا بطول الزمان" لمحمد بن الطالب بن علي التاودي.

(5) أبو محمد عبد الله بن نجم بن شاس بن نزار بن عشائر بن شاس الجذامي السعدي المصري المالكي، مصنف كتاب "الجواهر الثمينة في فقه أهل المدينة"؛ وكتابه المذكور وضعه على ترتيب (الوجيز) للغزالي، توفي سنة: 616هـ.

(6) أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الكردي الدويني المالكي: من علماء المذهب المعروفين بتصانيفه منها "جامع الأمهات" المعروف بالمختصر الفرعي؛ توفي سنة: 646هـ.

(7) أبو الضياء خليل بن إسحاق الكردي المصري الشهير بالجندي: صاحب أشهر المختصرات الفقهية على مذهب المالكية في القرون المتأخرة؛ ويشهد لذلك عناية العلماء به وعكوف طلاب العلم على حفظه ودراسته، وتلقيهم له بالقبول، توفي في: 776هـ.

(8) القاضي عبد الوهاب بن علي بن نصر الثعلبي البغدادي المالكي، توفي سنة: 422هـ.

(9) عبد الله بن الحسن بن الجلاب: له كتاب في مسائل الخلاف، وكتاب "التفريع في المذهب" مشهور؛ توفي في: 378 هـ

(10) "رسالة ابن أبي زيد القيرواني"، للشيخ الإمام الفقيه الحجة أبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني الملقب بمالك الصغير، من أشهر وأنفس ذخائر التراث المالكي؛ بل المصدر الثالث في المذهب بعد الموطأ والمدونة، توفي في: 386هـ.

(11) أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد أبو العباس القلشاني التونسي: له "تحرير المقالة في
=

زروق[1] ولا صاحب **التحفة**[2] ولا الشيخ **ميارة**[3] ولا **ابن سلمون**[4] ولا **ابن عبد السلام**[5] وتكلم عليها في **التوضيح**[6] و**الشامل**[7] و**ابن عرفة**[8] و**ابن هارون**[9] و**ابن أبي زمنين وابن رشد**[10]..

=

شرح الرسالة"، توفي عام: 863هـ.

(1) شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي: المعروف بزروق، له شرح على متن الرسالة يعرف بشرح زروق، توفي عام: 899هـ.

(2) "تحفة الحكام في نكت العقود والأحكام" المسماة "بالعاصمية" للإمام القاضي أبي بكر محمد بن محمد ابن عاصم القيسي الغرناطي الأندلسي المالكي، توفي في: 829هـ، من أجل ما ألف في علم الوثائق والقضاء، سليمة النظم، وجيزة اللفظ، وضعت عليها شروح عديدة.

(3) أبو عبد الله محمد بن أحمد ميارة الفاسي: شرح التحفة بشرح أسماه "الإتقان والإحكام في شرح تحفة الحكام" 1072هـ.

(4) الفقيه العلامة الشهيد أبو محمد عبد الله بن عبد الله بن سلمون الكناني الغرناطي المالكي: له كتاب في القضاء بعنوان: "العقد المنظم للحكام فيما يجري بين أيديهم من العقود والأحكام" توفي في:741هـ.

(5) أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن يوسف بن كثير الهواري المنستيري: فقيه مالكي، كان قاضي الجماعة بتونس، له شرح بديع لمختصر أبي عمرو بن الحاجب الفقهي، توفي في: 749هـ.

(6) "التوضيح في شرح المختصر الفرعي لابن الحاجب"، للإمام الشيخ الفقيه ضياء الدين أبي المودة خليل بن إسحاق بن موسى بن شعيب المالكي المعروف بالجندي، توفي في: 776هـ.

(7) "الشامل في فقه الإمام مالك"، للإمام الشيخ بهرام بن عبد الله بن عبد العزيز الدميري المصري المالكي، من أهم كتب مختصرات الفقه المالكي، كما يعتبر من أنفس كتب المالكية، وأكثرها فائدة، فمؤلفه من أخص تلاميذ الشيخ خليل رحمه الله، توفي في: 805هـ.

(8) أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي، الشهير بابن عرفة: صاحب "المختصر الفقهي" توفي في: 803هـ.

(9) أبو محمد عبد الحق بن محمد بن هارون الصقلي: له كتاب "النكت والفروق لمسائل المدونة والمختلطة" توفي في: 466هـ.

(10) أبو الوليد محمد بن أحمد ابن رشد القرطبي الجد: له كتب مهمة: "التحصيل والبيان"، و"المقدمات الممهدات" توفي في: 520هـ.

وابن يونس[1] وصاحب **النوادر**[2] **والعتبية**[3] **والمدونة**[4] وشروحها.

ففي التوضيح ما نصه: (تنبيه: سكت المـــصنف عن الطول في غير الحيوان، أما العقار فقال في "البيان": اختلف قول ابن القاسم في طول الزمان هل هو فوت في الأرضين والدور أم لا؟ والقولان في كتاب الشفعة من المدونة نص في موضع منها أن طول الزمان فوت، وفي موضع آخر أن السنتين والثلاث ليس بفوت[5] ونقل اللخمي والمازري أن مالكا وابن القاسم قالا لا يفيتهما الطول[6] كالعشرين سنة فإن هذا لا بد أن يدخله التغيير في بعض الوجوه والبلى[7] وأشار المازري إلى أن ما ذكره أصبغ لا يخالف فيه، والرواية المذكورة فيها أن مجرد الطول لا يفيت، إنما أطلقت على أن طول الزمان لا[8] يغير عينها)[9]. واختصره في الشامل فقال:

(1) أبو بكر محمد بن عبد الله بن يونس التميمي الصقلي: اشتهر بكتابه: "الجامع لمسائل المدونة والمختلطة" توفي في:451هـ.

(2) "النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات" لابن أبي زيد القيرواني: جمع فيه المادة الفقهية من مختلف الدواوين المتقدمة؛ مثل الموازية لابن المواز، والعتبية أو المستخرجة للعتبي، والواضحة لابن حبيب، وتآليف ابن عبدوس وابن سحنون.

(3) "المسائل المستخرجة من الأسمعة مما ليس في المدونة" المشهور اختصارا بـ "العتبية" لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد العزيز العتبي القرطبي؛ من المصادر الأولى في الفقه المالكي، ويضم مجموعة من الأسمعة التي وصلت إليه؛ توفي في: 255هـ.

(4) "المدونة الكبرى"، ويطلق عليها أيضا اسم "الأم" و"الكتاب" أصل المالكيين المقدم على غيره من الدواوين، وكل الذي جاء بعدها من مصنفات المذهب عيال عليها، وعليها كان الاعتماد في الفتوى والأحكام والقضاء، وهي في أصلها سماعات ابن القاسم عن شيخه الإمام مالك، أجاب بها عن أسئلة الشيخ سحنون لما رحل إليه من القيروان لتصحيح رواية أسد بن الفرات التي رواها بدوره عن ابن القاسم؛ ثم قام الشيخ سحنون بتهذيبها وتبويبها وتدوينها، وأضاف إليها اجتهادات كبار فقهاء المالكية.

(5) في الأصل المطبوع بعد عبارة (ليس بفوت): فدل أن طول الزمان بفوت ونص اللخمي.

(6) بعدها في الأصل المطبوع عبارة: قالا: وقال أصبغ ألا أن يكون الطول.

(7) في الأصل (البلاد).

(8) في الأصل: (لم).

(9) التوضيح: 5/ 514.

(واختلف في فوت العقار بالطول ففيها: يفوت[1]، وفيها وليس ستتان والثلاث فوتا. أصبغ: إلا ما كان[2] كعشرين سنة وحملا على الخلاف وعلى الوفاق[3])[4]، واقتصر عليه الحطاب[5] قائلا: (ونحوه في التوضيح)[6] وأما ابن عرفة فقال ما نصه: (وفي رهنها وأما الدور والأرضون فلا يفيتهما حوالة الأسواق ولا طول زمان، وإنما يفيتهما طول الغرس والبناء والهدم، وسواء هدمتها أنت أو تهدمت بأمر من الله فذلك فوت)، ثم قال بعد نحو الورقة: (وفي لغو طول الزمان فيها مطلقا وفوتها بعشرين سنة نقلا اللخمي عن ابن القاسم عن مالك وأصبغ قائلا: لا بد أن يدخلها التغيير في ذلك)[7]، ونحوه لابن هارون في شرح ابن الحاجب. وقال ابن يونس: (ومن المدونة قال ابن القاسم: ولا يفيت الدور والأرضين حوالة الأسواق أو طول الزمان. ابن المواز: وقال أشهب: حوالة الأسواق في الدور فوت، وقاله أصبغ في كتاب ابن الحاجب[8]، وقال في كتاب محمد: وطول الزمان مثل عشرين سنة فيها فوت). من ابن يونس[9]. ومن العتبية[10]: قال أصبغ: سألت ابن القاسم عن الأرض يبيعها الرجل من الرجل على أن يردها عليه متى جاء بالثمن ما الذي يفيتها؟[11] فقال: قال مالك: الغرس والبناء[12] مما يفوتها، قال مالك: والهدم وبيع المشتري

---

(1) في الأصل (به).

(2) في الأصل (إلا كعشرين).

(3) في الأصل (وحمل على الوفاق) فقط دون بقية العبارة.

(4) الشامل: 2/ 587.

(5) محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن حسين الرعيني المغربي الأصل: المعروف بالحطاب، من مؤلفاته شرحه على مختصر خليل، توفي سنة: 954هـ.

(6) مواهب الجليل في شرح مختصر خليل: 4/ 383.

(7) المختصر الفقهي: 6/ 47 - 48.

(8) في الأصل: ابن حبيب.

(9) الجامع لمسائل المدونة: 12/ 711.

(10) حققنا نص العتبية كما هو عند محمد ابن رشد في البيان والتحصيل.

(11) في البيان والتحصيل: (يفوتها).

(12) في البيان والتحصيل: (البنيان).

إياها مما يفوتها حتى لا يكون إليها سبيل، ويردان فيه[1] إلى القيمة يوم قبضها، وينفذ شراء[2] المشتري الثاني إياها فيما بينه وبين بائعه حلالا لا يردان فيه إلى القيمة ولا غير ذلك، إذا كانت عقدتهما[3] صحيحة، وإنما القيمة فيما بين المشتري الأول والبائع. قال ابن القاسم: طول الزمان في ذلك عندي ليس بفوت واختلاف الأسواق ليس بفوت، ويرد متى علم بذلك، وقال أصبغ: إلا أن يطول الزمان بالدهور المتطاولة[4] كالعشرين سنة وما فوق ذلك، فإن هذا لا بد أن يدخله التغيير والبلى ببعض الأوجه[5] فأراه فوتا وإن كانت قائمة[6] وهذا رأيي، قال[7] ابن رشد: قول ابن القاسم في هذا البيع[8] بيع فاسد[9] مثل قول مالك[10] في أول سماع أشهب خلاف قول ابن الماجشون، وقول سحنون في المدونة[11] إنه ليس ببيع فاسد وإنما هو سلف جر نفعا[12]، حسبما مضى القول فيه في سماع أشهب المذكور.

وقد اختلف قول ابن القاسم في طول الزمان بالدهور، هل هو فوت في الأرضين والدور؟ والقولان له في كتاب الشفعة من المدونة. نص في موضع منها أن طول الزمان فيها فوت[13]، فتعلم[14] من هذا أن قول أصبغ في هذه الرواية تفسير

(1) في البيان والتحصيل: (فيها) بدل فيه.
(2) في البيان والتحصيل: (اشتراء) بدل شراء.
(3) في البيان والتحصيل: بزيادة (في ذلك) بعد عقدتهما.
(4) في البيان والتحصيل: (مثل) بدل (ك).
(5) في الأصل: زيادة (والبلى) (وغيره).
(6) في البيان والتحصيل: بزيادة (والله اعلم).
(7) في البيان والتحصيل: بزيادة (محمد).
(8) في البيان والتحصيل: بزيادة (إنه).
(9) في البيان والتحصيل: بزيادة (هو).
(10) في البيان والتحصيل: (قوله) بدل (مالك).
(11) في البيان والتحصيل: بزيادة (من).
(12) في البيان والتحصيل: (منفعة) بدل نفعا.
(13) في البيان والتحصيل: عبارة زائدة (وقال في موضع آخر ان السنتين والثلاث ليس فيها فوت).
(14) العبارة كما في الأصل: فدل ذلك من قوله: إن الزمان الطويل فيها فوت، فعلى هذا يكون =

لقول ابن القاسم، ومبينا له كما ذهب إليه أصبغ. وله في موضع آخر[1] أن تغيير البناء[2] من غير هدم ليس بفوت. (فعلى هذا يكون قول أصبغ مخالفا[3] لقول ابن القاسم) منه[4].

ثم قال التاودي: (قلت: وعلى التفسير حمله الشيخ في نوادره، بل جعلوا الفوات بالعشرين سنة من نص ابن القاسم ولم يحك غيره، وكذا فهم ابن أبي زمنين في المنتخب حيث اقتصر على الفوات بعشرين سنة عازيا له لابن المواز)[5]. وقال ابن أبي القاسم[6]: في شرحه لألفيته عند قوله:

ثُم فواتُ الأصلِ في مَذهبِنا ليس يَكونُ بِسِوى مَا كَالبِنَا

نصه: (قال في المقصد المحمود[7]: (إن وقع البيع على شرط الثنيا فسخ ما لم يفت، فإن فات صح بالقيمة، والفوت على ضربين: عام وهو كل معنى أزال الملك عن يد مالكه، وخاص تختلف في الأصول والعروض، وهو حوالة الأسواق،

=

قول أصبغ في هذه الرواية مفسرا لقول ابن القاسم...

(1) في البيان والتحصيل: بزيادة (منه).

(2) في البيان والتحصيل: (البنيان) بدل البناء.

(3) في البيان والتحصيل: (خلافا) مكان مخالفا.

(4) في البيان والتحصيل: 8/ 12 - 13.

(5) تحفة الإخوان: ورقة: 2.

(6) محمد بن أبي القاسم بن محمد بن عبد الجليل، أبو زيد السجلماسي الفيلالي البوجعدي: من كتبه "فتح الجليل الصمد في شرح التكميل والمعتمد" المعروف باسم "شرح العمل المطلق" و"شرح اليواقيت الثمينة فيما انتمى لعالم المدينة في القواعد والنظائر والفوائد الفقهية" توفي في: 1214هـ، والبيت من "فتح الجليل الصمد في شرح التكميل والمعتمد" مخطوط خاص: ورقة: 79.

(7) "المقصد المحمود في تلخيص العقود" مختصر في الوثائق لعلي بن يحيى الصنهاجي الجزيري، نزيل الجزيرة الخضراء، فنسب إليها، ودرس بها، وعقد الشروط، وولي قضاءها، توفي سنة: 685هـ.

فتختص العروض به والحيوان باتفاق، واختلف في الأصول، فمذهب ابن القاسم وبه العمل أنها لا يفيتها حوالة الأسواق، وإنما يفيتها البناء والهدم[1] خلافا لأشهب وأصبغ)[2]. ومعنى هذا الكلام مذكور في مختصر المتيطية[3] إلا التنصيص على العمل لم يذكره. ثم قال[4]: وفي المهذب الرائق[5]: لا يفيت الأصول حوالة الأسواق ولا طول زمان، وبه القضاء. قال ابن أبي زَمَنِين: إلا ما كان مثل عشرين سنة ونحوها. والذي في مختصر الشيخ خليل[6]: أن المثلي والعقار كلاهما لا يفيت بحوالة الأسواق)[7].

وقــولُ مَــنِ ادّعــى طوْعــاً يُقْتَفَــى[8] علــى الأصــحّ عِنْــد أَعْــلامِ الوَفَــا

والحُكْـــمُ فـــي تُدغـــةَ بِالمُقابِـــلِ إذ غلَـبَ الـشّرطُ عَلـى الطّـوعِ الجَلِـي

(والمعنى، أن القول قول مدعي الطوع مع يمينه، قاله ابن العطار، وقيل: لا يمين عليه مع البينة التي قامت له بالطوع، وقال سحنون: إن كان متهما حلف وإلا فلا)[9]. قلت: محل هذا ما لم يغلب الفساد فيها ويقتضي العرف شرطيتها، وإلا فالقول قول مدعي الشرطية في أصل الصفقة، وهو معنى قولي: والحكم في تدغة بالمقابل الخ، ففي التاودي: (وبحث الشارح في قول ابن العطار الذي اعتمده الناظم

---

(1) في المقصد المحمود زيادة: والغرس.

(2) المقصود المحمود: 1/ 185.

(3) "المتيطية" المسمى بالنهاية والتمام في معرفة الوثائق والأحكام لأبي الحسن علي بن عبد الله المتيطي الجزيري توفي في: 570هـ.

(4) أي ابن ابي القاسم السجلماسي.

(5) "المهذب الرائق في تدريب الناشئ من القضاة وأهل الوثائق" للقاضي أبي عمران موسى بن عيسى المغيلي المازوني توفي عام: 883هـ.

(6) في الأصل زيادة: (ومختصر ابن الحاجب).

(7) فتح الجليل الصمد في شرح التكميل والمعتمد: ورقة: 79 مخطوط خاص.

(8) في الهامش: وقول مدع لطوع يقتفى. بخط العلامة السيد الحسن بن محمد.

(9) تحفة الحكام على هامش البهجة: 2/ 109 وما بعدها.

بأن القول لمدعي الصحة ما لم يغلب الفساد، وهذه المسألة مما يغلب فيها الفساد، وكادت ألا تقع إلا على الوجه الفاسد، فلا ينبغي العدول فيها عما قاله المشاور)[1]. قلت[2]: لأنه تقدم له ما نصه: (خلافا لما في طرر ابن عات[3] عن المشاوَر[4] قائلا: يحلف ويفسخ البيع لما جرى من عرف الناس به، وبذلك كانت الفتوى عندنا)[5].

ثم قال: (ومما يدل على الدخول على الفساد كون البيع يقع بأقل من القيمة بكثير، قاله ميارة. وفي المعيار: سئل ابن رشد عما يكتب من الشروط على الطوع والعرف يقتضي شرطيتها هل هو كالشرط أم لا؟ فأجاب: إذا اقتضى العرف شرطيتها فهي محمولة على ذلك، ولا ينظر لكتبها على الطوع، لأن الكتاب يتساهلون فيها، وهو خطأ ممن فعله، وعن أبي محمد صالح[6]: إذا كتب الموثق طاع فقد عصى)[7].

ثم قال: (وينبغي أن يكون هذا هو المعتمد، ولو كان في وثيقة البيع من غير شرط ولا ثنيا ولا خيار، لأن العامي لا يعرف ذلك[8]، وإنما يعرف عندهم بيع

---

(1) الصفحة نفسها.

(2) المصنف ابن يزيد.

(3) "الطرر الموضوعة على الوثائق المجموعة" لأبي محمد هارون بن أحمد بن جعفر بن عات الشاطبي من قضاة المالكية وفقهائها، توفي سنة: 582هـ.

(4) يطلق على عدد من العلماء عند المالكية، واللذان ينقل عنهما ابن عات هما:: أبو عبد الله محمد بن عمر بن يوسف بن الفخار القرطبي توفي عام: 419هـ، وكذلك خلف بن مسلمة ابن عبد الغفور المتوفى عام: 440هـ، صاحب كتاب: "الاستغناء في أدب القضاة والحكام"، والمقصود منهما الأول.

(5) تحفة الحكام على هامش البهجة: 2/ 109.

(6) أبو محمد صالح محمد بن صالح الفاسي الهسكوري: له تقاييد على الرسالة توفي في: 631هـ.

(7) تحفة الحكام على هامش البهجة: 2/ 109.

(8) في الأصل: (العامة قد لا يعرفون ذلك).

وإقالة، ولأن الكاتب نفسه قد لا يفهمه، وإنما يكتبه جريا على المسطرة المألوفة من غير تعرض لفهم بعض فصولها، ولأن المتفقين على الفساد وإظهار الصحة يفعلان ذلك ولا غنى لهم عنه)[1]. قلت: هذا هو الجاري في تدغة، ولا ينبغي لمن وجدها على الطوع أن يحملها عليه، فإن عرفهم يقتضي شرطيتها ولو صرح الموثق بطوعيتها. والله أعلم.

(باب في ذكر حكم هبات البنات للأقارب)

وهِبَـــاتُ البنَـــاتِ لِلأقَـــارِبِ عَـــدَمُ عَـــوْدِهِنَّ غَيْـــرُ لازِبِ
وَذَاك فـــي البَـــوادي مِثْـــلُ تُدْغَـــةِ لِعِلّـــةٍ فِـــي كُتبِـــنا مَنْـــصُوصَـــةِ[2]
ومَـــالَهُنَّ كـــانَ لِلْوَرثَـــةِ مِـــنَ الرَجـــوعِ فَـــاحْفَظَنْ مَقـــالتِي

والمعنى، أن هبة بنات القبائل والأخوات لقرابتهن مع اشتهار عدم توريثهن باطلة، بل لهن الرجوع في حياتهن، ولورثتهن القيام من بعدهن، لأنهن لو امتنعن من الهبة لأوجب ذلك امتهانهن وقطعهن والغضب عليهن وعدم الانتصار لهن إذا أصابهن شيء من الزوج، ولا فرق بين المتجالات[3] ذوات الأولاد وغيرهن. قاله الباجي[4] وأبو الحسن[5]. ....

(1) تحفة الحكام على هامش البهجة: 2/ 109.

(2) على الهامش بخط مؤلفه:

وذاك فـــي بلـــدة تدغـــة ومـــا يـــضاهيها مـــن البـــوادي فاعلمـــا

وعلق العلامة الحسن التدغي في الهامش على البيت المثبت بقوله: قوله: (تدغة ومنصوصة)، هما بالتاء لا بالهاء لاختلاف الحرف الذي قبله، وكذا قوله في البيت بعده (للورثة) مع قوله (مقالة).

(3) العجوز الفانية التي لا أرب للرجال فيها، وقيل: هي التي أبرزت وجهها من الكبر.

(4) سليمان بن خلف الباجي الأندلسي توفي سنة: 474هـ.

(5) أبو الحسن علي بن عبد الحق الزرويلي الشهير بالصغير مصغرا ومكبرا، الشهير عند أهل إفريقيا بالمغربي، انتهت إليه رياسة الفقه بالمغرب الأقصى في زمانه وهو حامل رايته، توفي في: 719هـ.

من المعيار[1]. ومثله في: الدر النثير[2]، وزاد: أنها ترجع في عين ما بيع ويقبل منها أن سكوتها كان لجهلها أن الهبة تلزمها. وقلت: ومثل هذا مذكور في أجوبة شيخ الجماعة سيدي عبد القادر الفاسي[3] قال: لأنهن إنما يفعلن ذلك على جهة الحياء والحشمة من قرابتهن وما يتوقعن من لحوق المعرة لهن إن امتنعن إذا سئلن، قال في الإحياء: سيف الحياء أقطع من سيف الجور. آخر باب أصناف المغترين.

وقولنا: **وذاك في البوادي مثل تدغة إلخ**: المراد بالبادية البلدة التي لا علم بها ولا تنفذ أحكام الشريعة على مقتضاها، بهذا أجاب بركة أسلافنا عمنا ابن عبد السلام الناصري[4] إثر جواب ورد عليه وفيه: قال ابن هلال عقبه: وبذلك أقول وأتقلد الفتيا في بلدنا لأنها كالبادية. قال منتصرا للمجيب: "وإذا كانت سجلماسة في زمن ابن هلال وهو بها بادية، فدرعة في زماننا أولى وأحرى بالحكم عليها بذلك". ووضع شكله وفيه وكتب محمد بن عبد السلام الناصري لطف الله به آمين.

حكاية: نقلت من كناش بعض إخواننا أهل درعة ما نصه: قال ابن عرضون

---

(1) المعيار: 9/ 153 - 154.

(2) "الدر النثير على أجوبة أبي الحسن الصغير" لأبي سالم إبراهيم بن هلال بن علي السجلماسي توفي في: 903هـ، وهي أجوبة الإمام النوازلي أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الحق الزَّرْوِيلي الشهير بالصغير توفي في: 719هـ، قيَّدها عنه تلميذه العلامة الفقيه أبو سالم إبراهيم ابن عبد الرحمن التسولي (ت 748هـ)، فلما وقف عليها ابن هلال السجلماسي وجدها نفيسة في بابها، بما احتوته من فوائد ودرر، فعمد رحمه الله إلى ترتيبها على أبواب الفقه، وذيَّل جُل مسائلها بأقوال أئمة المذهب تكميلا للفائدة.

(3) أبو محمد عبد القادر بن علي بن يوسف بن محمد بن يوسف بن عبد الرحمن الفاسي: له "الأجوبة الصغرى" و"النوازل الكبرى"، توفي سنة: 1091هـ.

(4) أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن محمد الكبير بن الشيخ مَحمد بن ناصر الدرعي، : كانت له رحلات علمية واسعة داخل المغرب وخارجه، له مؤلفات منها: "الرحلة الناصرية الكبرى" و"الرحلة الصغرى" وكتاب "المزايا فيما أحدث من البدع بأم الزوايا" وغير ذلك، توفي سنة: 1239هـ.

رحمه الله[1]: حدثني بعض الطلبة أنه وجد في تاريخ أن غمارة من ورغة إلى تدغة[2] كانت لطائفة من المجوس، والمجوس شر الأمم كلها، ليس لهم كتاب يقتدون به، والغالب على الظن - والله أعلم - أن المجوسية باقية فيهم على حالها ولم يدخلوا في الإسلام بالانقياد، ولذلك لم تشرع شرائع الإسلام في بلادهم. إلى أن قال: "وقوانينهم على غير قوانين الشرع، فمن ذلك حكم السيرة الجارية بينهم، ويزعمون قبحهم الله أن بلادهم لا تسكن إلا بذلك، فهم ظالمون فاسقون كافرون، قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ... الآية﴾[3] وترك مرضاهم الرقى بكتاب الله والكلام الطيب، وصاروا يقصدون العيون والكهوف والبرك والأحجار والأشجار، ويعظمون الحجوز والعنصرة، وهم أعياد الكفار، وطلوعهم إلى أعلى الجبل رجالا ونساء لقصد الفساد والبغي، وخلطهم النساء والرجال في الأعراس ومعاملاتهم ومطاعمهم ومشاربهم ومكاسبهم، مما يدل على بدعتهم وجهلهم وخروجهم عن الطريق. ولو اشتغلنا بذلك لدونا فيه الدواوين" نص كلامه رضي الله عنه.

قلت: ما ذكره شهدناه، إلا قوله: يصعدون إلى أعلى الجبل رجالا ونساء لقصد البغي والفساد، فما علمنا من ذلك شيئا في وقتنا التي هي حدود الأربعين والمائتين والألف.

---

(1) أبو العباس أحمد بن عرضون: له كتاب "مقنع المحتاج في آداب الأزواج" اختصره في كتاب "مختصر مقنع المحتاج في آداب الأزواج"، توفي سنة: 992هـ، والكلام المنقول حكاه ابن عرضون عن سيدي عبد الوارث الياصلوتي. مختصر مقنع المحتاج في آداب الأزواج: ورقة 67.

(2) في كتاب ابن عرضون: ترغة بالراء وليس تدغة، وهي المناسبة لسياق الكلام فإن ترغة من غمارة، وما أبعد تدغة عن غمارة، وكثيرا ما تلتبس تدغة بترغة. وعليه، فقول المصنف بعد ذلك: (ما ذكره شهدناه) هو من قبيل ما انتشر وظهر في كثير من البقاع ولم تسلم منه تودغة.

(3) المائدة: 44، 45، 47.

وهنا انتهى ما قصدناه، والحمد لله الذي بفضله ينال كل مسلم مأموله، وهو حسبي ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، اللهم إنا نسالك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة.

وافق الفراغ منه عشية الخميس الثالث والعشرين من جمادى الأولى عام أربعين ومائتين وألف، رزقنا الله خيره ووقانا شره آمين[1].

36- محمد المهدي بن العباس الناصري[2]

هو محمد المهدي بن العباس بن المهدي بن العباس بن إسماعيل الناصري، هذا نسبه كاملا إلى الجد الوافد على تودغة كما أثبته صاحب (طلعة المشتري)، ويعرف اختصارا بالمهدي ابن العباس الناصري، وشهرته بين الناس في تودغة باسم (سيدي بهْدي) بباء مفتوحة مرققة وهاء ساكنة. ولد بتودغة سنة: (1277هـ) أو قبلها بسنتين، وتوفي بتلوات وقد ناهز من عمره السبعين عاما ليلة الجمعة (19رمضان 1347هـ/ 28 فبراير 1929م)، وفي المعسول: (15 رمضان 1349/ 2 فبراير 1932م)، والأول أصح كما دلت عليه أوراق عديدة عثر عليها قيد فيها تاريخ وفاته[3]، وأما ما أشار الملازم الفرنسي بوربير في تقريره عن تودغة من أنه توفي سنة 1927م فبعيد.

---

(1) كتب بآخرها: انتهت المنظومة المباركة بحمد الله وحسن عونه، على يد كاتبها لنفسه ولمن شاء الله بعده المهدي بن العباس الناصري، نقلها من خط مؤلفها رحمه الله في: ثامن رمضان المعظم عام 1312هـ.

(2) اعتمدنا في هذه الترجمته بالدرجة الأولى على مؤلفاته الشخصية ورسائله المختلفة وروايات شفوية، سواء ما ظهر منها أو ما لم يظهر مما وصل إلى أيدينا، كل ذلك نشير إليه في المتن غالبا.

(3) من أقدار الله أن ضابط مكتب الشؤون الأهلية بتلوات في هذه الفترة (1927 - 1929) هو الضابط المشهور بدراساته وأعماله جورج سبيلمان.

أشهر مَنْ يُذكر من العلماء التودغيين، وخاتمة فقهائها المبرزين، وبقية العلماء الناصريين، وهاك بعض ما صدر في حقه من تحليات مما نطق به بعض ذوي المقامات، قال عنه أحمد بن خالد الناصري في (طلعة المشتري): (هو اليوم فقيه تودغة)، وقال فيه محمد بن الحبيب الركراكي في تاريخه: (الصنديد النجيب، أمير الشعراء الفصيح). وقال عنه المختار السوسي أثناء حديثه عن رحلته إلى المنطقة سنة 1957م: (الأديب الكبير)، وقال فيه أحمد المنصوري في (كباء البعنبر): (من أكابر العلماء المشاهير)، وقال فيه شعرا معاصره الشيخ الفقيه الأديب محمد المكي الدرعي:

إمامُ الوَرَى المَهدِيُّ مَنْ بَانَ فَضْلُهُ ... وأَشْرَقَ نُورُهُ كَشَمْسِ الظَّهِيرَةِ

تَضَلَّعَ فِي كُلِّ العُلومِ فَمَا لَهُ ... نَظِيرٌ يُسَامِيهِ فِي عِلمٍ وَحِكْمَةِ

تَفَرَّد بِالتّحقيقِ في غَرْبِنَا بِذَا ... قَدِ اعْترفَ الأَخْبارُ فِي كُلِّ بَلْدةِ

تَآليفُهُ تُنْبِيكَ عَنْ بَعضِ وَصْفِهِ ... فَفِيهَا لَدَى الإنْصافِ أبْلغُ حُجَّةِ

أقولُ وقولي صادقٌ: أنتَ جَامعٌ ... ألا أيُّها النِّحْريرُ كلَّ فَضيلةِ

فَمهْما حَللْتَ بلدةً زالَ نَحْسُها ... وحَلّتْ سُعودٌ دونَ شكّ ومِرْيَةِ

فَحُقّ لِـ (لتَلْوَةٍ) فَخارٌ بِشَخْصِكُمْ ... ونَشْرِ علومِكم وتَأسيسِ جُمْعةِ

فَفي شِبْهِ ذي الخِصالِ يَرغبُ عاقلٌ ... يَبتغي لهُ الأعمالَ مِنْ بعدِ رحلةِ

وفي مِثْلها الحديثُ أثبتَ غِبْطةً ... فَكنْ شاكرا لِما أُولِيتَ مِنْ نِعمةِ

فَنرجُو إلهَ العَرش يُبقيكَ لِلورى ... لإرشادِ جاهلٍ وتعليمِ سنّةِ

1- مشيخته العلمية

أخذ مبادئ العلم الأولى كعادة أقرانه ببلدته تودغة، متدرجا في مراتبه حتى حصل منه على قدر سني، يدل على ذلك شيوخه فيها وهم علماء كبار في بلدهم، ذكر منهم في فهرسته اثنين فقط ممن حصل لهم شرف الإسناد إلى إمام المغرب في

زمانه التاودي بن سودة المري، ويجتمع الإسنادان معا في تلميذه الشيخ عبد السلام الأزمي الفاسي، فأما **أحد** الشيخين فهو: **هاشم بن الحسين بن محمد المدغري** الذي أخذ عن القاضي محمد بن عبد الرحمن الحجرتي المدغري عن الشيخ عبد السلام الأزمي الفاسي عن التاودي، **والثاني:** ابن بلده **أحمد بن عبد الله التدغي** عن أبي علي الحسين بن محمد التدغي عن هاشم بن الحسن المدغري الحسني عن الشيخ عبد السلام الأزمي الفاسي عن التاودي.

ولما استوى سوقه في العلم، سمت همته لنيل أعلى مراتبه فشد الرحال إلى معينه بالمغرب الأقصى ومأوى شيوخه الكبار، فحط رحله برحاب القرويين العامرة عام (1314هـ) وقد تجاوز سنه الثلاثين من عمره، متقلبا بين حلقات شيوخها الأفذاذ، يستتم معارفه ويرتوي من أخرى لأول مرة، وقد ذكر من هؤلاء الشيوخ عددا هم من أعلام المغرب في زمانهم وهم:

1- محمد بن جعفر الكتاني الفاسي. 2- محمد بن رشيد العراقي الحسيني. 3- المهدي بن الخضر الوزاني العمراني. 4- سيدي محمد القادري. 5- أبو سالم عبد الله الكامل الأمراني العلوي الحسني. 6- أبو العباس أحمد بن محمد ابن الخياط الزكاري الحسني. 7- خليل بن الصالح الخالدي. 8- عبد الله بن إدريس البكراوي. 9- محمد بن التهامي بن المدني كنون. 10- محمد الفاطمي ابن إدريس الشرادي. 11- أحمد بن الطيب الفيلالي الفاسي. 12- عبد السلام اللجائي. 13- عبد العزيز بناني. وسترى عن كل واحد منهم نبذة عن حياته بعد حين.

فلما ملأ منهم الوطاب، وعمر الجراب، وبلغ مبلغ العلماء الأنجاب، رجع إلى بلدته تودغة وقد جمع إلى النسبة الكريمة والمحتد الأصيل نسبة العلم الشريف من معادنه، فصارت له بذلك بين الناس مكانة، وعند أولي الشأن عناية. وعرف ذلك من نفسه رحمه الله، ولم يرض بسواه مدة حياته حتى عانى منه ما عانى.

صار إمام أحد أعتق مساجد تودغة مسجد (امقورن) بقصره الذي نشأ فيه، وهو

المسجد الجامع[1]، إلى جانب زاوية جده إسماعيل الناصري، ونهض بتدريس العلوم الشرعية على عادة أشياخه وآبائه، وأفتى الناس في قضاياهم الخاصة والعامة ولم ينزو في محراب زاويتهم، بل انشغل بما يجري حوله من شؤون الناس العادية، بل وبما يجري من الناحية السياسية والعسكرية آنذاك، فكان طرفا ملاحظا ومؤرخا بل ومشاركا مؤثرا، له موقفه ونظرته التي دافع عنها ودعا إليها، تارة باللسان وتارة أخرى مستنجدا بالسنان.

فأما عن تدريسه فقد نقله إلينا بنفسه، وذلك في معرض الرد على بعض الفقهاء الذين تتلمذوا عليه، وأدت الأحداث التي شهدتها تودغة ساعتها إلى تباين المواقف بينه وبينهم، يقول واصفا اضطلاعه فيه وتمكنه، وتميز طلابه الواردين للأخذ عنه لنفاسة ما عنده، في أبيات تفوح اعتزازا وافتخارا:

أُعَلِّم علما للزّعانِف أبتغي ... ودادَهم والفوزَ معْ ذاك بالأجْرِ

فعَوّدتُ نفسي درسَ كُتْبِ أئمةٍ ... بِحزمٍ ونقدِ حسْب فهمي وما أدْري

فشمَّرْتُ للتدريس قَطعا لِعُلْقةٍ ... وأتْعبْتُ نفْساً في النِّظامِ وفي النّثرِ

ولمْ آلُ في التعليم جهدي وطاقتي ... ولم تَنْثَني معْ ذاك أيْدٍ عنِ البَتْرِ

فلَمّا تَبصَّروا وتاقتْ نفوسهم ... لإدراكِ عِلمٍ والحقائق بالأمرِ

تَزَبّبَ قبلَ الحِصرِمِ البعضُ مِنهم ... فباءَ بِبُعدٍ والسّماجةِ بالفَوْرِ

أهانوا بِشيْخ بلْ مُفيد لِجهلهم ... فهانوا وأُلبِسوا الهوانَ مدى الدّهْرِ

أعانوا عليهِ في النّوائبِ إذْ غدتْ ... تَموجُ هيِاجا كاضطراب لِمَا البَحرِ

ألا أبلغوا عنّي الزّعانفَ أنّني ... أفَدتُ وِدادا مِنْ جهابذةٍ غُرّ

أُدَرِّسُ درسا لا يُضاهى بِوقتنا ... وحولي ذوي التّحرير كالنّجوم الزُّهْرِ

(1) من أقدم مساجد تودغى، له ثلاثة أبواب رئيسة، في كل ناحية باب يأتي منه أهل القصر المقابل له، وفيه صلى المختار السوسي رحمه الله صلاة الجمعة في سفرته إلى المنطقة عام 1957م.

تـراهم إذا حـلَّ العـويصُ تـسابقوا إليـه بفهـمٍ والقريحـةِ والفِكـرِ
أولائـك جُلّاسـي وأهـلُ مجالـسي وأُنْسي ورُكني فـي المَياسِرِ والعُسرِ
بلَغْـتُ بحمـد الله أعلـى مكانـةٍ وحُـزتُ بفـضل الله فخـرا علـى فخـرِ
بقائـدنا الغِطريـفِ نِلـتُ مَزيّـةً وحَظّـا ورُتْبـا لا تُنـال لـدى الغَيْـرِ
أدامـهُ ربٌّ لِلمغـاربِ مَلجـأً وركنـا مَـشِيداً بالمهابـةِ والـسّتْرِ
فَمُتْ حاسدي بالغيظِ واطْلُبْ لدائكم دواءً فـلا يُلفـى لـدى الزّيـدِ والعَمـرِو
فـدَعوةُ شـيْخ لا تَطـيشُ سِـهامُها ولا سِيّما المظلومُ مِنْ عَبْـد أو حُـرّ
بـذا قالـتِ الأحبـارُ طُـرًّا وقـولهُم يُـصَدِّقُهُ التجريـبُ عنـدَ ذوي القَـدْرِ

ولما ختم مختصر خليل مع طلابه، قال بعض طلبته يحتفي بالمناسبة شعرا، جريا على عادة الطلبة في مناسبات ختم دراسة متن من المتون في الاحتفاء بنظم أشعار التهاني والشكر والثناء على الشيخ وجهوده، فيقول:

لـك الحمـدُ بَـدْءا واختتامـا يـا مولانـا علـى نِعـم لا تحـصى بالفعـل والقـول
ومـن أعظـم النعمـاء توفيـقُ ربِّنـا لخـتم أبـي الـضّياء خليـل المبجـل
فيـا لـه مـن تـصنيف قـد جمُعـت فيـه فـروع إمامنـا الجليـل المفـضل
ومُحيـي سـبيل العلـم بعـد دروسـها وبحـرٍ فيـاض زاخـر متبتـل
بنـوره يُهتـدى إذا الأرض أظلمـت علـى أهلهـا واحْلوْلكـت بتَبَتُّـلِ
فـلا زال للظمـآنِ يَـشْفي غَليلـه ولا زال لِلهفـان غيـثَ مُؤمِّـل
فهـو وَربِّ البيـتِ كنـزٌ مُطَلْسَم وعِـزَّ مؤيـدٌ مـا بعـده مِـنْ ذُل
فيـا أيهـا العطـشان إنْ رُمـتَ مَـشرَبا مِـن ابحـرِه فابـشر بفـتح معجـل
لقـد مَـنَّ مولانـا بـشيخ مـدرس كـريم الفعـال الطيـب الفـرع والأصـل
حميـد الـسجايا خاشـع متواضـع حليـف النـدى الـذي عليـه تعـولي
تقـاريره فـي كـل فـن مجيـدة فحـاز فخـارا بالـسماحة والبـذل

لـــه همـــة لـــم يؤتهـــا الله غيـــره	وجـاه بـديع الـسر فـي الـربط والحـل
فواصـــفه بالـــسوء أحمـــق جاهـــل	وحاسـده يـرى لـدى الـدرك الـسفل
ولـم لا يـسود النـاس وهـو مطهـر	مـن الغـي والأهـواء مـع سـنن الهـزل؟
وأســـأل ربـــي أن يطيـــل بقـــاءه	بأحـسن حـال رافعـا ظلمـة الجهـل
فيـا رب ارزقـه معونتـك الحـسنى	وحطه بعين الحفظ واخصصه بالفضل
وقارئـه الخـل الحبيـب الممجـد[1]	الأديـب الأريـب الـوافر العلـم والعقـل
أبـو العبـاس التيجـاني مـشربه الـراوي	لـه الفـضل فـي أصـل أصـيل مؤثـل
بمـــراكش اســـتهل نجمـــه زاهـــرا	فشعـــشع ضـــوؤه بتدغـــة منهـــل
فيـا أيهـا الطـلاب طـلاب شـيخنا	علـيكم بـشكر الخـالق الـصادق القـول
لتـزدادوا مـن خيـر الكـريم وبـره	ويزكـو الـذي أنـتم عليـه مـن الـشغل
فـدوموا علـى هـذا وشـدوا وثاقـه	وأوصـوا بـه مـن تبتغـون مـن الأهـل
جزيـــت بخيـــر ياحاضـــرا لختمنـــا	وحـزت بـذاك شـدة الوصـل بالحبـل
ســـلام علـــيكم شـــرف قـــدركم	ودامـــت علـــيكم نعـــم بـــلا قـــل
فمـــا طابـــت الأيـــام إلا بـــذكركم	فـأنتم ضـياء العـين بالعقـل والنقـل
فمـــدوا أكفكـــم إليـــه وســـارعوا	وقولـــوا إلهنـــا أدم عقـــدة الـــشمل
بطـــول لعمـــر شـــيخنا وملاذنـــا	سـليل لجعفـر القريـب مـن الرسـل
فهـذي بنـات الفكـر أبكـار قـد بـدت	بتفـــريج قلـــب طيـــب متوســـل

مـن تلامذتـه: العلامـة الحبيـب أوحـسو التـدغي، والحبيـب بـن أحمـد التـدغي، والفقيه أحمد بن محمد الخلوفي السرغيني المراكشي، وغيرهم كثير.

---

(1) أبو العباس أحمد بن محمد الخلوفي السرغيني المراكشي ممن لزم الالشيخ في تودغة وأخذ عنه.

فهرسة شيوخه المسماة
"حلة الأشياخ وزينة الأكابر الرساخ"

قد ذكرنا أنه أخذ العلم في تودغة قبل أن يرحل إليه بفاس، وقد ألف رحمه الله نظما من الرجز في 146 بيت، وقفنا عليه في مخطوطة مصورة من تسع صفحات بخط يده، كما هو واضح من مقارنته بنصوص أخرى كتبها بيده، اشتمل على فهرست شيوخه الذين أخذ عنهم في المرحلتين معا مرتبة على حسب مكان الأخذ، وهو من نوع الفهارس المنظومة كفهرست أبي سالم العياشي وابن عبد السلام القادري الفاسي وغيرهما خلافا للأكثرين الذين جعلوها نثرا، وفيها يقول:

وحُلَّـــةٌ لـــشيوخِ العلـــم مـــستنَدٌ   للأخذِ عن كلِّ ذي ســـرٍّ، وذي شِيَم

وقد اقتصر فيه على ذكر أسماء الشيوخ والثناء عليهم، وأوجز في شأن مرحلة التعليم بتودغة فلم يعرفنا بمبدإ تلقيه ومن لقنه في الصغر، وإنما ذكر شيخين جليلين فقط تميزا بسندهما في العلم المتصل بالشيخ التاودي كما قد بيناه، ولما ذكر شيوخه وهم فطاحل العلماء لم يُشفِع ذلك بذكر العلوم التي درسها على كل واحد منهم كما جرت عادة كثير من العلماء في ذكر مشيختهم، وإن كنا قد نعرف ذلك اعتمادا على ما يأتي في تراجمهم من ذكر ما اختصوا به في التدريس، وها نحن نورد هذه الفهرسة مع تعريف موجز بأعلامها في هوامش الصفحات، قال رحمه الله:

هذه حلة الأشياخ وزينة الأكابر الرساخ لمؤلفه المهدي الناصري وقاه الله شر الحسود المماري:

مقدمة في ذكر سبب التأليف وما للعلماء من التشريف[1]

حمــدا لمــن أهَّــل مــن قــدِ اصــطفى   للأخــذ عمَّــن حــاز علمــا واقتفــى

---

(1) لم يضع لمقدمته عنوانا فاقترحنا هذا العنوان.

ثــــمَّ صـــــلاتُه علــــى محمـــــدِ والآلِ والـــصَّحْبِ وكـــلِّ مُقْتــدي
وبعـــدُ فالقَـــصد بهــــذا الـــنظمِ طريــــقُ أخـــذِنا لهـــذا العلـــمِ
عـــن الثِّـــقات الكُبَـــرَا الأخيـــارِ الحـــــائزين رُتَــــبَ الأبــــرارِ
سـبحان مَـنْ فَـضّل طَالبـي العلـومْ بالاختــصاصِ بالمعــاني والفُهُــومْ
خَـــوّلهم ســــوابغَ النَّعمــــاءِ أَوْردهــــم مــــواردَ الـــصّفاءِ
جعلهـــم مَنْبَـــعَ حِلـــم وكـــرَمْ أَرشـــدهم طريـــقَ سِـــرٍ وحِكَـــمْ
إذ كـــانوا حـــاملي شـــريعةِ النَّبِـــي والـــوارثينَ سِـــرَّ مَـــنْ قــدِ اجْتُبِـــي
العلمَـــا قـــدوتُنا فــــي الـــدينِ آباؤنــــا فــــي الفهـــم والتلقــينِ
فلَهـــمُ الفـــضلُ علينـــا والمِـــنَنْ مُـــستوجِبين للثّنـــاء فـــي العَلَـــنْ
إذْ مهَّـــدوا العلــــومَ والعِرفانـــا وبيّنــــوا الحُجـــــةَ والبرهانــــا
وأشـــرقتْ مِـــنْ أُفْقِهـــم أنـــوارُ واتّـــضحتْ مِـــنْ علمهـــم أسـرارُ
ســـمّيتهُ بِــــ: (حُلـــة الأشـــياخِ وزينــــة الأكــــابر الرُّســـاخِ)
يـــا ربِّ مُـــنَّ بِالرّضـــى والرّضـــوانِ وجـــازِ كُلّهــــم بِــــالغفرانِ

فصل في بيان أشياخنا وأشياخهم إلى التاودي

أخذتُـــــه بتُدغــــةَ المَــــصونهْ عـــنْ جِهبـــذٍ كانـــت لـــه المعونـــهْ
نَجْـــلُ الحُـــسيني الهاشـــمي الربـــاني المَـــدغري[1] سُـــكنى أخـــو العرفـــان

(1) هاشم بن الحسين بن محمد من علماء تافيلالت أخذ بفاس ثم انتقل إلى تدغة تولى بها القضاء وتوفي ببلده مدغرة 1320هـ، أخذ عنه ولد محمد. إتحاف ذوي الرسوخ: 166.

حَبــــر مُحقـــــق عظـــــيم الهِمَـــــةِ ذو الـــسَمتِ والثَّبــات فـــي المُلِمّـــةِ

فَخــــم مُفخّـــــمٌ إمـــــامُ العـــــصر بـــــل هـــــو عَيْبــــة التُّقـــى والـــسّرِّ

أجل شيوخ شيخنا القاضي مولاي محمد ابن عبد الرحمان[1]

عـــن الـــشيوخ الكمـــل الأيمـــة ذوي المفـــاخر ورفـــع الهمـــة

أجلهـــم قـــدرا فريـــد المنـــصب محيـي العلـوم فـي جميـع المغـرب

غطريفنـــا ابـــن عمـــه العلامـــه عمـــدة وقتـــه الفهامـــة

منبـــع كـــل كـــرم ذو الفـــتح ســـيدنا محمـــد بـــالفتح

شـــريف كـــل عـــالم محقـــق عـــالم الأشـــراف وتـــاج المفـــرق

نعـــم الإمـــام المـــاهر النـــوراني محمـــد ذو الفـــتح والعرفـــان

صـــدر الـــصدور الأوحـــد النبيـــل وحيـــد دهـــر مـــا لـــه مثيـــلُ

قاضـــي قـــضاة العـــدل باتفـــاق شـــيخ الجماعـــة علـــى الإطـــلاق

ينـــال مـــن جـــواره الإعظـــام ويكـــسب العـــز والاحتـــرام

فـــي علمـــه وعدلـــه لـــم يختلـــف اثنـــان هـــاك يـــا أخـــي مـــا وصـــف

(1) قاضي الجماعة بفاس أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الفلالي المدغري: كان آية في الحفظ والإتقان والتحرير العجيب والتبيان فقيها فاضلا ماجدا كاملا، أخذ عن الشيخ محمد ابن عبد الرحمن الفلالي وغيره، وعنه محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني والشيخ المهدي الوزاني وغيرهما، وحج ولقي أعلاماً، ولم يحفظ عنه منذ ولي القضاء إلى أن توفي أنه حابى في دعوى إلا أنه كان لا يبرم الأحكام، بل لا يزال يردد النازلة إلى أن يتصالحا أو يذهبا مع معرفته بظاهر الحكم، وتضلع في علم النوازل. توفي صاحب الترجمة سنة 1299هـ. شجرة النور الزكية: 1/ 580. سلوة الأنفاس: 1/ 205.

شيخ الشيوخ سيدي محمد بن
عبد الرحمان الحجرتي المدغري[1]

عـــن المـــشايخ ذوي الإتقـــان عمدتـــه ابـــن عابـــد الرحمـــان
الحجرتـــي المـــدغري فـــي الأصـــل يـــا لـــه مـــن مهـــذب فـــي النقـــل
يغـــوص عـــن درر علـــم ذو اللـــسن بدرســـه يـــسلو الغريـــب عـــن وطـــنْ
مجلـــسه مجلـــس علـــم وحكـــم تحريـــره تبـــري العليـــل مـــن ســـقم
تلمـــذت لـــه فحـــول الـــصدق إذ عـــاينوا الحـــق بعـــين الحـــق

الشيخ سيدي عبد السلام الأزمي الفاسي[2]

عـــن شـــيخه المحقـــق الهمـــام الأزمـــي عابـــد الـــسلام
أكـــرم بـــه مـــن حـــائز التحقيـــق مـــورث العلـــوم بالتـــدقيق
فـــي وقتـــه لـــيس لـــه نظيـــر غـــضنفر قلمـــس خبيـــر
الكـــف عـــن أوصـــافه إنـــصاف وعـــدها بالحـــصر الاعتـــساف
لأنـــه خزانـــة الأســـرار وعيبـــة الحكـــم والأنـــوار

---

(1) أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الفلالي الحجرتي: الإمام المشارك النظار، فارس الفقه المغوار، ومن انتهت إليه رياسة العلم بهذه الديار، شيخ الجماعة بفاس ومفتيها، وزاهدها وناشر العلم في نواديها، أخذ عن عبد السلام الأزمي، وبدر الدين الحمومي، وأبي عبد الله الزروالي، والشيخ الطيب بن كيران، وسيدي حمدون بن الحاج وغيرهم، وعنه أخذ سيد أحمد بن الخياط، وسيدي جعفر الكتاني وغيرهما وجل علماء المغرب، لكونه طال عمره، وانفرد برياسة العلم، عرض عليه القضاء بفاس والإمامة في مسجد الأبارين، فأبى لورعه، وله حواش على الخرشي وغيرها. توفي سنة: 1275. إتحاف المطالع:1/ 322، الفكر السامي: 2/ 359.

(2) تقدم التعريف به في هامش سابق.

شيخ أهل المغرب قاطبة الإمام التاودي المري[1]

عــن شــيخه شــيخ المــشايخ بفــاس   حجــة كــل عــالم بــلا التبــاس

مــدون الفــروع والأصــول   محــرر النقــول بــالمعقول

مــصنف الحواشــي والــشروح   وصــاحب الإمــداد والفتــوح

قــدوتنا الــسميدع المــشهور   عليــه فتيــا مغــرب تــدور

كــم ألــف المبــرز المبــرور   كــم حــرر المــدقق الجــسور

كــم بــث مــن علومــه الزكيــة   كــم أبــدا مــن أســراره الذكيــة

وكــم لهــذا الــسيد الجليــل   مــن العنايــة بــلا تفــصيل

مقامــه بفــاس ذو اشــتهار   مؤمــل لمقــصد الــزوار

محتــرم مــن أعظــم المــشاهد   مــأوى لــذي عبــادة مجاهــد

تتلــى بــه الأحــزاب والأوراد   وترتجــى مــن عنــده الأمــداد

جميــع مــن بغربنــا فــي وقتــه   تلميــذ حبرنــا فثــق بنقلــه

أكــرم بــه مــن عــيلم مــلآن   فــي دهــره لــيس لــه ثــان

حــدث عــن البحــر ولــيس مــن حــرج   وليــت حبرنــا فــدي بــالمهج

محمــد التــاودي ذاك المــري   نجــل الأكــارم البــدور الغــر

---

(1) أبو عبد الله محمد التاوُدي بن الطالب بن محمد بن علي بن سُودة المرِّي الفاسي المنشأ والدار، فقيه المالكية، وشيخ الجماعة بفاس، انتهت إليه رياسة العلم في المغرب إقراء وإفتاء، وانفرد بعلو الإسناد حتى صار شيخ الشيوخ له تآليف عديدة منها: "زاد المجد الساري" وهو حاشية على البخاري في أربعة أجزاء، وحاشية على شرح الزرقاني لمختصر خليل، سماها: "طالع الأماني"، و"شرح على التحفة لابن عاصم"، و"شرح الزقاقية"، و"شرح الأربعين النووية"، و"شرح جامع الشيخ خليل"؛ وغير ذلك. توفي في: 1209هـ. الفكر السامي: 2/ 350 الإعلام بمن حل بمراكش: 6/ 136.

فصل في ذكر أشياخنا وأشياخهم من سند عال إلى التاودي المذكور

ثـــم بهـــا عـــن أحمـــد التـــدغي[1] ذي الخلـــق المرضـــية الـــسري
مـــــرابط نجـــــل عبيـــــد الله أكـــــرم بهـــــا مـــــن حـــــافظ أواه

شيخ الجماعة سيدي الحسين بن محمد التدغي[2]

عـــن ملحـــق الأحفـــاد بالأجـــداد محيـــي دروس العلـــم ذو الرشـــاد
شـــيخ الـــشيوخ جهبـــذ الزمـــان مـــن دأبـــه التـــدريس ذو العرفـــان
مختـــصر الـــشيخ خليـــل يختمـــه مدتـــه فـــي كـــل عـــام يلزمـــه
نيـــف وأربعـــين ختمـــة أتـــى علـــى الـــذي حققـــه مـــن أثبتـــا
ولـــم يـــدع بابـــا مـــن الأبـــواب إلا وبثـــــــه ذوي الألبـــــــاب
كـــذا فنـــون العلـــم والتفـــسير قررهـــــا بالجـــــد والتحريـــــر
حتـــى تخرجـــت بـــه جماعـــه مـــن كـــل ذي درايـــة نفاعـــه
فقيـــه تدغـــة أبـــو علـــي حـــسينهم يـــا لـــه مـــن مرضـــي
شـــهرته لنـــا بهـــا كفايـــه ونَعمتـــه مـــا لـــه مـــن نهايـــه

شيخه المولى هاشم بن الحسن المفتي المدغري الحسني[3]

أخـــذ عـــن مـــشايخ عديـــدة أشـــهرهم ذو الفطنـــة المزيـــدة

---

(1) لم نقف على ترجمته.

(2) تقدمت ترجمته.

(3) الذي في أسانيد العلامة الحسين التدغي بحسب ما وقفنا عليه - وهي كثيرة - كما ذكرها العلامة محمد بن الحبيب أن شيخه الذي أخذ عنه هو ابن المذكور في الفهرس المسمى عبد الرحمن بن هاشم، وليس هاشما، وقد ذكرناهما معا في ترجمة شيوخه لاحتمال أن يكونا أخذ عنهما.

المـــدغري العلامـــة الـــشريف   هاشـــم ابـــن الحـــسن العفيـــف
مفتـــي الأنـــام بؤبـــؤ جحجـــاح   مفتـــاح كـــل مـــشكل وضـــاح
محـــرز خيـــر كرمـــا وعلمـــا   للـــــه دره أبـــــا وأمـــــا
الـــدر مـــن معدنـــه قـــد يلـــتمس   والنـــور مـــن مـــشكاته قـــد يقتـــبس
والفـــرع تـــابع للأصـــل ثابـــت   فـــاجهر أخـــي بـــذا ولا تخافـــت
قـــد كـــان فـــي مـــدغرة الكمـــال   والأصـــفياء الأتقيـــا الفـــضال
ســـقي مـــن شـــربها كؤوســـا   أضـــحى بهـــا الفيـــاض والقاموســـا
مـــدغرة بحـــر لـــسر قـــدما   وواد نـــور بـــالعلم خـــضما
مـــأوى الأكـــارم بنـــي الرســـول   ينبـــوع علـــم مـــسكن الفحـــول
أكـــرم بهـــا مـــن أرض علـــم وعمـــل   حبـــذا فـــائز بمنتهـــى الأمـــل
ثـــم تلمـــذ بفـــاس للإمـــام   الأزمـــي ســـيدي عابـــد الـــسلام

فصل في بيان أخذنا بفاس عن أشياخها وبيان أسمائهم

ثـــم أخذتـــه بفـــاس عـــن شـــيوخ   في عام (دي)[1] بل هم أعلام الرسوخ

سيدي محمد بن جعفر الكتاني الفاسي[2]

أولهـــم هـــو الإمـــام المـــاهر   العلـــم المفـــرد ذو المـــآثر
محمـــد بـــن جعفـــر الكتـــاني   أعظـــم بـــه مـــن ذي النـــدى الهتـــان

(1) (دي) في حساب الجمل تعدل 14 والمقصود سنة 1314هـ.

(2) أبو عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني الحسني الفاسي، من مشاهير علماء المغرب وكبارهم، مؤرخ محدث. رحل إلى الحجاز مرتين، له نحو 60 كتابا، منها "نظم المتناثر في الحديث المتواتر" و"الدعامة في أحكام العمامة" و"الرسالة المستطرفة" وغيرها، قال عنه في معجم الشيوخ" آخر مثال رجال العلم والدين السابقين" توفي في: 1345هـ. الفكر السامي: 4/ 141 وشجرة النور: 436 معجم الشيوخ: 65.

أجلهم قدرا وتقوى وعمل علما وحلما وعفافا ونفل
مؤلف التآليف الحسان مشيد أقدار ذي العرفان
مجود الإقراء ذو التحرير بنغمة طلاوة التعبير
محتميا عن الدنايا في الأمور ذا همة نزاهة خير خبير
يمزج درسه بوصف الرجال وسيرة الفضل من ذوي الوصال
قد خصه المولى بالامتنان إذ جاور المنتخب العدنان

القاضي سيدي محمد بن رشيد العراقي الحسيني[1]

ثم قاضي العليا إمام ماهر ليث ليوث الله في الدفاتر
محمد الحسيني العراقي محقق ثبت بالاتفاق
بحر فرات فائق الأقران شهم قرم يَهْفوف[2] بياني

المفتي سيدي المهدي بن الخضر الوزاني العمراني[3]

ثم مدون الفروع والأصول أعلم أهل وقته بلا فضول

(1) محمد بن رشيد العراقي الحسيني تولى القضاء خمسين عاما بطنجة ثم عين قاضي الجماعة بفاس، له تآليف، منها "شرح على الهمزية "و "رسالة في الإمامة الكبرى " وغيرها، توفي عام: 1348هـ. سل النصال: 56. معجم الشيوخ: 75.

(2) الحديد القلب.

(3) أبو عيسى المهدي بن محمد بن محمد بن الخضر العمراني، نسبا الوزاني أصلا الفاسي دارا وقرارا، هو الرجل فقها وفروعا، وأحفظ أهل وقته للمذهب المالكي. علم من الأعلام البادية، وشهاب من الشهب الهادية، تواليفه كثيرة منها "المعيار الكبير" و"المعيار الصغير"، وجل المفتين والقضاة يلجأون إلى هذه التواليف. وله "حاشية على شرح مصطلح الحديث"، وأخرى على "شرح الجمل"، وأخرى على "شرح الآجرومية"، وأخرى على "شرح الاستعارة"، إلى غير ذلك. وقد ملأت المغرب فتاويه ودروسه وطروسه، وانتفع به خلق كثير، توفي سنة: 1342هـ. الفكر السامي: 2/ 379.

نجـــل الأكـــارم بنـــي عمـــران فقيـــه قطـــر المغـــرب الـــوزاني
كـــم حقـــق الجهبـــذ مـــن فتـــاوى كـــم كـــشف الغمـــة فـــي الـــدعاوى
كـــم زيـــف الأقـــوال مـــن جهـــال كـــم أســـس الأنقـــال للفُـــضّال
كـــم لـــه مـــن حـــل عـــويص مـــشكل كـــم قـــرب البعيـــد للمؤمـــل
كـــم حيـــرة أزاحهـــا عـــن عقـــل كـــم نعمـــة خولهـــا ذو الفـــضل

الشيخ البركة سيدي محمد القادري[1]

ثـــم محقـــق جليـــل القـــدر شـــيخ الجماعـــة منـــيح الـــسر
مهـــذب الـــسر كثيـــر الـــصفح عُـــدتنا محمـــد بـــالفتح
مـــن ولـــد الـــسيد عبـــد القـــادر الجيلنـــي صـــاحب المـــآثر
كـــم لـــه مـــن تـــآليف مفيـــدة كـــم لـــه مـــن فوائـــد عديـــدة
كـــم طالـــب ســـقاه مـــن رحيـــق فحـــاز حظـــه مـــن التحقيـــق
كـــم دَغْفَـــقَ[2] الأســـرار للظمـــآن كـــم أدســـما الفـــارغ عـــن عيـــان
كـــم لـــه مـــن جهابـــذ التلامـــذ شـــبابا أو كهولـــة المـــشاوذ[3]

---

(1) أبو عبد الله محمد فتحا بن قاسم القادري الحسني الفاسي، الإمام النحرير النقاد، ترك الدرس بعض أعوام من آخر عمره إلا قليلا لضعف أصابه في جسمه، له "رفع العتاب والملام عمن قال إن العمل بالضعيف حرام" وتأليف في إيمان المقلد وآخر في السدل وغير ذلك. قال عبد الحفيظ الفاسي في معجم شيوخه: "انتهت إلية الرياسة العلمية في وقته"، توفي سنة 1331هـ أو 1332هـ. الفكر السامي: 3/ 378 معجم الشيوخ: 46.

(2) دغفق الماء:صبه صبا كثيرا.

(3) جمع مِشوذ وهو العمامة.

المولى الكامل الأمراني[1]

ثـــم إمـــام كامـــل العرفـــان شـبل الليـوث مـن بنـي الأمرانـي
كـريم الأصـل والفعـال البَهْـزَرُ[2] سـمحا سـخي الـنفس كـان الجعفـر
مجلـسه فـي الـدرس نعـم المجلـس مـا لـه شـبه فهـو فيـه الحَلْـبَس[3]
لـــم يـــشتغل بالـــصفرا والبيـــضاء عـــن بـــث علمـــه بنـــي الغبـــراء
ولـــم يعقـــه قربـــه مـــن الأميـــر عـــن درس علـم الكبيـر والـصغير

المولى أحمد بن الخياط[4]

ثـــم إمـــام الحـــزم ذو احتيـــاط شـــبل الهزابـــر بنـــو الخيـــاط
أكـــرم بأحمـــد إمـــام الفـــضل ممـــن لـــه درايـــة فـــي النقـــل
بفـــضله قـــد ســـارت الرفـــاق لـــذكره قـــد ازدهـــى الآفـــاق

(1) أبو سالم عبد الله الكامل الأمراني العلوي الحسني: رضع ثدي المعارف على الشيخ كنون الكبير، وطبقته، فكان من الناجحين في حلبته، إلى أخلاق عاليه، ونفس في المكرمات سامية، وتحقيقات للمسائل العلمية بادية، اقتطفته المنون كهلا سنة: 1321هـ. الفكر السامي: 2/ 371، معجم الشيوخ: 196.

(2) البهزر: الحصيف العاقل الشريف.

(3) الحلبس: الشجاع أو الحريص الملازم للشيء.

(4) أبو العباس أحمد بن محمد بن الخياط الزكاري الحسني الفاسي الدار، المشار إليه في المغرب بإتقان العلوم والفتوى والعضو في الشورى، ذو التواليف النافعة، والتلاميذ المالئة للأقطار الشاسعة، له تصنيف مختصر في التوحيد، وآخر في القلم الفاسي المصطلح عليه عند الموثقين، وحواش على شرح المصطلح الحديثي، والفهرس الصغرى والكبرى، وغير ذلك. قال عنه في معجم الشيوخ: "آخر الأعلام بمدينة فاس" توفي عام 1343هـ. الفكر السامي: 2/ 381 معجم الشيوخ: 99.

ســـيمته التحـــري والإنـــصاف تـــدين قـــد زانـــه العفـــاف

بحـــر محـــيط دأبـــه انهمـــار مِـــن موجـــه كرعـــت الأخيـــار

لعـــزه خـــضعت الرقـــاب لعلمـــه ذهلـــت الألبـــاب

كـــم لـــه مـــن مـــدرس تلميـــذ كـــم جـــالس فـــي درســـه أملـــوذ

المولى خليل بن الصالح الخالدي[1]

ثـــم الإمـــام القعـــشم الغطمطـــم[2] أنحـــى نحاتنـــا الهمـــام الأفخـــم

أبـــو المـــودة أبـــو الـــضياء خليـــل بـــن صـــالح الآبـــاء

علومـــه مـــشهورة جليـــه أوصـــافه عزيـــرة نميـــه

المولى عبد الله بن إدريس البكراوي[3]

ثـــم مجـــود حـــديث المـــصطفى ضـــبطا ومـــسندا ومعنـــى قـــد خفـــا

ملاذنـــا العلامـــة البكـــراوي متحـــف قاصـــد لمـــا هـــو نـــاوي

كـــم غـــامض بينـــه فـــي الـــدرس كـــم نعمـــة خولهـــا للجِلـــس

---

(1) خليل بن صالح الخالدي: قاضي مكناسة كان فقيها نحويا آية في صناعة التدريس، له مجلس بالقرويين يحضره نجباء أعيان طلبة وقته، تولى نيابة القضاء بمقصورة القرويين، دوّن رحلة الحسن الأول إلى تافيلالت في نظم أسماه (رحلة تباشير الفرح الخزانة الحسنية رقم: 12035) توفي سنة 1326هـ، إتحاف أعلام الناس: 3/ 34 أعلام المغرب: 8/ 2853.

(2) القشعم: الضخم. الغطمطم: بحر غطمطم: متلاطم الأمواج.

(3) أبو سالم عبد الله بن إدريس الودغيري الفجيجي: من أكبر علماء فاس وأسماهم فخرا، مشاركا في كثير من العلوم، مبرزا في الفقه والحديث والتاريخ والأنساب، كان من جملة من اختارهم الحسن الأول لمجلس الشورى العلمي للقرويين، توفي في: 1311هـ. معجم الشيوخ: 290، الإعلام بمن حل بمراكش: 9/ 339.

سيدي محمد التهامي بن المدني كنون[1]

ثـــم محمـــــد التهــــامي كنـــون فـــي درســـه ســـر غزيـــر مكنـــون
فهـــو مـــلاذ الوقـــت شـــيخ المغـــرب حـــائز أعلـــى رتـــب والمنـــصب
مجلـــس درســـه بفـــاس مـــشتهر جليـــسه يفـــوز حقـــا بـــالوطر
كـــم قيـــد الـــشريد باتفـــاق كـــم كـــرر التقريـــر للـــضعاف

سيدي محمد الفاطمي بن إدريس الشرادي[2]

ثـــم خفيـــف الـــروح ذو الأيـــادي جهبـــذنا الفهامـــة الـــشرادي
الفـــاطمي إمامنـــا الهِرمـــاس[3] فـــي عـــدة الفنـــون أو نـــسطاس[4]
مفـــوه وَذْقٌ حديـــد القلـــب مهـــذب مزيـــل كـــل ريـــب
علامـــة الزمـــان أوحـــد الـــورى هـــازم جـــيش الجهـــل ضـــرغام الـــشرى
مذهبـــه الـــورع والتوقـــف فـــي كـــل شـــيء زانـــه التعفـــف
فخـــم معظـــم ســـليم الـــصدر ذو الـــسمت والإنـــصاف غَمـــر

---

(1) أبو عبد الله محمد التهامي بن المدني بن علي ابن عبد الله كنون: كان عالما حافظا مشاركا في كثير من الفنون، له تآليف عدة منها: "نصيحة المؤمن الرشيد في الحض على تعلم عقائد التوحيد" و"الأربعينات الحديثية" في موضوعات مختلفة و"أربعون حديثا في فضل الحج" و"أقرب المسالك" تعليق على الموطأ، و"مناهل الصفا في حل ألفاظ الشفا" توفي في: 1331هـ، معجم الشيوخ: 127، الأعلام للزركلي: 6/ 65.

(2) لعله الفقيه العلامة سيدي محمد الفاطمي بن محمد الشرادي: تولى قضاء بعض مدن فاس، له: "النسيم الصيفي والروح اليوسفي" و"حاشية على الشيخ التاودي على التحفة" و"شرح على ألفية بن مالك" و"تأليف في الذكاة" و"تسهيل النجعة بمراتب الشفعة" و"وردة الدهان في أحكام الرهان". توفي سنة: 1344هـ. سل النصال: 35.

(3) الهرماس: ولد النمر.

(4) النسطاس: السهم أو ريشه.

سيدي أحمد بن الطيب الإراري الفيلالي ثم الفاسي[1]

ثـــم فقيـــه محـــرز الأســـرار أحمـــــدنا الطيـــــب الأراري
هـــو قلَمّـــس[2] أديـــب العـــصر أو كوكـــب بـــل هـــو عـــضب يفـــري
بحـــر غطمطـــم يفـــور بـــالحكم سـلس العبـارة حلـو مـن طِـرم[3]

المولى عبد السلام اللجائي[4]

ثـــم إمـــامُ عفـــةٍ قُـــدموس شـــمس عفـــة هـــو القرعـــوس[5]
ملاذنـــا اللجـــائي عبـــد الـــسلام بـــل هـــو نبـــراس بلجـــة الظـــلام
أعظـــم بـــه مـــن عـــالم نفاعـــه عليـــه قـــد تخرجـــت جماعـــه

الفقيه المعقولي الصوفي سيدي عبد العزيز بناني[6]

ثـــم إمـــام النقـــل والمعقـــول مبـــدد الأوهـــام بالنـــصول

---

(1) أبو العباس، له كتاب "الغنية الفريدة" ألفية من بحر الرجز تكلم فيها على الطريقة الكتانية ورجالها. وشرح على "الخزرجية" توفي سنة: 1324هـ. إتحاف المطالع: 1/ 370. دليل مؤرخ المغرب الأقصى: 294.

(2) بَحرٌ قَلَمَّس، أي زاخر والقلمسُ أيضا السيد العظيم.

(3) الطِرم: العسل أو الزبد.

(4) علامة مشارك مطلع له تآليف منها "الدرر السنية والمفاخر العالية في الدولة العلوية" توفي سنة: 1332هـ. دليل مؤرخ المغرب الأقصى: 98.

(5) القدموس: السيد العظيم. القرعوس: الكبش القرعس: العظيك.

(6) أبو رافع عبد العزيز بن محمد بن أحمد بن الصالح بناني، ولي القضاء بمحكمة الرصيف بفاس وأعفي. وعين نائبا لرئيس المجلس العلمي بها إلى أن توفي. له كتب منها "إبداء التحرير في أحكام التصوير" و"إشارات الصوفية ما يقبل منها وما يرد" و"القول المحقق في تحرير طلاق العوام المطلق" توفي في: 1347هـ. معجم الشيوخ: 211، الأعلام للزركلي: 4/ 27.

مـــدرس التلخـــيص بالوقـــاد	معطـــاء الأســـرار ذوي الرشـــاد
هَتـركُ[1] الأسـفارِ مجـد فـي العمـلْ	حيـدرة الفنـون بـل خيـر بطـل
مجـــود المنطـــق والبيـــان	ومـا فـي ذا مِـن جملـة المعـاني
مهـــذب الأخـــلاق بالـــصيام	ذا عفـــة وهمـــة قيـــام
يَـــمٌّ ولكـــن مالـــه مـــن ثـــاني	فـي عـصرنا قـرم عظـيم الـشان
دُمـــتَ رفيـــعَ القـــدر والبنيـــان	عبـــدَ العزيـــز شـــيخنا البنـــاني
بلغـــك الله كـــريم الأصـــل	غايـة مـا أرجـو لكـم مـن فـضل
هـــذا الـــذي إيـــراده أردنـــا	والحمـــد لله علـــى مـــا نلنـــا
ثـــم صـــلاته علـــى العـــدناني	مـــا تليـــا آيـــات ذا القـــرآن

2- آثاره العلمية

كان العلامة المهدي الناصري ذا يراع سيال، أجرى بنات فكره نثرا وشعرا حتى وصفه من وصفه بالأديب، وأغلب ذلك في ترجمة واقعه الذي عاش فيه من الناحية السياسية والعسكرية، وتأريخ لأحداث عاينها عن قرب، بعض آثاره موجود وبعضه الآخر مفقود، خاصة ديوانه الشعري الذي لم يبق فيه إلا قصائد ومقطعات متناثرات، وضاعت أيضا كثير من مراسلاته التي نظن أنها تحمل أهمية كبيرة، فمن آثاره:

- (**نعت الغطريس الفسيس هيان بن بيان المنتمي إلى السوس**) وهو أشهر تآليفه، كتبه مؤرخا لأحداث الثائر امبارك التوزونيني، وهو المقصود بوصف الذم (الغطريس الفسيس هيان بن بيان)[2] وفي قائده بلقاسم النكادي في منطقة

(1) الأسد.

(2) الفَسِيس والفسفاس: الرجل الأحمق، وهيَّان بن بيَّان: كناية عمن لا يعرف ولا يعرف أبوه.

تافيلالت وتودغة، وما جرى بينه وبينهما من مراسلات وردود، يستطرد فيه كثيرا بأخبار الأدب وأشعاره، وتبرز قيمة هذا الكتاب تاريخيا إذ يعد وثيقة أساسية ورواية من شاهد مؤثر لفهم تلك الأحداث مما لا يوجد في مصدر آخر. والكتاب طبع أخيرا بتحقيق أحد حفدة المؤلف[1].

- (**الرحلة الزاهرة في أخبار درعة العامرة**) منظومة تائية من بحر الطويل في 315 بيت، على غرار بعض المنظومات الرحلية التي نظمها أصحابها، خاصة نظم الغالي بن سليمان الذي نظم فيه رحلة الحسن الأول إلى تافيلالت وتودغة، فهو يحاكيه وزنا وقافية[2]، ويؤرخ المهدي الناصري في نظمه هذا لأحداث حركة القائد حمو الكلاوي (محمد بن محمد المزواري) لمنطقة درعة، ابتداء من خروجه من تلوات في: (16 ذي الحجة 1342هـ/ غشت 1923م) واصفا فيها وقائع الرحلة ومساراتها من تلوات إلى تنزولين، مرورا بقصبات تمداخت وآيت بنحدو وتاوريرت وأكدز وتامنوكالت وتانسيخت ثم تنزولين، ومنها قفل راجعا من حيث أتى، حتى إذا بلغ تمنوكالت سلك فجاج صاغرو إلى سكورة ثم تندوت ثم قصبة تاوريرت، ومنها إلى تلوات التي دخلها في: (12 جمادى الأولى 1343هـ/ نونبر 1924م). والرحلة طبعت على الحجر في حياة صاحبها سنة (1343هـ/ 1925م)، وأعيد طبعها بعد تحقيقها من طرف بعض الباحثين، يقول في مطلعها:

لَكَ الحَمدُ يا مولايَ فِي كُلِّ حَالةٍ ... على نِعمةٍ عَمَّتْ مَقَامِي وَرِحْلَتِي

وأزكى صلاةٍ معْ سلامٍ على النبي ... وآله وأُسْد الغِيل في كلِّ وَقْعةِ

وبعدُ فَقَصدي أنْ أَفُوهَ تَلَطُّفاً ... بما قَد جرى حَقّا في كُل قَضِيَّةِ

---

(1) هو الأستاذ الفاضل خالد الناصري، تقدم به في بحث رسالة الدكتوراه، وقد أفادنا مشكورا ببعض ما أدرجناه في هذه الترجمة.

(2) يقول الغالي بن سليمان في مطلع نظمه:

(وللنصر فتح ظاهر في البريَّةِ ... يقابله الإقبال في كل وجهةِ)

إتحاف أعلام الناس: 2/ 321.

أُلِـــمُ بِـــذِكْرِ مَـــا يَلِيـــقُ وُرُودُهُ مِـــنَ الغَـــثِّ والـــسَّمِينِ دَرْءاً لِغُمَّـــةِ

ثم يقول:

ولمـــا تجـــددت لنفـــسي عزيمـــة بتقييـــد مـــا قـــد ريء هبـــا بيقظـــة

وذاك لتيـــسير الإلـــه بفـــضله خروجـــا لتمهيـــد النـــواحي بحركـــة

بـــصحبة ذي النهـــى المظفـــر قائـــد أميـــر بـــذي الأقطـــار صـــاحب تلـــوت

محمـــد قـــل بـــالفتح نجـــل محمـــد سـليل الكـــرام بـــل شـــموس الظهيـــرة

ثم يصف مبدأ انطلاق الحملة العسكرية الجرارة من تلوات، ويصورها كأنها رحلة صيد قائدها أمهر الصيادين خرج لاصطياد الطرائد التي ليست سوى تلك القبائل الخارجة عن سلطتهم بدرعة. يقول:

وقـــصدٌ لنـــا جَمْـــعَ القبائـــل كلِّهـــا بِنَجْـــدٍ وَغَـــوْرٍ واعْتِـــدادٍ بِقُـــوَّةِ

فلمّـــا تكلّمـــت وضـــاق بهـــا الفَـــضَا نَحَوْنـــا بهـــا نحـــو اليمـــين والظفيـــرة

فراعـــت وحـــوشُ البَـــر طـــرا بجيـــشنا فكانـــت تفـــر مـــن الجبـــال ووهـــدة

يحـــذر بعـــضهم بعـــضا ويناجيـــه فـــرارا مـــن الـــصياد صـــاحب رميـــة

تـــراه يـــسابق الوعـــول بهـــضبة لحزامـــه طـــلاع الربـــى والثنيـــة

فقائـــدنا الـــصياد صـــار لحزمـــه يـــصيد النـــواحي بالـــسهام الرشـــيقة

ولما نزلوا برباط تنزولين، كثر عليهم ذباب كبير الحجم، كثير الطنين، حتى صارت تنزولين أرضا مذبوبة، فما كان منه إلا أن نسج من هذا الحدث معنى لطيفا، على طريقة الأدباء الظرفاء في مجالس الأمراء، فطنينه المزعج ليس في الحقيقة إلا ذكرا ودعاء للقائد بالظفر والنصر، ويظهر أنه جرى كلام في حكمة خلق الذباب، فنظم في ذلك ما ورد عن مقاتل بن سليمان لما دخل على أبي جعفر المنصور فسقط عليه ذباب فطيره، فعاد إليه يتنقل على وجهه وأكثر من السقوط عليه مرارا وهو يطرده حتى أضجره فقال المنصور: انظروا من بالباب، فقيل له: مقاتل بن سليمان، فأذن له، فلما دخل عليه قال له الخليفة: هل تعلم لماذا خلق الله تعالى

الذباب؟ قال: نعم ليذل الله عز وجل به الجبابرة[1]. وتروى الحادثة أيضا عن الإمام جعفر الصادق مع الخليفة نفسه، وإليه أشار بقوله: (الإمام)، وقد يريد به الإمام الشافعي، فقد حُكي عنه مثل ذلك مع الخليفة المأمون، قال له: لأي علة خلق الله الذباب؟ فأطرق الشافعي، ثم قال: مَذَلَّةً للملوك يا أمير المؤمنين. فضحك المأمون، وقال: يا محمد، رأيتَ الذباب يسقط على خدي؟ فقال: نعم يا أمير المؤمنين، ولقد سألتني وما عندي جواب، وأخذني مِن ذلك الزمَع (أي الخوف)، فلما رأيت الذباب قد سقط منك بموضع لا يناله مَنْ معه عشرة آلاف سيف وعشرة آلاف رمح فانفتح لي فيها الجواب، فقال: لله درك يا محمد![2] ولما كانت هذه الحادثة مع طرافتها قد لا تناسب المقام الذي هو الخروج للإذلال وإظهار القوة، لا أن يكون القائد وجنده هما موضعها، تعقب السؤال بجواب آخر غير ما ذكر، ليصرفه إلى معنى يناسب المقام بحضرة القائد الهمام، أفاد به طبيب الحملة مما فتح به العلم الحديث. قال:

وذِكــرُ قــضية الــذباب إذ بــدا	جــواب طبيــب عــن قــضاة نجيبــة
مليحــة ذكــر لا أُخِــل بــذكرها	نــشاطا لــذي علــم ســريع القريحــة
وهــي ذبــاب كالــضباب ضــخامة	يــسد آفاقــا كــالجيوش بكثــرة
تــصوِّت بــالطنين رفعــا لــصوتها	تــضج ضــجاجا بالنــشاط وغُنــة
أقــول لــذا معنــى نفيــسا مُرَونقــا	يَــدِق خفايــاه عــن فهــوم الذكيــة
تــصوّت بالتــسبيح صِــرفا لربهــا	وتــدعو بنــصر للأميــر وصــحة
ولقد سئل القاضي بمثل سؤال من	تقــدم عــن معنــى وجــود الذبابــة
فلــم يأتنــا بــالقول مثــل (مقاتــل)	ومثــل (الإمــام) إذ أجابــا بقولــة
لــذا تكلــم الطبيــب جوابــه	بمعنــى يفــوق فــي المعــاني ولفظــة
وأعجــب شــيء قــد رأينــا بتنــزولين	ذبــاب كبيــر حليــف العفونــة

(1) سير أعلام النبلاء للذهبي: 7/ 201.

(2) مناقب الشافعي للبيهقي: 1/ 157.

- **ديوان شعري**: وهو من آثاره المفقودة جمع فيه قصائده ومنظوماته التي أنشأها في أغراض شتى من مدح وتوسل وفخر وهجاء وتعليم وتصوف وتواريخ وفهرست وغير ذلك من الفنون، بقيت منه قطع متناثرات في كتابه (نعت الغطريس) وأخرى في أوراق منفردة، وفي هذا الديوان قال يقرظه وكأنها أوله:

للهِ روضٌ شتــاتُ العلــمِ جامعُــهُ نعـمَ الأنيسُ، ونعـم الجِلْسُ فـي اليُتمِ
فـاعكفْ عليـه بقـلبٍ فـارغِ الـشغْلِ واقطفْ ثمارًا ولا تركنْ لـذي السَّخَم
متـعْ أُخَـيَّ جفـونَ العـينِ فـي غُـرَرٍ وشحِّذِ القلبَ، لاِقْتناصِ ذي الـحِكَم
هـذا ديـوانٌ حـوى النَّفيسَ مِـن نَفَـسٍ فـضمنه دول للعـرب والعجـم
في ذي الطروسِ من الأشعار جيِّدُها حَلْيُ الكريـم ونعْتُ الجِبْس والـبَرِم
وحُلَّــةٌ لــشيوخِ العلــم مــستنَدٌ للأخذِ عـن كلِّ ذي سـرٍّ وذي شِيَم
أدعــيةٌ، ومواقــيتُ الـصلاة، ومــا فـي حكمِهـا مـن عـلومِ هيئةِ النُّجُم
ومــن لطــائف، والتاريــخ أنفعُــه ومـن معـانٍ تُريح القلـب مـن سَدَم
وكـلُّ هـذا بـذي الأطْـراسِ مُنـبسطٌ محــرَّرٌ برشيــقِ اللفــظِ والـنُّظُم
لله در جميــل الــذكر كاتبــه محمـد المهـدي ذي الأوهـام والـسقم

3- علاقته بآل الكلاوي: حكاية الفقيه والسياسي

كانت تودغة تابعة لنفوذ الكلاويين، ومن الطبيعي أن تكون لهم فيها ولاءات من انتماءات متعددة، ومنها طبقة الفقهاء الذين هم من سَراة المجتمع المغربي في تلك الأوقات، وبدونهم لا تقضى الأمور ولا تجري على وفق المراد، لكن هذا الولاء في الغالب قد لا يقابل بمثله إلا عند الضرورة، وأيضا إنما يكون على قدر هذه الضرورة، أما إذا انتفت الضرورة فساعتها يظهر صدق الولاء من زيف الادعاء، ويبرز العِدا من ذوي الإخاء، هذا، وحكاية فقيهنا وصاحب الولاية السياسية هي حكاية أحد طرفيها وامق محب ربما بذل في رضا محبوبه المهجة والفؤاد، وأسأل

فيه تعلقا سيول المداد، تعبيرا عن معاني الوداد، ومع ذلك ما أخذ منه ما يريد، وإن أخذ شيئا فإنما هو نعجة أعطيها مقابل الثور والجمل. والطرف الثاني ينظر إلى سلطانه، ويعلم أنه لا سلطان بدون رجال ولا رجال بلا مال.

هذه خلاصة ما بين فقيهنا مع قوم كانوا يشربون مع من كان فوقهم من الكأس ذاتها التي أُشرب هو منها، ففي لحظة من تصاريف الدهر وجد الفقيه نفسه في حضن السياسة فاعلا ومفعولا، فأما السياسي فإنه لم يجد بدا من مخاطبة الفقيه وإن شئت قلت: الإعمال فيه رفعا ونصبا وخفضا بحسب سياق حديث الأحداث، فأما الفقيه الناصري فقد كان سليل زاوية دينية قامت بأدوار تاريخية منذ نشأتها، وارتبطت بالدولة ارتباطا وثيقا بعد أن ذهب ما كان بينهما من نوع جفاء في فترة ما[1]، وقد كان من نتائج ذلك حفاظ الزاوية على ولائها الدائم للدولة وسلاطينها حتى في أحلك الفترات، ومنها فترة الحماية الفرنسية، وأما الكلاويون فلم يكونوا إلا يدا من أيدي السلطان، اختارها وأطلقها لأداء ما وكل إليها من أمور السياسة والتدبير، وبقي الأمر على ذلك مدة، وحين اختلط حبل الدولة بنابل المستعمر، كانوا هم القائمين بتدبير سياسة المخزن والحماية معا في المناطق التابعة لهم والناطقين باسميهما، وافترق الناس فريقين:

فريق بقي على وفائه لكل ما يأتي من المخزن ويصدر باسمه، ولم يألُ جهدا في دعم سياساته وقراراته، حتى ولو كانت من إملاء المستعمر الأجنبي وتشريعه، باعتباره ليس إلا حاميا تم التعاقد معه من أجل حماية البلد وتهدئتها وتنفيذ الإصلاحات، فانخرط في هذا المنحى ولم يعدم مبررات شرعية أو واقعية يدافع بها عن موقفه، بل ربما كان الأمر عنده كما قال المولى عبد الحفيظ:

أ آمرُ بالجهاد وجُلُّ قومي يرى أن الحماية فرض عينِ؟!

أما الفريق الآخر، فهو الذي رأى في دخول الأجنبي أراضيه احتلالا واعتداء لا بد من صده بالمقاومة، وصد كل من يقف إلى جانبه حتى ولو كان هذا الواقف

(1) كان ذلك إبان نشأتها مع السلطان المولى إسماعيل.

هو المخزن نفسه، وعلى هذا الأساس قامت المقاومة في شتى أنحاء المغرب.

ا- مرحلة الاتصال: حب وولاء...

كان الفقيه يكن لآل الكلاوي مودة خاصة، سَمَتْ من جانبه حتى اتّسمت بحب وولاء، ولا يمكن أن يكون نبت ذلك من فراغ، فآل الكلاوي - وخاصة القائد "حمو" الذي كانت تودغة تحت تصرفه - عرفوا بتقريب العلماء والزوايا ومُحاباتهم بألوان المحاباة المعنوية والمادية، وهو ما كان يترك أثره في النفوس، والناس منذ قديم الأزمان عبيد الإحسان، فكانت علاقة المهدي الناصري من هذا الباب، ثم توطدت والتحمت أيما التحام في أثناء احتياج كل منهما إلى الآخر عندما قامت ثورة التوزونيني وبلقاسم النكادي، وكادت تودغة بأكملها أثناء ذلك تنفرط من عقد الكلاويين ويصير أمر الفقيه المهدي بأيدي أعدائه، ثم لم تلبث الأيام أن استُبعدت الأخطار وأمن المستجير والمستجار.

فاختار المهدي الناصري بوعي وإدراك - وهو من أعيان البلد - السير في صف الأولين ممن ذكرنا موقفهم، ولم يجد في نفسه مبررا يحوِّل به رحله عن المقام الأول، مقام الولاء القديم، فما الحب إلا للحبيب الأول، فنشأت بينه وبين آل الكلاوي علاقة اتسمت في بدايتها بما عبرنا عنه بمرحلة الاتصال، لتنتهي بعد ذلك بانفصال ذاق منه الفقيه المهدي النكال، وكأني بها علاقة من تلك التي أصابت العشاق عندما تتقلب قلوبهم بين حال وِصال المحبوب وعدم تحمل هجرانه، حتى إذا وقع الهجر وبدا الجفاء، واستُبدِل بالتداني التنائي، وخابت الظنون والأماني، لم يجد ما يُسَلِّي به المحب مصاب فؤاده سوى الصبر، وقليل من المحبين مَنْ يقتدر أن يتحرر من ذاك الهوى وتبعاته ويرى في الجفاء عنوان خيانة وغدر، كما هو حال صاحبنا الفقيه الذي ذهب وُدّه سُدى، وانكشف له بعد حين أن ما كان فيه من هيمان؛ ليس سوى سراب يغتر به الظمآن، وقد ذكرني هذا الحال بينه وبينهم بقول القائل:

تَزَيَّنَتِ الدُّنيا بِهِ ثُمَّ أَقْبَلَتْ فَلَمَّا أَدالَ الوَصلَ بِالهَجرِ وَلَّتِ

كَــأنَّ لَيَــالِي الوَصْــلِ كانَــتْ غَمامَــةً   فَــلَمَّا رَجَــوْتُ الوَصْــلَ مِنْهــا تَخَلَّــتِ

موقف اتخذه الناصري فجعل جل من ذكروه في تراجمهم يصنفونه في جملة معاوني الاحتلال وأذنابهم[1]، ذلك أنه لم يكتف بالحياد، أو حتى بدعم محدود، بل تجاوز ذلك إلى أن صار معتمدهم ومحل ثقتهم في رصد ما يجري وفي توجيه الناس، فضلا عما دبّجته بنات فكره في حقهم من ألوان المديح والتمجيد، وإظهار الثناء والتأييد، حتى غلا في ذلك غلوا ظاهرا، بحيث لو لقب بشاعر الكلاويين لصح فيه ذلك[2]. ومع ذلك فالرجل - كما قلنا - وعَى موقفَه واختيارَه، فهو عالم اطلع على ما كان يجري في فاس من صراعات سياسية في أعلى هرم السلطة أيام إقامته فيها، وخبَر بعض هذا الواقع السياسي من خلال علاقته بآل الكلاوي الذين كانوا يدا تتحرك فيه وتُحرِّك، وعليه، فلا يمكن لرجل مثله - وهو العالم - أن يقف هذا

---

(1) أولهم العلامة المختار السوسي في "المعسول"، الذي قال عن كتابه "نعت الغطريس" 16/ 271: ألفه (تزلفا للاستعمار وصنائع الاستعمار) وأخذ (يعبث بأعراض أولئك الذين يدفعون في صدر الاستعمار بحق وعن غير حق) 16/ 305، ثم بعده عبد السلام بن عبد القادر بن سودة الذي اكتفى بالإشارة إلى كونه أطنب في ذم المقاومين التوزنيني والنكادي ومدح الباشا الكلاوي الذي كانت له اليد الطولى في القضاء على هذه المقاومة ص:155 وأعاد مثله في "إتحاف المطالع" ص 2/ 425 وقال في الصفحة 457 منه: (ومع ذلك لم يحصل على طائل دنيوي من قبل الاستعمار)، وتبع الزركلي في "الأعلام" المختار السوسي ونقل كلامه فيه 7/ 314.

(2) مُدِح التهامي الكلاوي بشعر كثير من مغاربة ومشارقة، وأشهر من مدح التهامي الكلاوي وقال فيه القصائد وأكثر شاعر الحمراء محمد بن إبراهيم، وقد جمع ابن مراكش الأستاذ أحمد متفكر كثيرا من تلك الأشعار في كتاب بعنوان: "نظم القوافي في الباشا الكلاوي إبان ولائه للعرش العلوي"، ومع هذا فإنه لم يسلم من هجائه فقد قال فيه:

أرأيــت اللئــام كيــف تكــون ؟   وعلــيهم كيــف الــذمام تهــون؟

ســأريك الهجــاء كيــف يهــون   يــا خــؤون لعهــده يــا خــؤون

الموقف إلا إذا كان بناه على قناعة بارزة وسند واضح، ولعل أهم ما يجلي تلك القناعة وذاك السند هو ما أورده في ثنايا كتابه (نعت الغطريس) مما نجمله في ما يأتي:

- طاعة السلطان المولى يوسف واجبة شرعا وهي باقية في الأعناق ولازمة، وتغلب الثائرين التوزونيني والنكادي على هذه الناحية لا يوجب خلع طاعة السلطان والدخول في طاعة الثائرين.
- حركة الثائر التوزونيني لا تمت إلى الجهاد بصلة، فليس سوى دجال خارج عن طاعة ولي الأمر، وثورته ليست سوى فتنة غايتها طلب الملك، قام فيها بأعمال القتل وسفك الدماء ونهب الأموال وهتك الأعراض، وكل ذلك مما ينافي صفات المجاهدين، فطاعة من سعى في الأرض بالفساد لا تلزم، يدل على ذلك موقف كثير من علماء المنطقة وصلحائها الذين نابذوه، ومنهم من اغتر به في بداية الأمر حتى إذا استبان حقيقة أمره رجع عنه وخالفه.
- ومن ذلك أيضا اعتماده على فتاوى بعض أهل العلم في الجهاد وشروطه كما عند أحمد بن خالد الناصري في "الاستقصا" وفتوى السكتاني في "المعيار الجديد"، محصلها كون مفهوم الجهاد الذي يلزم كل مسلم له حده وشروطه، وباختلال حقيقة الجهاد الشرعي يكون كل فعل يدعيه أقرب إلى الفتنة منه إلى معنى الجهاد، فضلا عما قرره بعض أهل العلم من سقوط الجهاد منذ أحقاب، كما أن القوة بين الفريقين متفاوتة تفاوتا كبيرا، فالكافر المستعمر في غاية من القوة والاستعداد، بينما المسلمون في غاية من الضعف والاختلال، وهو ما يعني أن الدخول في مقاتلة العدو لن يؤدي سوى إلى تمكينه من الأرض والمال والدم العرض، فالمحاربة على هذا الوجه تنافي الشرع والطبع معا.
- موالاته للكلاوي لا حرج فيها، لمكانته وفضله في العلم والسياسة، وكونه رجلا من رجال السلطان، ولا يستلزم ذلك حتما موالاة المحتل الفرنسي، فهذه تقتضي آثارا شرعية مما قد يخرج المرء عن دائرة الإسلام.

تلك أهم مبرراته التي يمكن أن يراها صاحبها موضوعية تستند إلى أدلة شرعية

وعقلية، وربما تكون معها دواع ذاتية تمتزج بالأولى فتنتجان معا مثل هذا الموقف المتسم بالحماس والصدق، وهو ما أشرنا إليه سلفا من الميل لجانب آل الكلاوي الذي أظهره في مناسبات عديدة، منها قوله في إحدى رسائله: (وأما محبة سيدنا فقد كنت مجبولا عليها، لا أعلم أحدا بلغت محبته فيه مثل ما بلغت محبتي، ولا يعرف صدق ما قلنا إلا من طالع كتابنا "نعت الغطريس" وحققه، وفهم تحليتي لسيدنا القائد بالأمداح والتراجم...).

ومنها أيضا ما جبلت عليه النفوس من السعي لابتناء المكانة اللائقة في المجتمع عن طريق الارتباط بالسادة وأولي الأمر، خاصة إذا كان الإنسان ممن له مزية ما، فيرى من نفسه ما يوجب نوعا من الخصوصية، لا تتأتى إلا بمثل ذلك، وذلك حاضر في شخصية الفقيه المهدي الناصري، يزكيها الواقع والناس، ويقوي داعيتها المعاندون والحساد، وحيئنذ فلا سبيل إلا لطرق من بجوارهم يعلو المقام ولا يرد بهم الكلام، ولو مع لون من ألوان التذلل على الأبواب، على حد ما يروى من أن أبا يوسف القاضي شوهد على باب الرشيد والشمس تنقله من ظل إلى ظلّ، فقال له: أمثلك مع علمك وفضلك تقف هذا الموقف ؟ فأنشد:

أُهِينُ لَهُمْ نَفْسي لأُكْرِمَها بِهِمْ ... وَلا تُكْرَمُ النَّفْسُ التي لا تُهِينُهَا

وقد سبق أن رأينا في بعض الأبيات التي يذكر فيها تدريسه افتخاره على بعض تلاميذته بقربه منهم، وما حصل له من المزية بجنبهم، واعترف هو نفسه بما يدل على هذا في بعض شعره، بعد أن مضت فترة الصفاء وولى معها المديح والثناء، وحل محلها الكدر ومعه العتاب والهجاء، مما ستراه لاحقا، وهذا نموذج من شعره يظهر ما قلناه من التشوف والتطلع، يقول في كاتبهم أبي حفص عمر بن عبد السلام:

أيا رائس الكتاب يا عمر الصدر ... أموري لكم بعد الإله رفعتها

مضافا لكم صرفا ويسمو له قدر ... جدير بأن تقضى مآرب من غدا

رأيت أمورا لا يقوم لها الحر ... إذا لم يكن في الدار يمٌّ أبو حفص

فمنهـا إضـاعة الوفـود بأسـرها وإبقاؤهـا فوضـى ولا مـن يباشـر
بقيـت عزيـزا لا تـسام بـسبة وأوليـت كـل المكرمـات أيـا بـدر
لبـست بـرود المجـد والعـز والرضـى أيـا ملجـأ اللهفـان يـا مـن لـه الأمـر
حللـت محـلا لا يـضاهى برتبـة ودام لـك الإقبـال والـسعد والخيـر
فهـذه بنـت الفكـر تـسعى لبـابكم تنـاديكم جهـرا ليغلـو لهـا المهـر

ب- مرحلة الانفصال: محنة وبلاء...

استتب الأمر للكلاوين بتودغة، ونصبوا فيها خليفتهم المسمى شعيد أولعيد أتفنوت، ولم يكن سَعدا على أهل تودغة كما تذكر الروايات الشفوية عن سيرته فيهم، حتى كانوا يلقبونه بسعيد أمجوط (الأقرع) فحسب، بل شَقُوا به كما شقي به المهدي الناصري، فقد ظهر منه سوء المعاملة له بُعَيد تعيينه، وهو الفقيه النسيب، والرجل القريب، الذي يفترض أن يكون محظيا أثيرا، لمكانته بين أهله وعند مَن ولّى سعيدا هذا، على أن من كان في مثل هذا المقام قل ما يسلم من أذى، فإن كان في أعين بعض الناس قُرة العين فهو في أعين آخرين قذى، فوجد منه الناصري وتبرم وضاق واشتكى، ورأى من سلوكه معه إهانة لا تليق بمقامه، وصلت إلى حد الإقتار عليه في بعض ضروريات العيش والفحش في الكلام، بل ومحاولة الاغتيال، وتقرب إليه الفقيه مهادنة، فلم يزدد القائد إلا تسلطا وتباعدا، فكاتب إلى الكلاويين يشكوه فما أشكوه، واضطُر إلى الرحيل إليهم فما أعانوه، فلم يتغير من حاله شيء، وظل يتردد بين تلوات وتودغة، حتى ضاقت عليه تودغة بما رحبت، وصار مستعدا للرحيل عنها، ومن شعره الذي يشكو فيه هذا القائد قوله مخاطبا القائد محمد (حمو) بن محمد الكلاوي:

أمحمـد بـن محمـد المـزواري نجـل الكـرام سـلالة الأخيـار
إنـي لجـأت لظلكـم مستـصرخا أشـكوك جَـور الجـاهر الختـار
كـم كربـة كـشف الإلـه بـه وكـم مستـضعف مثلـي غريـب الـدار

آوى لوجـــه الله ثـــم أجـــاره بحـــسام عزمـــه مقـــضي الأوطـــار
مغنـــاه يغنـــي إن شـــكوت لعدلـــه يـــشكيك فـــي الإيـــراد والإصـــدار
حاشـــاه يمطـــل واللـــواء مطـــاول والجـــاه طـــود بـــل عزيـــز الجـــار
رغمـــا لفـــدم لا يـــداوى حقـــده دأبـــا طـــوى الأحـــشا علـــى الأوغـــار
أهـــدي الثنـــاء لربعـــه وجـــواهرا ونفـــائس الـــدعوات فـــي الأســـحار

ولـم نقف على كل الأسباب الكامنة وراء هذا الشقاق والعداوة بين الرجلين، لكن يستشف من بعض رسائل الناصري التي يشكو فيها سعيدا، ومما بلغنا من خبرهما، أن ثمة صراعا حول نفوذ الكلمة والمكانة بين أهالي تودغة، خاصة قصر تنغير وما حوله من القصور المجاورة، فسعيد بحسب بعض رسائل الناصري يتهمه بأخذ السوق، وهذا الأخير حيل بينه وبين خطة القضاء التي اضطلع بها أهله قبله منذ زمن، وصار هو يحكم بالتخمين والجهل بأمات الشريعة رغم أن الناصري يبرئ نفسه من أي عداوة من جهته ويتهم الآخر بكونه الظالم والمعتدي. وعلى كل حال فعدم تقدير كل منهما لمكانة الآخر يكفي وحده سببا لإيقاد نار العداوة بينهما، ثم إن الناصري كان قد ذكره بسوء وهجاه هجاء لاذعا في كتابه الذي صار معروفا عند العوام والخواص[1]، وتلك أيضا لن تزيد ما بينهما من الإبَالة إلا ضِغْثا.

والعجيب أنه رغم شكاياته المتكررة إلى الكلاويين من سوء معاملة سعيد، فإنه لـم يجد الإنـصاف الـذي يبتغيـه وبـدا لـه أنـه يعامـل معاملـة لا تليـق بـه حتـى مـن الكلاويين أنفسهم في عدم زجر سعيد وعدم الاكتراث بحاله، وهو الذي سبقت يده سعيدا هذا في المنطقة. وإنما عليه الإغضاء عن تصرفاته والتجاوز، وهذه إحدى رسالة جوابية من المهدي الناصري إلى كاتبهم عمر بن عبد السلام توضح ما

(1) قال فيه: "كان رجلا خاملا، حديث عهد بعز ورياسة، كاسف الهمة، أقرع ضليلا، لا دين له ولا مروءة، بل كان ظلوما جهولا، أمات الشريعة المحمدية في الوادي، فلا ترى إلا أحكاما بالتخمين في أمر كان حقيرا أو جليلا، وكان مع ذلك شحيحا لا يرجى خيره، ولا ينال بره". ولا يغفر مثل هذا من القادة والأمراء إلا من كان في حلمه أحلم من الأحنف بن قيس!

قدمناه، هذا نصها:

(الكاتب البارع، الخليفة النافع، حبنا وأعز ما لدينا سيدي عمر بن عبد السلام، أطال الله بقاءكم ورفع ذكركم. السلام عليكم ورحمة الله عن خير سيدنا نصره الله. وبعد، فقد وصل كتابكم وصار بالبال خطابكم، وما أشارت به سيادتكم من أن غرض سيدنا القائد - أعزه الله - هو الإغضاء عن هفوات سعيد، اعلم سيدي أنه لم تصدر مني بشهادة الله إساءة لسعيد قط، لكنه طردني وأغلق بابه دوني وتصدى لإذايتي بكل ما أمكن، ورفعت أمري إليكم، وترددت كاسف البال منكسر القلب سيء الحال، شاكيا بأعتابكم، ثم عدت لصبيتي مع المرحوم بالله القائد فارس بلا طائل تحته، فلم يزد الأمر إلا شدة فلزمت داري واشتغلت بمطالعة أسفاري؛ فجمع أشياخه وحضهم على عداوتي وإذايتي، وصار يشهد علي بما لا ترضاه همتي ويصدقونه أو بالعكس، فلم ينفعه ذلك ولا أطفى لهب عداوته ما هنالك، فأمر الأوباش بمد أيديهم في متاعي، فأتيت بابه ذليلا شاكيا، فقال: عليك بالقائد، فشكوت لسيدنا القائد أعزه الله فاستعذر بأعذار واهية وغمط الحق وجادل بالباطل، ثم أتيت بمكاتب من سيدنا لتنفيذ أمداد من القمح ورد ما غصب من تمري فمزقها وأسمع حاملها من الفحش ما لا يصدر من مسلم لأخيه المسلم، ثم جاء الكتاب من عند السيادة يؤكد عليه أن ينفذ، فهناك بعث بأمداد لا أعلم قدره من البشنة وأنلي وما لا حاجة لي به؛ فسكت وفوضت أمري إلى الله وعلمت أن المصيبة لم تأتني إلا برفع شكايتي لغير بابه تعالى، وإلا فكم من يد كفها عني وكم كربة كشفها، وأما محبة سيدنا فقد كنت مجبولا عليها لا أعلم أحدا بلغت محبته فيه مثل ما بلغت محبتي، ولا يعرف صدق ما قلنا إلا من طالع كتابنا "نعت الغطريس" وحققه، وفهم تحليتي لسيدنا القائد بالأمداح والتراجم قبله محبة وخدمة تبقى مخلدة على صفحات الدهور، لا من يعينه بجلب أموال الحرام ويسعى فيما يكسبه الملامة والآثام، وحتى الآن (إن)[1] عرف سيدنا طريقا يرضي عنا سعيدا يشير به

(1) في الكلام سقط، أضفنا ما بين القوسين ليستقيم الكلام.

علينا، لله وفي الله، وقد سامحناه فيما مضى، وتبرأنا له حتى في التدريس فضلا عن شيء (آخر)[1]، وإن لم يرض منا إلا بالرحيل فالخطب سهل، والأمر لله لا لغيره، وليعلم حبيبي وأخي في الله، أن ما ذكرته من جانب هذا الخليفة حق وصدق لم أزد عليه شيئا إلا لعلني نقصت مما يصدر منه حياء، وعلي لعنة الله إن كنت كذبت عليه في شيء، أو كان لي غرض في نزاعه سوى رفع إذايته وإهانته لجانبي، والحر فضلا عن العالم لا يرضى بالذل، على أني والحمد لله عزيز مطلوب، وإن كنت عند من لا دين له ملطخا بالعيوب). وكأني به لما بلغ حاله ما عبرعنه في هذه الرسالة أنشأ قصيدته التي وقفنا على مسودتها يسلي نفسه ويُعرِّض بالخليفة المذكور:

إن كان وصلي وصيتي لا يرضكم	خوفا على سعد السعود يضام
فالقصد عندي في الخمول وسبحتي	ولزوم بيتي أو يحل حِمام
فليهن سعد وليغني بواديه	متحرفا متجبرا لا يلام
وبِعَذْله تساوى الأنام بسعده	فسحت دموع ذوي المعالق سجام
فلقد مضت لنا أيام نحس لنا حس	وبقى السعود وفوق طامة طام
لا تعجبن لجاهل نال حكمة	فالدهر كله حالك وظلام
لا تضجرن إذا رأيت جفاءه	فله الدواهي حرفة وقوام
فالسر تحت عمامة يدريه من	عقل العلوم وفي يديه حسام
فالقرع قارعة الشديدة للورى	فاحذر ولا تركن فليس ذمام
فزعانف الأغمار لاذوا بجاهه	فتبارءوا وهو لا غرو قضام[2]
فهلموا وابتهجوا بصحبة لابنٍ	لينال عَيْمة شربه من يَعام[3]

---

(1) في الكلام سقط، أضفنا ما بين القوسين ليستقيم الكلام.

(2) ما يقضم.

(3) اللابن: الكثير اللبن، عام الرجل يعيم ويعام عيْمة وعياما وعيما: اشتد عطشه للبن.

فلقد صحبت مجربا وممارسا ووجدت نفسي قاصرا لا أرام

ووجدت قولا حقيقة عنده تحكي السراب إذ يرى بك منام

ورفعت ثوبي هاربا وملازما قعر البيوت أصادر وأضام

وجلوس مثلي في عزيز مقامه ظلم الرياسة لا يواتي مقام

حسبي الجلوس مع الضعاف بغرفتي تاركا طلب الدنيا وهي هيام

لا قدر لي حتى أجالس من علا قدرا وملكا لا يطاق زحام

ذاك المقام لذي المزايا من الورى عذب الكلام ذا لبسة والسلام

ولما اشتد عليه الأمر في تودغة من سوء معاملة خليفتها غادرها إلى تلوات في 1341هـ، كما تدل عليه مختلف رسائله وأشعاره، ومنها تلك الرسالة التي كتب بها إلى أهله بتودغة بتاريخ رجب من السنة المذكورة يخبرهم بوصوله إلى القائد حمو الكلاوي، هذا نصها:

(الحمد لله، أهل دارنا سيدي حمد بن الفقيه والسيد الطيب والسيد محمد بن الحنفي والقائد الجيلاني والسيد إسماعيل والسيد الحسين الدادسي، السلام عليكم ورحمة الله عن خير سيدنا رسول الله، وبعد، فإننا بخير وعافية وقد فرح بنا القائد غاية، وكنت أجالسه في كل وقت، وأسرد عليه كتابي، فسر بذلك غاية الغاية، وقد كان على بصيرة في جميع ما وقع لنا من الشياطين، ولم أحتج إلى ذكر شيء مما فعل بي، وأرجو الله أن أفوز بالمطلوب والمرغوب، وعلى تمام المحبة والسلام، وفي 9 رجب عام 1341هـ، المهدي الناصري لطف الله به).

ومنها هذه المقطوعة يخاطب فيها كلا من قائد تلوات محمد بن محمد الكلاوي والباشا التهامي الكلاوي شاكيا ما نابه من مناوئيه قائلا:

فقد عوت الذئاب طرا وصمموا على الشر لطفا يا لطيف على الفور

تكانفني أسد ضوار لكنني لجات للطف الله في السر والجهر

فلا ملجأ ينجي من البؤس والأسى سوى سر لطف الله في العسر واليسر

فيا رب يا قهار خيب ظنونهم ورد كيودهم على الصدر والنحر
وقيض لهم صدر الصدور محمدا سليل الكرام ذو الفتوحات والنصر
خضم فياض قائد متواضع كريم السجايا واسع الرفد والبر
فيا حي يا قيوم أعل مقامه ويسر له الأنجال وفي فسحة العمر
ومكن له وافتح بفتحك عاجلا وأمن به الروعات في البر والبحر
واشدد له أزرا بسيدنا الباشا أمير تقي ذو المحاسن والسر
لبيب أريب للمغارب ملجأ وحصن منيع لا يضاهى في ذا العصر
وسلم بني المزوار طرا وبلغن قلوبا من الخيرات يا عالم الأمر
وأنهي إلى روح الوجود محمد صلاة بها نرجو النجاة من الشر
كذا الآل والأصحاب ما قال قائل أكون بها صدرا ويسمو به قدري

ولما أقام بتلوات وألقى بها بعض همومه التي تحملها من تودغة، ولمّا يهنأ له المقام بعدُ، إذا بالناعي ينعي إليه زوجه بتودغة؛ فانضاف ألم هذه الكربة إلى وحشة الغربة، فأنشأ شعرا يرثي فيه أم ولده، ولم يمنعه ذلك من أن يلم بمدح القائد محمد ابن محمد المزوار في وذلك بتاريخ (10 شوال 1341هـ).

إن المنايا لا تطيش سهامها فنفوسنا غرض وهدف نبالها
والأهل والأولاد محض عرية ورجوعها فرض إلى أربابها
وما هذه الدنيا لكل مجرب إلا كأحلام ترى في منامها
طبعت على كدر وإنا نريدها صفوا من الأكدار بل من أقذارها
حسنا ظننا بالزمان فلم نفز بسوى القطيعة بل بجرع مضاضها
فارجع بنفسك كي تكون موفقا واصبر ولا تجزع وقل وأنا لها
إن الرجوع إلى الرحيم هو الرضا لا شك فيه بتوبة لتنالها
هون عليك فكل حي صابر لا غرو في يوم إلى أجداثها

لهفي على فقد المصونة من غدت تبي القليب وتشتفي بمصابها
لهفي على فقد الديانة والتقى وعلى المآثر من كمال كمالها
لهفي على طيب المعيشة والوفا وعلى التودد بل على إعطائها
لهفي على الصبيان بعد مصابها هملا ومن لشؤونهم بفراقها
فالله يجبر كسرنا ويمدنا بمعونة تفني لنا أكدارها
ويقي المصارع قائدا متواضعا بحر المكارم حاملا للوائها
ويطيل عمر ذا السيادة والنهى فالكل يشكرها على حسانها
لم لا وهو محمد بن محمد شبل الأكابر من بني مزوارها
طود خضم لا يغور بمائه كالشمس مظهر للورى بسمائه
فرد المعاني بجوده وسخائه بجواره ترجى المنا بتمامها
هو الذي أرجو الوصل بنية بعد الدفاع لراصد بفنائها
من لي لإيابي لأوطان غدت كالنار تحرق من أتى لجنابها
لكن ببدر التم أرجو وصالها رغما على صل غدا برحابها
ذاك الهزبر المرتجى لقطيعة يوما يزيل قطيعتي بوصالها
صلى عليك الله يا نور الدجى ما سار سار في ضياء كمالها

ويظهر أن حاله هذا وتذلله لم يشفعا له عندهم بشيء، وأن حزنه على فقد حليلته وتقطع كبده على صبيته الفراخ الزغب الحواصل ونيل عدوه القائد (سعيد) منه بما آل إليه أمره من الهوان والضعف والذلة والانقطاع عن التدريس، جعله في غمار غم شديد وكرب يزيد، اجتمع فيه فقدان الحبيب، ونكبة القريب وتنكر السيد الذي لا يستجيب، فكتب شعرا يناجي فيه نفسه بما ألم به من الآلام، قارعا إياها على اللجإ إلى حضن الكلاويين الذين لم يراعوا فيه سوابق وده، ولا خدمته لهم سرا وجهرا بكده ووكده:

تلونت القلوب يوما بتلوتِ وجلت هموم واشمأزت سريرتي

تلونـت الأكـدار إذ قـال قائـل   قـضت نحبهـا أم البنـين بتودغـة
فكـدت أكـون فاقـد العقـل باكيـا   علـى صـبية منهـا صـغار ضـعيفة
وصـرت حليفـا للندامـة والأسـى   وطـال سـهادي واسـتحالت معيـشتي
وهـاج اشـتياقي للـديار وأهلهـا   وفاضت سيول الـدمع تهمي بـوجنتي
وكنـت كهـدف للخطـوب معلقـا   وذقـت علـى رغمـي مـذاق المـرارة
وتـم مـراد للـشقي وحزبـه   ونـالوا مرامـا إذ رمـوني برميـة
علـى أنني قـد كنـت حـافظ ودهـم   أذود علـيهم فـي يـساري وعـسرتي
تحملـت قبـل اليـوم أعبـاء ثقلهـم   فلـم آل فـي الـدفاع جهـدي وطـاقتي
فكنـت كحامـل اضـطرارا لميتـة   بفقـر لمـا اسـتغنى رماهـا بـسرعة
حفظـت لهـم سـرا فـي كـل عويـصة   فخـانوا ولـم يوفـوا بعهـد وذمـة
كتبـت مؤلفـا بتقريـر فـضلهم   فكـان جزائـي فيـه حطـا لرتبتـي
أنقـي لهـم عرضـا وأنفـي لوصـمة   فلطخـوا عرضـي واسـتدامت قطيعتـي
منعـت بظلـم مـن بيـان لحكمـة   وقـدم غمـر جاهـل بالـشريعة
شـكوت فلـم أربـح بعيـد شـكايتي   سوى الضنك والإعراض عن كنه علتي
فـلا تغتـرر إن زخـرف القـول مفتـر   وكـن واثقـا بـالله لا بالخليفـة
فمـن لـي بـصبيتي وفلـذة مهجتـي   ومـن لـي بـروض فـي رمـس أحبتـي
فيـالله يـا رحمـن إنـك قـادر   فبالفـضل منـك أن تمـن ببغيتـي
عـساك إلهـي أن تفـرج كربتـي   وتجمـع شـملي بـالنبي والـصحابة

وقصيدته هذه من أحسن شعره، تفيض من صدق العاطفة، وتنسكب فيها عبرات من وخز الضمير، ويسري في أوصالها الحزن والأسى كما سرى في أوصال صاحبها، ولذلك لما قرأها الشيخ الفقيه الأديب محمد المكي بن علي الناصري في رسالة بعث بها إليه المهدي الناصري أجابه بقوله:

سـلامي علـى بحـر العلـوم مـن بـه   أضـاءت بقـاع تـدغى مـع كـل قبلـة

وأهـــدي إلـــى ذاك المقـــام تحيـــة تـزف كمـا عـرس فـي أعلـى منـصة
ســلام يفـــوق عرفـــه كـــل طيـــب وصـــحبه مـــن ربنـــا كـــل رحمـــة
وبعـــد فقـــد وافـــاني نحـــو جنـــبكم كتـــاب جليـــل حـــاو كـــل مزيـــة
ولمـــا فضـــضت ختمـــه وقرأتـــه وأمررتـــه عـــن نـــاظري ووجنتـــي
فألفيتـــه والله غايـــة مقـــصدي لمـــا قـــد حـــواه مـــن كـــرائم دعـــوة
فأنـــشأت قـــائلا وكانـــت مقـــالتي فـــضولا للكنـــة بهـــا مـــع هجنتـــي
تلـوت كتابـا جـاء مـن قطـر تلـوت فهـــيج أشـــواق للقيـــا الأحبـــة
وأجـرى دمـوعي للـذي قـد أصـابهم مـن الهـم والأحـزان مـن فقـد زوجـة
لقاهـــا الكـــريم رحمـــة وكرامـــة وأكـــرم زوجهـــا بـــروح وجنـــة
وأذهلنـــي عـــن حـــسي رونـــق لفظـــه ورقـــة معنـــاه فحـــارت فكيرتـــي
فـــصاحة ســـحبان حـــوى وبلاغـــة وفـصل خطـاب قـل وخـط ابـن مقلـة
قـضيت العجـاب مـن عذوبـة لفظـه فكـــدت ألوكـــه مـــن أجـــل الحـــلاوة
وكيـــف ومنـــشيه ومفـــتض عـــذره هـو المـاهر النحريـر مـن خيـر أسـرة

عاد الناصري إلى تودغة خاوي الوفاض ليتفقد حال داره وعياله وماله، فوجد الحال أسوأ مما تركه عليه، ففي رسالة جوابية إلى عمر بن عبد السلام بتاريخ (9 ربيع الثاني 1342هـ) يذكر أنه لما دخل تودغة وجد الدار (لم تبق فيه شاذة ولا فاذة، والصبيان حفاة عراة نالهم الضيم والحقرة من كل جانب، يبكيهم من عرفهم قبل) ثم يقول: (يا لله الذي لا إله إلا هو، لقد تعرض لي ابن منهم سمي إدريس، وما عرفته لتبدل حاله عني، حتى قيل لي: هذا ابنك إدريس، فبكيت حتى سقطت عن ظهر دابتي) ثم قال: (وأما ما جرى علي في الطريق فلا أذكره لما نصب إلي من حبائل الخداع، ولازالوا يمكرون ويمكر الله وهو خير الماكرين...).

وفي الرسالة نفسها يذكر أن الكاتب أبا حفص عمر بن عبد السلام طلب منه التعجيل بالقدوم إلى تلوات، بعد أن تسلم نفقة السير في الذهاب والإياب، وهكذا

غادر الناصري تودغة إلى تلوات مرة أخرى، وفي نهاية هذا العام الهجري وهو مقيم بتلوات، سيعلن الكلاوي عن حركة كبيرة تتوجه إلى درعة، سيكون المهدي الناصري ضمن رجالها، وسيخلد أحداثها في رحلته التي أشرنا إليها سابقا والمسماة بـ (الرحلة الزاهرة). ولعل هذه الأحداث جميعا تشير إلى نوع العلاقة بينه وبين الكلاويين في هذه الفترة، كما تظر بعض ما في داخلة نفسه اتجاههم، فهو يبوح لنفسه فقط في شعره بما يجده منهم من عدم الاعتبار وترك الانتصار له مما لا يناسب مكانته وخدماته، ولكنه في الوقت نفسه يظل معلقا بحبائلهم لعله يلوي بها عيونهم إليه وينال مراده، وإلا فكيف يُفهم ما قاله في هذه الأشعار الأخيرة وندمه على ما أنشأه فيهم من مدائح وما سطره عنهم في كتاب "نعت الغطريس" ثم ها هو ذا يعيد تشييد ملحمة شعرية فيهم ملؤها الحماسة والبطولات إثر هذه الحركة إلى درعة ؟! وكأنه لما وجد نفسه بين مطرقة القائد (سعيد) ومن معه في تودغة وبين سندان تلوات وصاحبها آثر أن يساير هذا الأخير ويلازمه على علاته فذلك أكرم له من بقائه ذليلا تحت مَن دونه بلا فائدة ترجى.

ويظهر بعد أن حطت الحركة أوزارها ورجع الفقيه الناصري مع قائدها إلى تلوات أنه تردد إلى مراكش، ولسنا ندري هل زار بعدها تودغة أم انقطع ما بينه وبينها من حين قدومه منها قبل هذه الرحلة؟ لكن الواضح الآن أنه قد استقر بتلوات، كما توحي إليه هذه القصيدة التي قالها وهو في مراكش، يبث فيها كعادته مشاعره الصادقة المحملة بالآلام، ومتبرئا من تودغة شاكيا ما ناله فيها من شظف العيش وقلة الاعتبار، مبديا رغبته في عدم العودة إليها، يقول:

خليليَ، إن رُمتَ المرور بأجبُلٍ   بلادِ بني المزْوارِ بلْ، وهِضابِها

فزودك الله المزاود من تقى   وأرشد رحلا قاطعا لمهامها

تحلَّ بوصفِ الصدق، وأغَ لقولِه   وكنْ مدرِبًا، واخترْ نفيسَ كلامِها

ولا تكُ ذا التمويهِ تُظهرُ باطلاً   بجانبِ حقٍّ طالبًا لِرواجها

ودافعْ بحسنٍ، واتَّئدْ، وتقرَّبَنْ   لمولاك بالغَرّا، طريقِ إمامها

وسامِتْ تُلائمْ تلائع المعالي مُجانباً طريقًا يؤدي لانحاط رجالها
إذا جئتَ في وادي تَلواتَ مبصرًا قصورًا وروضا للملوك كبارِها
فحطَّ رحالاً، وابلغنَّ تحيةً لنجمِ سعيدٍ، مالكٍ بزمامها
محمد ذو فتح سليل محمد كذاك حوى في المجد أعلى سنامها
هو القائد الفيّاضُ ذو الطوْلِ، والندى وزينةُ دنيا مُحرزٌ لجمالها
هو النَّدْبُ مَن حاز المزايا بأسْرِها مناقبُه مسكٌ يضوعُ انتشارها
تأدب، وأحسنْ في المقالِ مقالَكم وشنِّفْ له سمعًا بحُسن سماعها
وقلْ شاكيًا، واجهرْ ولا تخشَ لائمًا وصرِّحْ، فربَّما يُعيد سماعَها
أيا قائدًا ما ذنبُ عبدٍ أتاكمُ بصدقٍ ووصلاتٍ لقَصدِ دوامها؟
فليس له ذنبٌ وربكَ شاهدٌ سوى سكْنَى دارٍ لا يجلُّ قرارُها
وإنّا على رفضٍ لسكنى إذ غَدَتْ محلًا لِنُكرٍ، والذئابُ ببابها
وليس لنا قدما دخول في فتنة ولكن نفوس لا يسوغ هوانها
ألفنا بها وهي مقر أصولنا ولكن عرا وصفٌ وخيمٌ نتاجها
تبرأنا من دار أباحت جفاءنا براءة من ذاق أليم وبالها
تبرأنا من قطر لتدغى وأهله فليس به إلا سماج طباعها
مهانا بلا فرش وقوت موافق يبيت بها بق بكل جهاتها
أذكر أوجها حسانا لصبية فترف عيناك لسيول تهمامها
أيا قائد فافهم فأين مروءة؟ وأين عقول بل وأين تمامُها
فما هكذا وصف الولاية إنها كمال النعوت بل كريم مقامها
فهل ينبغي الجفا لحب جنابكم؟ وهل محسن يجزى بغير فعالها؟
ألم تعلم أن النكث والكيد والعدا تعود على شخص بنص كتابها

ألا ترعــوي عــن هــذا كلــه إنــه	**تــزول بــه النعمــاء عنــد ارتكابهــا**
فهـذا مقـالي فـي الـذي قـد أنـابني	**أريــد تنفــسا لثقــل ثقالهــا**
فهـاك قـصيدة تـذوب لـسردها	**إذا اســتوى عليهــا حياؤهــا**
جزيلـة لفـظ فـي المعـاني بليغـة	**عليهــا طــلاوة وفــي أوزانهــا**
خريـدة بنـت فكـر مـن هـو مـضرس	**بأنيــاب دنيــا عارفــا بمحالهــا**
محمــد المهــدي نجــل لناصــر	**بحمــراء مــراكش ترقــى جمالهــا**

هكذا طلق الفقيه الناصري تودغة إلى غير رجعة بعد أن عانى فيها من الخليفة (سعيد)، بل ومن ممالأة الكلاويين له ومداهنتهم إياه، ثم لما انتقل إلى عاصمتهم بتلوات لم تصف له الأحوال هناك كما يريد، فلا هو نال مبتغاه ضد (سعيد) ولا هو نال الرضى التام من الكلاويين رغم كل ما كان منه من أياد، وليت الأمر وقف عند هذا، فحتى الشعرة المتبقية بينه وبينهم سرعان ما انقطعت بعد أن اتسع الخرق وبان الضيق، فكانت المأساة التي انفطر منها فؤاده أن جُعل آخر أمره رميه مكبلا في غياهب السجن.

إنها نهاية لا يمكن للمرء إلا أن يتساءل عن سببها، ونحن إذا استحضرنا ما يجري عادة في حاشية الوزراء والأمراء ومن على شاكلتهم من المنافسات والمطامح المولدة للمكايد والدسائس، لم نستبعد أن يكون الناصري ممن اصطلوا بنار هذه الأشياء، وهو ما أشار إليه الملازم الفرنسي بوربير حين قال إن الكلاويين اتهموه بدسائس معادية، ويدل عليه أيضا ما ذُكر لنا من أنه لم يسجن وحده، بل كان معه في السجن بعض أعيان قصر تنغير وهم "بامو نايت حدو" المعروف بـ "الهرمو"، و"أعلي نايت سالم"، والمقدم "أسبو"، أطلقوا هم بعد ذلك وعادوا إلى بلدتهم وبقي هو ثمة إلى أن وافه الأجل، وفي ثنايا قصائده ومراسلاته ما يشير إلى هذا الذي قلناه تلميحا يكاد يكون تصريحا.

ولما صار أمره إلى هذه الحال، وجمع منهم يأسا مريحا من نوالهم، عادوا هم المشتكى منه وقد كانوا المشتكى إليه، وانقلبوا خصما بعدما كانوا حكما، فقد كتب

من سجنه إلى أبي حفص عمر بن عبد السلام كاتب الكلاوي - كما وجد في نص قصيدة بخطه - معاتبا له على ظلمه إياه بسجنه، ومطالبا بالعدل والإنصاف، يمزج ذلك بالاعتزاز والافتخار:

وزير أبو حفص إله أقامكم مقاما منيفا لا ينال بحيلة
فكن شاكرا، واعدل ولا تك لاهيا عن الخلق، معرضا على كل حالة
فإن حقوق الخلق بكم تعلقت عليكم تحتمت لزوما بذمة
فأنت بها المطلوب يوم وقوفكم بيوم فيه فصل لكل قضية
تنبه رعاك الله أنا بشدة وضيق معيشة وأعظم جوعة
وحال محطة وهضم لجانبنا وهم وغم لا يزال بحيرة
فإن كنت عامدا الضر، وقاصدا بذاك لنا قلب يطيب بمحنة
فأمرنا من قبل وبعد لربنا وحكمه نافذ منوطا بحكمة
لا يسأل عن حكم وخلقه عاجز عن النفع والإضرار في كل نقطة
به كانت الأشيا عليه معول له القبض ثم البسط أمر البرية
له في عباده التصرف دائما وأحكامه تجري بوفق الحقيقة
فسجنكم لنا بظلم لنا حكمة عليها بناء في الرخاء وشدة
وليس كسوف للشمس بضائر إذا ما جلت يوما بأعلى مكانة
ذو الفضل غيري قد أصيبوا بنكبة فزادوا فضيلة ورتبا سمية
ستنجلي عاجلا خطوب بربنا وتنبقى معرة وإثم الظلامة
ويزداد قدري في السمو جلالة بجاه رسول الله خير الخليقة

على أنه لم يقف عند هذا الحد، بل صرح بالعداوة تصريحا، وأخذ يسقيهم من كأس الذم والهجاء، بعد أن كان أترعهم من كؤوس التعظيم والثناء، فمال على

سبابته عضا، وعلى سنه قرعا، ندما على ما فات، عازما ألا يعود إلى سالف الأمر فيما هو آت، كما تعبر عنه هذه القصيدة التي وقفنا عليها في ورقة، قال:

ألا فاسمعوا عني مقالة صادق   ممارس حال الوقت في الكثر والقل

بذلت نصيحة لشخص وخدمة   مشيدا له الأقدار في الجد والهزل

تكلفت وزرا إذ نسجت مدائحها   بحقه إذ غدا يضاف إلى الفضل

كتبت مؤلفا نفيسا بمدحه   أظنه ذا فضل وعلم وذا الطول

ظننته سيدا أديبا ذا همة   صبورا حليما حائزا للسبق في العقل

ظننته منصفا عريفا بطرقه   عفيفا يجافي عن دسائس ذي الدغل

إذا به من جنس الوحوش بمقفر   ظلوما شريرا راكبا فتنة الجهل

فطاشت فراستي وضاعت مدائحي   وخاب لنا ظن لدى العقد والحل

ظننته بازا لايزال مرفعا   إذا به عن حَب يدور لدى الزبل

ظننته شهد ة الأري فإذا به   أشد مضاضا من حناظل والخل

حسبته جهلا بالحقيقة فاضلا   ففهت ولم أشعر بحالة ذي الختل

سبكته تبرا خالصا من ترابه   فأبدى لنا الكير عن الخبث والرذل

وزنته قنطارا رجيحا بمثله   إذا به قد سخ لدى الوزن عن رطل

رفعت له ذكرا بنظم محرر   فكانت جوائزي القيود على الرجل

أصون له عرضا وأحفظ حرمة   فأظفر عهدا بالسجون وبالغل

أساء بلا ذنب وأظهر سطوة   على من له ضعف وليس بذي النصل

أهان بحرمة العلوم ونسبة   إلى الله فاختار امتحانا لذي النبل

فروع صبية ضعافا ونسوة   وهدد ذا علم بضرب وبالقتل

أذاق بظلم للضعاف مرارة   يثاب لذاك بالهوان وبالعزل

أتوب إلى ربي، ومدحي بعد ذا   يعود له هجوا مريرا لدى الكل

أتـوب مـن التمويـه والمـدح للـذي بجـوره قـد ضـج الأنـام مـن السفل

أتـوب أتـوب لا أعـود لمدحـة أنـاس لهـم طبـع غلـيظ كالبغـل

أبانـت فعـال المـرء عـن كنـه أصـله ففعـل بـه التمييـز يغنيـك عـن أصـل

فـلا يرتجـى خيـر بغيـر محلـه ولا الخصب والأقوات في فدفد محل

وبعد هذا الذي مر بنا من ترجمة الفقيه أقول: رحم الله الفقيه الناصري، فقد أورد في كتابه (نعت الغطريس) من أشعار الحكمة كثيرا مما يصدق على هذا الذي جرى بينه وبين أولئك النفر الأعيان، مما لو اعتبر به لسلم ونجا من هذا الهوان، ولكن شتان بين الخبر والعيان، فقد كان قبلُ في حال هي حال أخذ وشد مع أهل السياسة، ثم انتهى به الأمر إلى أن يكون جزءا من حقيقتها وصورة من صورها، يستحضرها من أراد أن يخوض في السياسة تنظيرا أو ممارسة !! وتلك حال من أحوال صروف الدهر وطبائعه، والسياسةُ منها، فكم إنسان قام الدهر بمساعدته، ثم قلب له ظهر المجن على عادته... وقديما قال القائل:

ثلاثـة لـيس لهـا أمـان البحـر والـسلطان والزمـان

إنها لقصة من قصص الفقيه والسياسي، جرت حوادثها في زمان ومكان خاصين فاصطبغت بهذه الصبغة التي عرفناها، تحكي العلاقة بين أهل السلطان وأهل القرآن اتصالا وانفصالا، بدأت منذ زمن بعيد حين وقع نوع من الانفصال بينهما في فترة تاريخية معينة، وصار الاتصال بعد ذلك عقدة من عقد تاريخ هذه الأمة إلى يومنا هذا... حتى قال ابن خلدون قولته عن علم وتجربة - وهو الفقيه الذي خبر الساسية وعاينها -: (العلماء من بين البشر أبعد عن السياسة ومذاهبها)[1].

فليس يَعْدُ الأمر في حقيقته - من جانب الكلاويين - سوى مجرد استخدام فرد من جملة من تستخدمهم السلطة حسب ما تقتضيه ضروريات تدبير الحكم وسياسة البلدان، خاصة في لحظة من لحظات قيام ثورة أو تمرد، فيكونون ساعتها أحوج

(1) المقدمة: 1/ 754.

إلى كل ما يمكن أن يعين على إنهاء تلك الثورات وإخضاع البلاد وتهدئة العباد، فكان الناصري من أولئك النفر الذين استُنفِروا فنَفَروا واستَنفَروا، فلما قضي الأمر كان لا بد من الجزاء، والجزاء في مثل هذه الأحوال إما إلى علٍ وإما إلى سَفَل، وقد كان الثاني، تماما كمثل جزاء سِنّمار الذي بنى لصاحبه قصر الخورنق العظيم، وكذلك فقيهنا شيد لأصحابه قصرا معنويا من بيوت الشِّعر وأَطْلِيَة البيان، وكلاهما لم يشفع لهما ذلك، بل ربما لولا ذلك البناء لسلما!

ولو أردنا أن نعتذر لصاحبنا ونحمل مواقفه هذه على أحسن المحامل مما يقتضيه حسن الظن بعدما تعرفنا على غفوة البدايات ويقظة النهايات، لقلنا: لربما كان ذلك منه على ما قدَّمه هو نفسه من مبررات سبق ذكرها، وأيضا بالنظر إلى واقع المغرب آنذاك، حين تختلط طاعة ولي الأمر بمسالمة محتل دخل من أوسع الأبواب، وموقفه هذا يشبه من ناحية موقف عدد من العلماء المصلحين المغاربة الذين هادنوا الاحتلال - خاصة في مراحله الأولى - أمثال الحجوي الثعالبي وابن المواز وغيرهم؛ لولا فارق أساس يكمن في أن صاحبنا ارتمى في حضن من أعانوا وشرّعوا وأهانوا، وسَبَحَ في بحرهم وحلق في أجوائهم، ولعل فرط هيامه بآل الكلاوي وحبه لهم - كما صرح بذلك هو نفسه - لم يدع للعقل سلطانا على القلب ووجده، حتى صدر منه ما صدر، ومن الحب ما يعمي ويصم؛ بل وما يقتل.

وَعِـشْ خَالِيًـا فَالْحُـبُّ أَوَّلُـهُ عَنَـا وَأَوْسَـطُهُ سَـقَمٌ وَآخِـرُهُ قَتْـل

ثم لا ننسى أيضا أن الكلاوي في هذه الفترة هو ممثل السلطان في النواحي والمتصرف بأمره، وطاعته من طاعة السلطان، وكان كعبة كثير من العلماء والساسة والأعيان، لا يرون فيه إلا خادما متفانيا، وواليا لا يتوانى، قبل أن يصير إلى المرحلة التي انفرط فيها الحبل، ومال صراحة إلى ضد السلطان، بل كانت يده من الأيادي التي خلعته وولت غيره..

4- قضايا شرعية ومسائل فقهية أوردها الناصري

جمعنا في هذا المبحث مجموعة من القضايا الشرعية والمسائل الفقهية التي

أوردها الناصري في سياقات مختلفة ضمن كتابه (نعت الغطريس)، ويجمع أكثرها سياق عام واحد هو باب الجهاد وما شاكله، فأحببنا أن نضعها بين يديك، لما تضمنه من فوائد في نفسها ولما تشير إليه من طبيعة النظر الفقهي لصاحبها وها هي هذه:

- أورد عن التوزونيني أنه كان يتألى على الله ويضمن الجنة لمعاونيه كما يروى عن بعض أكابر المتصوفة، فسئل عن ذلك من بعض طلبته هل جائز أو ممنوع ؟ فكان الجواب منه أن ذلك لايجوز، مستشهدا بكلام بعض أئمة المغرب كأبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدلائي المسناوي في نوازله، وأبي علي اليوسي في المحاضرات.
- مسألة جواز الغيبة والهجاء، وهل يدخل في ذلك فعله هو مع الثائر التوزونيني؟ فأجاب عن ذلك بذكر المواضع التي ذكر العلماء أن الغيبة تجوز فيها مستشهدا بالبيت المشهور الجامع لها، وأن حاله مع التوزونيي يتضمن أكثر من موضع من تلك المواضع، والبيت هو:

تظلـم واسـتغث واسـتفت حـذر وعـرف بدعـة فـسق المجـاهر

- مسألة الحكم الشرعي في سكنى موضع كثر فيه الشر والظلم والباطل، مع عدم القدرة على التغيير، فأجاب بجواب أبي العباس الأبار من (المعيار الجديد) للوزاني.
- مسألة اتخاذ الحرز من آيات القرآن للشخص المريض أو الصحيح، نقل فيها الجواز على ما نقله عن مالك وفقهاء المذهب.
- مسألة هل من سنة ﷺ حلق شعره؟، يرى فيه أنه ﷺ لم يكن يفعله إلا في النسك، كما نص على ذلك العراقي في (ألفيته) وبعض شراح (المصابيح)، وجواز اتخاذ الجمة والوفرة إلى شحمة الأذن، إلا في بلاد عادة أهلها الحلق فلا ينبغي كما نص على ذلك بعضهم.

- مسألة حكم المسلمين يحملون السلاح على إخوانهم المسلمين ويحاربونهم ويحاصرونهم، قال: حكمهم حكم المحاربين يجوز قتالهم، لقول مالك وأئمة المذهب.
- وفي سياق الرد على من قال بعدم وجوب طاعة السلطان مولاي يوسف، قال: بل واجبة، لكون طاعة الإمام الذي بيعته في الأعناق واجبة بالكتاب والسنة لا ينبغي المسارعة لخلع طاعته، ولو كان الأول فاسقا جائرا، وأورد اعتراض ابن عاشر إذا كان السلطان لا يؤمن طرق المسلمين ولا يكف الأعادي، ويسلط خَدَمته على أمتعة المسلمين ودُورهم ويعذبون الناس، فهذا لا يطاع، وتعقبه بفتوى محمد بن سودة المري كما نقلها من (المعيار الجديد).
- ومن ذلك أيضا الرد على من قال بعدم وجود بيعة للسلطان المولى يوسف في أعناق من في هذه الأقطار فلم يدخلوا في طاعته حتى يقال بخروجهم عنها، فقال بلزومها شرعا حيث بايعه أهل الحواضر ومن يعتد به من العلماء والشرفاء والتجار، وما قيل من عدم لزوم بيعتهم للقدح في إمامته، وسكناهم في أرض استولى عليها الكفار، فالجواب أن بلاد الإسلام لا تصير دار حرب بمجرد استيلاء الكافر عليها، بل حتى تنقطع إقامة شعائر الإسلام بها، وأما إذا دامت شعائر الإسلام أو كان أغلبها قائما فلا تصير دار حرب، وحرمة المقام في أرض الدجن[1] مقيدة بما إذا أقام اختيارا، وأما اضطرارا كما إذا عم الاستيلاء في النواحي والأقطار ووقعت الملابسة فلا يمتنع.
- نفي الإمامة الشرعية عن الثائر التوزونيني، لكون الإمامة الشرعية لا تنعقد إلا بشروط، ومنها موافقة أهل الحل والعقد والتغلب، وما حصل للثائر ليس من هذا.
- سئل عن ما يصدر عن (آيت حديدو) من الأقوال والحكايات التي لا تليق بالله تعالى، فقال بأن بعض صورها كفر صريح كالساب لله تعالى.

---

(1) أرض الدجن: بلاد غير المسلمين يقيم فيها المسلمون ويسمى أهلها: مدجنون.

- حكم إباحة أموال من كَثَّر سواد المحاربين وأورد كلام التسولي وتفصيله في ذلك.
- حكم السجود للمخلوق، ومسألة سجود الشكر وأقوال أئمة المذهب فيه بين مانع ومجيز.
- حكم المتخلف عن الجهاد وفتوى التسولي في ذلك.
- حكم جعل الإنسان في فم مدفع لا يجوز، إذ هو مُثلة، وهي حرام.
- مسألة ضمان المفتي بفتواه إن تعمد والتفصيل في ذلك على ما قاله الإمام المازري.
- الحكم بالبدعية واستهجان ما عليه المتصوف عبد الله بن مراح المغلي الجزائري وطائفته فيما يفعلون من الرقص والغناء والاختلاط زعما أن ذلك من الذكر، ضمن هذا الحكم رجزا أسماه (الناقع القتال في قطع أكباد ذوي الضلال)، وهذا المتصوف من قصر يدعى (مُغْل) في نواحي مدينة (بشار) يبعد عنها 60 كلم بالقطر الجزائري، نزح باسم الطريقة الدرقاوية من ذلك القصر بعدما استولى عليه الفرنسيون، فصار يجمع الناس بوسم الفقر، فيلتهمون المآكل والمشارب بين القبائل مع استعمال الرقص، ولم يكن يكتفي بهذا التصوف الكاذب، بل إنه يصرح للقوم الذين معه بأقوال مثبطة عن الجهاد، وكان يظن بهذا الرجل أنه داعية مستعمر، ثم إنه قدم بلدة (ألتوروك) بكلميمة حاليا وهناك مات ودفن سنة (1330هـ)[1] ومما قاله في الرجز:

مــن الــضلالة حــضور الحــضره بالــدف والتــصفيق فــالزم نكــره

والــشطح والــرقص مــع الغنــاء محــرم قطعــا بــلا امتــراء

نــص علــى التحــريم فــي (المعيــار) فــي مبحــث الوقــف عــن الحفــار

تقــرُّب للحــق بالبطالــه مــن الغــرور فاســمعنّ مقالــه

(1) انظر خبره في: كباء العنبر: 211 - 212.

ذكـــره فـــي (عـــدة المريـــد) شـــيخ المـــشايخ بـــلا تفنيـــد

أيعبـــد الرحمـــان بالآثـــام والطـــيش والتيـــه مـــع الطغـــام؟!

والجمـــع للـــذكور والنـــسوان رفـــض لـــشرع مـــن جـــاء بالبيـــان

مطيبـــات متبرجـــات مـــن قلـــة الحيـــاء زاعقـــات

والعمـــل الـــصالح بالطاعـــات لا بـــالملاهي والمحرمـــات

ثم يقول:

يـــا أيهـــا المـــشيخ الـــضليل مالـــك أســـوة ولا دليـــل

تـــزعم أنـــك إمـــام الوقـــت وجهبـــذ مهـــذب ذو الثبـــت

عقوبـــة الـــزاعم للإمامـــه وزجـــره الـــشقاء فـــي القيامـــه

رأيتـــه نقـــلا فـــي (الابتهـــاج) عـــن عـــارف فـــي الحـــق لا يـــداجي

- مسألة حديثية: في الفرق بين التحديث والإخبار والإنباء والسماع، ومناسبتها أن الباشا التهامي الكلاوي وقائده لما حلا بتودغة في حركة 1318هـ، كان الباشا يواظب على قراءة كتاب (الشفا) للقاضي عياض مع طلبة العلم وبين جلاسه، فسأل الباشا يوما الطلبة عن الفرق بين التحديث والإخبار والإنباء والسماع، فسكتوا ولم يجيبوا، وسئل المهدي فأجاب نظما ونثرا، وذكر الخلاف في ذلك، وأشار إلى مذهب الشافعي والجمهور أهل المشرق بقوله نظما:

حـــدث أنبـــأ كـــذاك أخبـــرا ألفاظهـــا مثـــل الـــسماع قـــد جـــرى

فـــذا هـــو الأصـــل لـــدى مـــن ســـبقا مقـــل البخـــاري وبعـــض فرقـــا

فقـــرروا التحـــديث والـــسماع مـــا يـــسمعه الـــراوي مـــن الـــشيخ فاعلمـــا

وخصـــصوا الإخبـــار بالـــذي قـــرا عـــن شـــيخه التلميـــذ أمـــر قـــررا

وأفـــردوا الإنبـــاء بالإجـــازة فهـــاك نعتـــه بـــلا محـــازة

5- نماذج أخرى من شعره

قال في محمد الهاشمي بن المولى المامون البلغيثي الملوكي نسبة إلى قصبة سيدي ملوك المدعو "با سيدي" كان قد سجن عند التوزونيني ونوى قتله فنجا، كان من جلاس المولى رشيد بن محمد بن المولى عبد الرحمان والي تافيلات على عهد المولى الحسن الأول وعبد الحفيظ وعبد العزيز، توفي في (1364هـ) وصلى عليه الفقيه عمر الحديدوي[1].

يـا مـولاي الملـوكي إنـك بـارز	فـي العلـم والتحقيـق والإتقـان
الغيـثُ جـدُّكَ، والغِيـاثُ لمـن هَفـا	فـسَمَتْ فـضيلتُكم عـلى الحُـسبانِ
تـدعَى بـسيّدِنا الهـمامِ، المرتَـضى	فخـرِ الأئمَّـةِ، ذي النـدى الهتـان
العـالمُ النِّحريـرُ، والعَلَـم الـذي	أعلـى بوصْـفِ العـلم، والتِّبيـان
طُبِـعَ الفـؤادُ علـى الـمحبَّة إذ غـدَتْ	فرضًـا علينـا، بـيِّنَ البرهـان
طـوبَى لبـلدتِك الـسعيدةِ، إنّهـا	قـد حـذَتْ فخـرًا مـدى الأزمـان
طـوبَى لهـا بجـواركم طـوبى لهـا	طـوبى لـساكنِها، الرفـيع الـشان
مأوى العلوم مأوى الفحول مأوى الـ	ملـوك الأكـارم مـن بنـي عـدنان
سـر المـسرات منبـع البركـات قـا	عـدة المغـارب صـرة البلـدان
شـهد العيـان بـأن سـرها بـاهر	لـم يجحدنـه سـوى ذوي الخـسران
بعلـي مولانـا الـشريف قـد ازدهـت	فتقاصـرت عنهـا خطـا الأذهـان

وقال في الباشا الحاج التهامي:

سـلامٌ علـى البحـر الخِضمِّ ومـن بـه	مـدينَتُنا الحـمراءُ، تزهـو وتـسعدُ
سـلامٌ عـلى المُحيـي بعدلِـهِ غربَنـا	سـلامٌ نفـيسٌ دائمـا يتجـدَّد
سـلامٌ عـلى الليـث الـذي لـه تخضعُ	خلائـقُ رَبِّ العـرشِ طـرّاً، وتـسجُد
سـلامٌ علـى مَـنْ منـه حـاتمُ طـيِّهم	تعـلَّم جُـودًا، والـورى لـه تَقـصِد

(1) المعسول: 16/ 347.

سـلام علـى البـدر المبجـل قـدره سـلام علـى الباشـا التهـامي الممجـد
سـلام علـى مـن أولاه الملـك ربنـا وهـو فـيهم بـالله أمـر مخلـد
سـلام علـى الجـلاس والقربـى كلهـم ومـن لكـم بالإحـسان والفـضل يـشهد
سـلامٌ علـى مـنْ إن طفِقـتُ بـمدحِه سمعتُ لسانَ الصدقِ في الناس يُنشد
ولمـا رأيـت البحـر فـي الجـود آيـة ومـن جـوده الـدر النفـيس المقلـد
سـألته: مـن فـي النـاس علمـه النـدى؟ فقـال ابـن مـزوار وزيـر مؤيـد

وقال في محمد بن محمد المزوار (القائد حمو):

إن رمـت فـوزا بـالمنى إنـسان فـاحفظ نـصيحتي واسـمعن تبيـان
يمـم فنـاء البحـر مـن عـم فيـضه شـرقا وغربـا منيـة الركبـان
بـدر المعـالي ذو الفتـوح محمـد ذاك الـرئيس الألمعـي سـلطان
مـولاي مـن حـاز المفـاخر كلهـا قطـب الـورى يـسمو علـى الـسرطان
ذاك الأصيل المعطى في الورى سؤددا أعـزز بـه مـن كامـل الإحـسان
طـود العـوالم وارث العـلا كـابرا عـن كـابر عـن آلـه الأعيـان
غمر الـرداء وحـاتم العـصر في الـورى قـرم مالـه مـن ثـان
نـشر الـصبا احمـل سـلامي لربعـه وبحـالي نبـئ غائـث اللهفـان
إبـراز شـوقي تكفـي فـي بطـاقتي والحـال فـي الخيـر الرفيـع الـشان
دامـت بـيمن للـورى أيـامكم بالمـصطفى الهـادي النبـي العـدنان
صـلى عليـه الله مـا قـال منـشد إن رمـت فـوزا بـالمنى إنـسان

وقال في الكاتب أبي حفص عمر بن عبد السلام المسكيني ملما بالقائد حمو:

جـزى الإلـه أبـا حفـص بخيراتـه دنيـا وأخـرى بجـاه صـفوة العـرب
بـأمر قائـدنا إذ قـام وانتظمـت لـه الأمـور فكـان الأولـى فـي الرتـب
تـراه محتزمـا فـي الأمـر مبتـسما بـالخير متـسم والبـشر والأدب

تعلــو الجلالـــة شخـــصه فطلعتـــه   تحكي المطالع بل كالشمس في الشهب
أجــاد بــل أحــسن النــزول إذ جــاءه   البـشير بوفـدنا أكـرم بـذي الحـسب
إن الأكـــارم لا تخفـــى علامـــتهم   والفعـل يغنيك بـل ينبيك عـن النسب
فــالله يرعــاك يــا صـدر الكتـاب أبـا   حفـص ومـن بمـا يرضيك مـن أرب
وامــنح الــستر والأنعــام أســبغها   وأصـلح الـدين والـدنيا بـلا تعـب
ومتـع الكـل فـي طـول الحيـاة وبمـن   لـــه الفـــضائل ترتقـــي وتقتـــرب
ذو الفـتح والـسعد والإقبـال قائـدنا   محمـد صـاحب الإفـضال والقـرب
لا حــول الله حــالا مــذ حبــاه بــه   وكثر النسل في الأمن وفي الخصب
بــاليمن والأمــن قــد دامــت أوامـره   والـصدر والـورد بالإسـعاد ينـسحب

وقال في امبارك التوزونيني الثائر بتافيلالت في بداية ظهور أمره:

حــذار هــداك الله إن جئــت أفلــين   فتى تـزعم الجهـال مـن صلحا العـصر
ومــا هــو إلا خــادع الـورى جاهــل   ومــا جاهــل لكــم يفــوه ولا يــدري
تأملــت حالــة منــه حالــة زنــديق   فكيف وقد يبدي خلاف ما في الصدر
فتــى رام أن يــدعي أميــر الحطــة   بـدون مـا إرث أي جهـول أخـو الكبـر
فتبــا وبعــدا ثــم تبــا مــا أزهــاه   وتبــا لــشيطان تمــرد فــي القطــر
تــراه إلــى الجهــال يبــدي بــشاشة   وتقـوى وخـوف الله فـي حالـة الجهـر
وقـصده أكـل النـاس لا شـك حيلـة   فـدع عنـد ذا وجهـين تـنح مـن الـضر
حمـار بـين الأغمـار مـن فـرط حمقـه   خلافـة قـد يبغـي علـى الزيـد والعمـرو
نـصحته يومــا أتــى نـصح برقعــة   يلين لهـل صدر ولـو أقسى من صخر
فـــأعرض عنهـــا ثـــم زاد تكبـــرا   واســـته عريـــان لكنـــه لا يـــدري
ألا أطـرق كـرا إن النعامـة فـي القـرى   أيــا كــاهن لازلــت للــورى ذا غــدر
فيـا لفحـول الـصدق قومـوا لكـاهن   يمــزق ديــن الله فــي صــارم يفــري

وقال فيه أيضا لما اشتد أمره وصار يتوعد الناصري لميله إلى الكلاويين وعدم استجابته لندائه:

ألا أبلغوا عني الأرانب أنني	أقمت لهم ثقاف حرب على ورد
فآليت لا أنفك أحدو قصيدة	بكون وإياها بها مثلا بعدي
فكم خاطب ليلى وليس بكفئها	ويبغي الوصال وهو في غاية البعد
تنح فإن الأمر عنك بمعزل	فلا يخطب العلياء ذو القشف والهرد[1]
فما كل ذي عرف طويل وحافر	صهولا له حكم المسومة الجرد
ولا كل من له الزئير ومخلب	نفوخا له حكم الهزابرة الحرد[2]
فحسبك أن تأتي لنا متواضعا	ودع عنك ذا التهديد في الجد والضد
متى أبصرت عيناك في الدهر باطلا	تقابل بالحق الصحيح من العقد
متى أبصرت عيناك بوما تقابلت	لصقر عروق بالمقاتل للصيد
متى أبصرت عيناك ذئبا مقابلا	لليث تقلد الحسام من الهند
متى رأى ذوق ذو السلامة علقما	تساوى مع الأري اللذيذ من الشهد
كلام قد استفيد فيه جهالة	وخسة عقلك المخبل بالنكد
فما هو في التمثيل إلا كضرطة	تهين أخاها وهي في الغير لا تجدي
فما تأثير في الليل للكلب يرتجى	إذا استقبل الهلال يعوي بلا قصد
فلو دعا داعي القوم يا أحمق الورى	أجبت له بلا ثوان ولا رد
أهذى الذي هذى بما لا يطيقه؟	وليس بذي صدر وليس بذي أيدي
فهل لك في علم البلاغة شركة	تماري بها يوم النضال مع الند

(1) الهرد: الهرج والفوضى.

(2) الحرد: الغيظ والحنق.

متى ترعوي عن فحشك أيها البذيء فهوسك مشهور لدى الحر والعبد
وأي جهاد للذين تحزبوا للترك للصلاة في الحر والبرد
فكأنهم لم يعلموا بوجوبها ولا سمعوا فيها الزواجر كالرعد
فكم قام ناس حولهم لصلاتهم وهم في كلام السوء في القصر والمد
ففي (الحاوي في علم الفتاوي) أدلة تدل على كفر التارك كذي الجحد
فما شأنكم سوى الفجور وباطل وسفك دماء المسلمين على العمد
تأمل يا هيان بن بيان من بذى خطابا تعاين ما يسوؤك من جهد
فرب حمار ما مشى إلا بالعصا ورب كليب ما تناهى بلا طرد
فلولا سباق الخيل ما بان بارع أصيل وهملاج ثقيل لدى الشد
ولولا اختيار الأواني بنقرة لما بان مصدوع من السالم الصلد
فهذي قصيدة تمزق عرضكم تذوب بفحواها القلوب لدى السرد
كلام بليغ ذو معان صحيحة مهذب أوزان يلوح على البعد
ولو شئت أن أزيد هجوا لزدته لقاصد عرضي ذو الكهانة والكيد
ولكن هذا القدر فيه كفاية لرجم سفيه قد تقعد عن بعد
فهذا جزاء من يمد بكفه إلى غار ذي سم يسخم للخد
فإن عدت عدنا بالمعاني غزيرة أقر لربي لا لغيره بالحمد
وأستغفر الله العظيم من الذي لهجت به من الإساءة والعمد

وقال يدافع عن فتواه في عدم وجوب الدخول تحت طاعة التوزونيني وكونه ليس بولي الأمر الشرعي، وكون طاعة المولى يوسف هي الواجبة، معاتبا بعض أهل العلم ممن كان في صف الثائر كان قد رد عليه فتواه:

تأمل هداك الله نص جوابنا تر الحق واضحا بأقوم حجة
عليه فعول والتمس لجوابكم دليلا صحيحا من كتاب وسنة

وإلا فامض في تيه وعمياء سالكا	بغير دليل في شعاب مضلة
أتنكر فتيا بالصريح تأيدت	مكابرة راض بحال محطة
نسبت نقولا كالدر لتخليط	ففهت بتخمين وحدس بحيرة
وأنت الأريب للنقول محررا	فخيلت أوهاما بغير تثبت
ومن حق أسرار العلوم استتارها	وتنزيهها عن كل نفس دنية
تبيح دما الإسلام للنص نابذا	فحكمت عقلا يا فقيها ذا فطنة
فأصبحت لم تبل بقول معاتب	فرمت مراما أنت عنه بعزلة
حرام حرام اقتناصك أحكاما	وأنت مقلد فاخسأ وانصت
فهذا جوابي والسلام عليكم	فإن عدت عدنا للصواب وحكمة

ولما قتل التوزونيني على يد قائده بلقاسم الأنكادي قال معبرا عن ابتهاجه بذلك:

الحمد لله الذي كفانا	بفضله وشره وقانا
وصلواته على المنصور	محمد الماحي دجى الفجور
هذا وقد مات إمام الجور	سيد كل فاجر كفور
مهدي اللئام من بني عطاء	ومن نحا نحوهم في اعتداء
ذاك الذي يعزونه للسوس	ومذهبا ينمى إلى المجوس
كم بدعة أسسها ذو الجهل	كم ظلمة أورثها للعقل
كم مسلم قتله بالظلم	كم من فتنة أيقظها من نوم
وكم له من أموال الحرام	جمعها بالغصب والآثام
كم بهتا قرره للغمر	كم عنده من عبد أو حر
ولم يرد بها جهاد الكفر	بل قصده محو طريق الخير
كم أظهر الخيال للأعيان	كم أطمع الجهال بالأماني

كم زهد الطغام في الأحكام كم رغب الأنذال في الآثام
كم بغض العلم لحزبه السخيف كم غضه من صاحب القدر المنيف
كم جرد السيف على الهداة كم بذل البر إلى العصاة
قد سلب الحياء والمروءه متصفا بالصفة المشنوءه
عدوه ذو العلم والديانه بغيضه ذو الحسب والصيانة
وميله للجهل والأغمار وكل شرير من الفجار
مجلسه لأوباش البرابر ووده لكل ذل المناكر
عار من الخير قرين الشر به اغترار حاصل للحمر
قد ضيع المفروض والمسنونا مرتكبا بغيه المجونا
هذا ولم يبل بذاك الفعل كأنه من واردات النقل
عن فعله عضده الطغام من دأبه المساوي والآثام
يدعونهم بزعم سلطانا ونبذوا لعيثهم إيمانا
واشتغلوا بالسفك للدماء والنهب للأموال بالعماء
مستسهلين حرمة الإسلام مرتكبين أعظم الآثام
عنْ ظُلمِهم أعانهم مغتُوه لُقِبَ بالفقيهِ بَلْ سَفِيه
سَفْكُ الدِّمَا والنَّهبُ بِالإجماعِ مُحرَّمٌ قُلْهُ بِلا نِزاعِ
صاحِبُ ذَا يُوصَفُ بِاسْتِزْدادِ يُقْتَلُ زَجْرا لِذَوِي العِنادِ
لِتَبْكِهِ الجُهَّالُ والأغْمارُ لِتَبْكِهِ اللَّصوصُ والفُجَّارُ
لِتَبْكِهِ قَبيلَةُ عَطَّاءِ لِيَبْكِهِ (المَرْغادي) بِالرِّثاءِ
لِيَبْكِ فَقْدَ شَخْصِهِ إبْليسُ وَكُلُّ جِلْفٍ جَاهِلٍ نَحِيسِ
لتبك عفر وجهه الكهانه والسحر والتدجيل والخيانه
ذا القدر كاف في الذي أردنا فالحمد لله على ما نلنا

ثــم صـــلاته علـــى المختـــار مــا قيـــل مـــات إمـــام الفجـــار

وأســـأل الله لنـــا الـــستر العمـــيم بجـــاه كـــل مـــن لـــه جـــاه عظـــيم

وله في التوسل نظم قاله أيام الصراع مع التوزونيني، كانوا يرددونه طلبا للسقيا بعد أن انحبس المطر مدة:

مـــددنا أكـــف ذل وافتقـــار لمـــن هـــو اللطـــف منـــه قـــد شـــملنا

يـــا رب بجـــاه أحمـــد الرســـول أغثنـــا عـــاجلا ســـقيا طلبنـــا

لقـــد ضـــاعت الـــزروع لنـــا وصـــرنا حيـــارى ذاهلـــين ممـــا اقترفنـــا

وقـــد غـــرث البهـــائم والعيـــال ولطفـــك ســـيدي فـــورا رجونـــا

فـــلا تـــردد دعانـــا ولا تخيـــب ظنونـــا فيمـــا عنـــدك قـــد رغبنـــا

وعاملنـــا بلطفـــك يـــا كـــريم بحلمـــك لا تواخـــذ إذا اجترمنـــا

فأنـــت الله ذو كـــرم عمـــيم وعفـــوك واســـع مـــا قـــد جنينـــا

فـــلا تقطـــع لنـــا حـــسن العوائـــد ولا تعجـــل بـــسوء مـــا فعلنـــا

أتتركنـــا ونحـــن لـــك العبيـــد أنـــت إلهنـــا لطفـــا أنلنـــا

فـــسارع يـــا مجيـــب لمـــن دعـــاه بغيـــث هاطـــل إنـــا عطـــشنا

فأســـقنا وابـــلا صـــوبا نميـــرا بخـــصب يـــا لطيـــف قـــد ظمئنـــا

وأســـقنا نافعـــا غيثـــا مريعـــا بـــه نحيـــا ونحـــرز معـــه أمنـــا

بمـــن ســـهر الليـــالي بالزهـــاد بأطفـــال صـــغار قـــد ســـألنا

بحـــق شـــيوخنا الرســـاخ فـــرج بفـــضلك كربنـــا إنـــا اضـــطررنا

بـــسيدنا الرســـول ومـــن إليـــه تقـــرب أو تحبـــب فـــاعف عنـــا

عليـــه صـــلاة ربنـــا مـــع ســـلام وآلـــه والـــصحاب بهـــم أغثنـــا

ولما جاء الكلاوي في حركته وطرد باعلي من تودغة أنشأ يقول محتفلا بالانتصار:

تأمـــل يـــا ابـــن لـــوم مـــن أتـــاكم مـــن الـــشجعان فـــي يـــوم الطعـــان

تفوز بما يسوؤك عن قريب وتجني ما غرست بذا الأوان
زعمت خلافة من غير أصل ونلت الحرب في طول الزمان
غدرت بفتية وفعلت نكرا فأبشر بالمذلة والهوان
وضرب بالحسام على النواصي وطعن بالرماح بلا توان
وتنكيل لمن معكم ومنكم وطرد والخروج من المكان
فكم جرحى وكم قتلى بأرض وكم أسرى تصير إلى امتهان
وكم رأس منم الفساد أمسى قطيع الرأس يرفع بالأذان
ألا يا معشر الفساد لوذوا بسيف الله تسعدوا بالأمان
بشبل سادة غر ليوث جلاليد لهم سر المعاني
بنو المزوار منبع كل سر وأصل الخير فازوا بالتهاني

ولما هزم القائد الكلاوي الفاتك (باعلي) قال مادحا القائد وهاجيا لهذا الأخير ولقائده النكادي:

هل سمعكم خلف المهيمن قد وعى لبشارة نادى بها سيف الجلالْ
فخر الأكابر بيد أنه حامل للوائهم غيث سجاياه النوال
تاج الأفاضل سر ربنا من غدا يسمو بهمته المنيفة للمعال
كهف العدالة ناصر الحق دائما مقفي الشرائع وراكع طول الليال
شبل الليوث (محمد بن محمد) بطلوعه تزهو الخلافة في الجمال
حسب الزمان أن يكون إمامه فتحلى فخرا بالمحاسن والكمال
ورث السيادة كابرا عن كابر من آله الأخيار أولاء الخصال
والعجب من شخص تسمى بقاسم زعم الخلافة بالجهالة والضلال
إذ سولت له الخبيثة ما ادعى بوفاق من يرمي بنفسه في المحال
وعلى الحروب تقدم التزراني من يدعى بـ (بعلي) ذو البسالة والنكال

فـــاهتز ســـيف الفخـــر ثـــم تقلـــدا بحـــسام نـــصر قـــد أعـــده للقتـــال

ولوجهـــة الثـــوار أرخـــى عنانـــه والعـــز يمـــشي أمامـــه يحكـــي الجبـــال

لهنيـــة نـــادى المنـــادي فـــي الـــورى أيـن الخليفة ؟ أين (بعلي) في الرجال

ويـــداره طيـــر الخـــلاء وبلبـــل لـــم لا وقـــد أبـــدى الـــضفاهة باتـــصال

قـــل للبـــاغي ذاك الـــذي عـــم جـــوره قطـــر الـــصحاري بـــل شـــروره بـــالتوال

قـــل للبـــاغي أيـــن الجيـــوش؟وأين مـــن عنـــه المعـــول فـــي الـــشجاعة والنـــزال

بـــشرى لنـــا أردى الغبـــيَّ مَـــن بغـــى فـــرعُ الـــشجاعة والبراعـــة ذو ابتهـــال

أودى البغـــــاة الحمـــــد لله ربنـــــا بـــسلاح قائـــدنا المؤيـــد ذي الجـــلال

ونختم الحديث عن المترجم بأبيات لناظمها محمد الراضي قالها في مدح العلامة المهدي الناصري كتبها في (3 رجب 1336هـ) كما قد وجد في ورقة، وهي هذه:

منـــي الـــسلام مـــع أمـــان كامـــل علـــى إمـــام العلمـــاء الكامـــل

محمـــد المهـــد الفقيـــه الناصـــري بعلـــم ســـره وعلـــم الظـــاهر

ســـنة جـــده النبـــي مـــن زينـــب بنـــت البتـــول بـــضعة المقـــرب

أكـــرم بأصـــله أخـــي وثـــق بـــه مـــن طرفيـــه أمـــه وأبـــه

وأعطـــه التـــسليم فـــي العلـــم وفـــي عملـــه بـــه وفـــي التعفـــف

وصـــبره وحلمـــه وبذلـــه وزهـــده وصـــدقه فـــي قولـــه

دعـــا العبـــاد لاتبـــاع الهـــادي وخفـــض الجنـــاح للعبـــاد

وعمـــر الأوقـــات بالأذكـــار والفكـــر تلـــك شـــيمة الأبـــرار

وبالـــصلاة دائمـــا علـــى النبـــي وآلـــه وبجميـــع القـــرب

يعلـــم العلـــم علـــى أنواعـــه ويـــأمر الطالـــب باتباعـــه

وتـــارة يغـــوص فـــي الحقـــائق وتـــارة يرشـــد للخـــالق

وتـــارة يعـــظ للأقـــوام والنـــاس تأتيـــه علـــى الـــدوام
يـــأوي الفقيـــر يكـــرم الأضـــيافا يعامـــل المـــشروف والأشـــرافا
وينـــزل النـــاس منـــازلهمُ أمـــره الله بـــذاك لهـــم
مـــشارك نزيلـــه فـــي كـــل مـــا ملكـــه إلا الـــذي قـــد حرمـــا
أوصـــافه تعـــزى إلـــى الكمـــال بـــل هـــو للإلـــه ذي الجـــلال
خلقـــه وخلقـــه وأصـــله وبذلـــه وقولـــه وفعلـــه
لا ينكـــرن فـــضله غيـــر الغبـــي خبـــث الطبـــاع عـــرب أو عجـــم
لا يعـــرف الفـــضل وأهـــل الفـــضل إلا ذوو القـــسط مـــن أهـــل العقـــل
يـــا أيهـــا المهـــدي للـــضلال يـــا أيهـــا المقـــسط فـــي الأفعـــال
يـــا أيهـــا الفقيـــه فـــي العلـــوم يـــا أيهـــا الناصـــر للمظلـــوم
يـــا أيهـــا المكـــرم للأضـــياف يـــا أيهـــا الموصـــوف بالإنـــصاف
يـــا أيهـــا الخبيـــر بـــالأمور يـــا أيهـــا المطفـــي للـــشرور
يـــا أيهـــا المطعـــم للأنـــام يـــا أيهـــا الفـــصيح فـــي الكـــلام
يـــا أيهـــا الزاهـــد فـــي دنيـــاه يـــا أيهـــا الراغـــب فـــي أخـــراه
إن خليلـــك يـــردد الـــسلام عليـــك فـــي بـــدء الكـــلام والختـــام

أعلام آخرون

37- عبد الله بن عمر التدغي

عاش في القرن العاشر الهجري، هكذا هو في فهرس خزانة كلية القرويين، ورد اسمه ناسخا لكتاب (الفصوص) لأبي العلاء صاعد بن الحسن الربعي الموصلي البغدادي المتوفي سنة (417هـ)، ضمن مخطوطات خزانة القرويين، ويعود تاريخ نسخ الكتاب إلى عام (969هـ)، وهو من تحبيس السلطان أحمد المنصور الذهبي على خزانة كلية القرويين العامرة وعليه خط يده[1].

38- الناصر بن علي بن موسى بن يوسف ابن إبراهيم ابن الحسن التدغي

كان حيا في فاتح شعبان سنة (1003هـ)، وهو التاريخ الذي نسخ فيه كتاب (شرح عقيد أهل السنة)، كما هو مثبت في فهرس مكتبة الجامع الكبير بمكناس ضمن مجموع مجهول الشارح برقم: 233[2].

39- عبد الرحمن بن محمد اليعلاوي

من اليعلاويين التدغيين، نسبة إلى قصر آيت يعلى أسفل تودغة، ذكره محمد بن الحبيب التمنوكالتي في (العقود اللؤلؤية) وحلاه بـ (النجم) ضريحه بمنطقة (أستور) بدرعة، وقد نص في موضع آخر على نسبتهم التدغية هذه، ولا يزال بعضهم يحتفظ بنسبته التدغية اليعلاوية إلى اليوم في كناهم، ولحفدته ظهائر سلطانية يرجع أقدمها إلى سنة (1183هـ) وآخرها إلى (1316هـ) وقف عليها الأستاذ المهدي الصالحي في رحلته الدرعية، ومن هؤلاء التدغيين اليعلاويين آخران نذكرهم على التوالي:

---

(1) دعوة الحق: عدد 85.

(2) ص 156.

40- أبو سرحان مسعود بن محمد التدغي اليعلاوي

هكذا وقفنا على اسمه كاملا في المخطوط الذي بين أيدينا، ولم أستطع الجزم أولا أ هو من اليعلاويين القاطنين بتودغة أم ممن رحلوا منها إلى درعة؟ حتى وقفت على ترجمته في (مرآة المحاسن) منسوبا إلى درعة، ترجم له أبو حامد محمد العربي بن يوسف الفاسي (ت 1053هـ) في هذا الكتاب باعتباره ممن أخذ التصوف عن والده أبي المحاسن يوسف الفاسي، فهو أول وأقدم من ترجم له، ومما قاله فيه: (شيخ الأحوال والبركات والكرامات، وله أصحاب كثيرة، ظهرت عليهم بركته، وكان لا يفتر لسانه عن الصلاة على النبي ﷺ، وكان بادنا، ولم يكن أكولا، فسمعته يقول: "إنما بدنت بالصلاة على النبي ﷺ، فهي لي طعام وشراب" وكلاما هذا معناه، وكان في أول أمره فتح له على يد الشيخ أبي المحاسن، وكان قد بوده مذ أول أمره بحال عظيم، وكان ذلك في القصر، وفي حياة الشيخ أبي زيد المجذوب، وأوصله الشيخ أبو المحاسن إلى الشيخ أبي زيد قبل وفاته بنحو شهر أو أكثر يسيرا، فلازمه إلى موته، وأدرك منه ما لم يدركه من لازمه سنين طويلة، والفضل بيد الله يوتيه من يشاء)[1] وقال في (ممتع الأسماع) (كان ذا حال عظيم وكانت غيبته في النبي ﷺ، وكان لا يفتر عن الصلاة عن النبي ﷺ ولا يقنع بذلك حتى يستأجر الأجراء ويجلسون يصلون على النبي ﷺ وهو يشاهد ذلك ويسمعه، وذكر أنه كان إذا جنه الليل قعد على حائط لئلا يسترقه النوم ويفتر على الصلاة على النبي ﷺ)[2]. وترجم له كذلك صاحب (سلوة الأنفاس) ومما ذكره أنه كان في بداية أمره حرسيا أو شرطيا فتاب على يد الشيخ أبي المحاسن، وحج مرات عديدة[3].

توفي بفاس كما نقل معاصره وابن شيخه صاحب (مرآة المحاسن) سنة

(1) صفحة: 296.

(2) مخطوط خاص: 269.

(3) الروض العطرالأنفاس: 178 صفوة من انتشر: 120 الدرر الرصعة: 2/ 655 السلوة الانفاس: 2/ 310.

(1011هـ)، وحضر جنازته خلق عظيم، ودفن خارج باب الفتوح في سفح المصلى وبنوا عليه، وذكر القادري في حوادث عام (1067هـ) أنه تم تجديد ضريحه وكتبت عليه أبيات للحافظ عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي[1].

والمخطوطة المذكورة عبارة عن نظم لحكم ابن عطاء الله السكندري (ت 709هـ) وقفنا عليه في الخزانة الحسنية[2]، أسماه (المرشد لله الحكم) إلا أنه ناقص، وعدد أبيات ما في هذا المخطوط 426 بيت، نظم فيه ما يقرب من 116 حكمة على ترتيبها المشهور وفق تبويب معين.

ولسنا في حاجة للتعريف بمتن الحكم وصاحبها وما لقيت من العناية شرحا ونظما، غير أننا نُذكّر على عجل ببعض من نظمها من المغاربة المتأخرين، فمنهم العلامة حمدون ابن الحاج السُّلمي (ت 1232هـ)، والعلامة عبد الكريم بنيس (ت 1350هـ) أسماه (الواضح المنهاج في نظم ما للتاج) في 665 بيت على روي حرف اللام وهو نظم رائق مطلعه:

حمدا لمن عَمَّنا في سابق الأزل   برحمة وسعت كُلًّا بلا عمل

ويقول في الحكمة الأولى:

فمن علامة الاعتداد بالعمل   نقصان حال الرجا في حالة الزلل

وكذا العلامة الأديب السوسي الطاهر الإفراني (ت 1374هـ) الذي وصف المختار السوسي نظمه بأنه عجيب يفوق نظم معاصريه عبد الكريم بنيس ومحمد

(1) نشر المثاني: 2/ 86.

(2) برقم: 14120 تحت عنوان: (المرشد في نظم الحكم العطائية) وقد جاء في الورقة الأولى ما يدل على نسبة المنظومة إلى صاحبها، نص على ذلك كاتب الورقة الذي هو صديق حفيد الناظم المسمى أحمد بن قاسم المنصوري المكناسي دفين تادلة وجدها بخط يد هذا الحفيد، ثم نقل نص كلام الحفيد هذا الذي نقل بدوره ما كتبه شيخ المغرب في وقته العلامة عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي (1091هـ) من تقريظ على النظم بعد أن نسبه لصاحبه وشهد عليه كلا من محمد بن محمد الصغير الدكوكي وأحمد بن علي بن عمران.

ابن العربي الأدوزي (ت 1323هـ) ومطلع نظم الإفراني البالغ 727 بيت:

الحمد لله والشكر لمؤتي الحكم   لمن يخص بجزيل النعم

ويقول في الحكمة الأولى:

علامة اعتمادنا للعمل   نقص الرجا عند وجود الزلل

وهذا نص نظم الحكم لأبي سرحان مسعود بن محمد التدغي اليعلاوي المسمى:

المرشد لله الحكم في نظم الحكم

الحمد لله العظيم ذي الجلال   المتوحد بأوصاف الكمال

فمن له علم بأمراض القلوب   وبتداويها وأدران العيوب

وغيره التسليم حق واجب   عليه وليخش الذي يراقب

إذ قل أن يَسْلَم من يصنف   من جهل أو خطا ومن يؤلف

لا سيما الخائض في ذا الشان   مع شرور آخر الزمان

سميته لِما مِن أسرار الحِكم   حواه: بالمرشد لله الحَكم

فيرشد السالك للوصول   لله والمجذوب في النزول

حملني عليه شوق نزلا   من عند ربي وفؤاد زلزلا

فانفجر النظام من خلاله   من غير قصده ولا احتياله

إلى المناجاة فكف ما انفجر   بقدرة الله جرى على قدر

وقصدنا علم القلوب بالبيان   إذ كثر التصنيف في علم اللسان

لأن بالتوحيد ينجو من نجا   من العذاب والجزاء يرتجى

إذ هو شرط صحة في الإيمان   ومنه ينصع مراد الإيقان

وفيه من علم التصوف النفيس   ينقي البواطن من أكدار النفوس

ثـم يحليهـا حلـى المفـروض فالزمـه فهـو أوكـد الفـروض

واجـتن منـه ثمـر السـعادة ترجـو بـه الحسنى مـع الزيـادة

كمالـه يكـون مـن معـرف يوجـد فتحـا لا ببحـث فـاعرف

لكـن بـاب الله بالتـصديق يقرعـه المخـصوص بـالتوفيق

وأسـأل الله جميـل الـصفح عـن زللـي وسـتره عـن قـبح

وهـا أنـا أشـرع فـي المقـصود بعـون ذي الطـول العظـيم الجـود

أفـول غيـر الله كـان مـع عمـل أو علـم أو حـال ومـا الغيـر شـمل

عمـدة جاهـل غفـول وسـند لـه وعـارف علـى الله اعتمـد

قـال رضـي الله عنـه كاشـفا عـن اعتمـاد جاهـل وواصـفا

فـي اعتمـاد عامـل علـى العمـل وجـود نقـصان الرجـا عنـد الزلـل[1]

لخوفـه، كمـا بـه زيـاده موجـوده لطاعـة مفـاده

لأنـه ينـسب للـنفس العمـل ويطلـب الحـظ لهـا بمـا فعـل

العـارف الموحـد الـذي استوى رجـاؤه وخوفـه فمـا ونـوى

شـيئا مـن الأغيـار قـط وقـصد فـي كـل حالـة علـى الله اعتمـد

إرادة التجريـد والله مقـيم إيـاك فـي مبـاح الأسـباب ذمـيم[2]

فـي أدب مـن شـهوة خفيـة قـف مـع مـراده بحـبس نيـة

وعكـس ذا انحطـاط مـن إراده مـن همـة عاليـة مفـاده

وحكـم كـل منهمـا أن يلتـزم حيـث أقـيم إن عـن الله فَهِـم

(1) إشارة إلى الحكمة الأولى وهي قوله: من علامة الاعتماد على العمل، نقصان الرجاء عند نزول الزلل" وتليها في الهواش اللاحقة باقي الحكم.

(2) "إرادتك التجريد مع إقامة الله إياك في الأسباب من الشهوة الخفية، وإرادتك الأسباب مع إقامة الله فى التجريد انحطاط عن الهمة العلية".

فإنــــه مـــــن خـــدع الــــشيطان	يريـــــد الانتقـــــال لا العرفـــــان
ســـوابق الهمـــم ليـــست تخـــرق	أســـوار الأقـــدار وليـــست تطـــرق[1]
وعنـــدها يوجـــد لا بهـــا فمـــا	تـــدبير عبـــد بمفيـــد فاعلمـــا
أرح مـــن التـــدبير نفـــسك فمـــا	قـــام بـــه غيـــرك عنـــك كرمـــا[2]
فـــلا تقـــم بـــه فربـــك ضـــمن	الـــرزق ياتيـــك بـــه وهـــو قمـــن
قـــد أمـــر الله عبـــاده بـــأن	يجتهـــدوا فـــي مطلـــب مـــنهم وأن[3]
يفرغـــوا قلـــوبهم ممـــا ضـــمن	وعكـــس ذا دل علـــى عمـــى كمـــن
لـــدى بـــصائرهم إذ طمـــست	بغفلـــة عـــن ربهـــا مـــا اقتبـــست
فـــلا يكـــن تـــأخر العطـــاء	عنـــك مـــع الإلحـــاح فـــي الـــدعاء[4]
موجـــب يأســـك مـــن الإجابـــه	فثـــق بهـــا وكـــن علـــى الإنابـــه
فهـــو لهـــا الـــضامن فيمـــا اختـــار	لـــك مـــن الأشـــياء، لا اختيـــار
لـــك، وفـــي الوقـــت الـــذي يريـــد	وقوعهـــا لا فـــي الـــذي تريـــد
الحـــق ســـبحانه لـــيس مخلفـــا	ميعـــاد إن وعـــد فهـــو ذو الوفـــا[5]
فـــلا يـــشككن فـــي الوعـــد عـــدم	وقـــوع موعـــود وقـــف علـــى قـــدم
صـــدق بـــه، وإن مُعَـــيّن الزمـــان	لعلـــه فـــي الغيـــب بالـــشرط، فكـــان
الـــشك قـــدحا لـــك فـــي البـــصيره	مـــع اختمـــاد النـــور فـــي الـــسريره

(1) "سوابق الهمم لا تخرق أسوار الأقدار".

(2) "أرح نفسك من التدبير، فما قام به غيرك عنك لا تقم به لنفسك".

(3) "اجتهادك فيما ضمن لك وتقصيرك فيما طلب منك؛ دليل على انطماس البصيرة منك".

(4) "لا يكن تأخر أمد العطاء مع الإلحاح في الدعاء موجبا ليأسك؛ فهو ضمن لك الإجابة، فيما يختاره لك؛ لا فيما تختاره لنفسك، وفي الوقت الذي يريد لا في الوقت الذي تريد".

(5) "لا يشككنك في الوعد عدم وقوع الموعود، وإن تعين زمنه، لئلا يكون ذلك قدحا في بصيرتك وإخمادا لنور سريرتك".

معرفـــــة الله تعـــــالى غايـــــة مطالــــب العـــارف والنهايـــــة[1]
فــــلا تبـــالين إذا فـــتح لـــك وجهتهـــا وإن تقلـــل عملـــك
واصـــبر فمـــا فـــتح إلا ويريـــد أن يتعـــرف إليـــك يـــا مريـــد
أمـــا علمـــت أن التعرفـــا هـــو الـــذي أورده تعطفـــا
بـــه عليـــك، مـــسلك الخـــواص ذاك فمـــا بـــه مـــن استنقاص
والعمـــل المـــدخول مـــا تهـــدى إليـــه شـــتان مـــا بينهمـــا فـــاعلم لديـــه
تنوعـــت أجنـــاس الأعمـــال كمـــا نـــوع واردات الأحـــوال، فمـــا[2]
مِـــنْ هَيّـــة أنـــس وقـــبض بـــسط إلا بهـــا الأعمـــال ذات ربـــط
وأنهـــا الـــصوار قائمـــات أرواحهـــا الإخـــلاص فـــي النيـــات
بحـــسب الرتـــب إخـــلاص العبيـــد أفـــضلها إخـــلاص دان فـــشهود
تفـــرد الحـــق بهـــا ولا يـــرى لنفـــسه حـــولا وقـــوة جـــرى
فـادفن وجـودك لـدى أرض الخمـول تخلـص وتنجـو فـاعلم مـن الفضول[3]
فنابـــت مـــن الـــذي لـــم يـــدفن نتاجـــه لـــيس يـــتم وفنـــي
وغيـــر مـــدفون وإن كـــان ينمـــو نتـــاج مـــا نبـــت منـــه لا يـــتم
لأن حـــب الجـــاه والاشـــتهار منـــاقض التعبـــد المختـــار
آخـــر شـــيء بـــالقلوب الخلطـــه وحـــب شـــهرة ودنيـــا غبطـــه
مـــا نـــافع القلـــب وداوى ضـــره شـــيء كعزلـــة بحـــال فكـــره[4]

(1) "إذا فتح لك وجها من التعرف فلا تبال معها إن قل عملك؛ فإنه ما فتحها عليك إلا وهو يريد أن يتعرف إليك، ألم تعلم أن التعرف هو مورده عليك، والأعمال أنت تهديها إليه، وأين ما تهديه إليه مما هو مورده عليك".

(2) "تنوعت أجناس الأعمال لتنوع واردات الأحوال، والأعمال صور قائمة، وأرواحها وجود الإخلاص فيها".

(3) "ادفن وجودك في أرض الخمول، فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه".

(4) "ما نفع القلب مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة".

وكيـــف يـــشرق بـــأنوار اليقـــين وصـــور الأكـــوان عنـــه لا تبـــين[1]

أم كيـــف يرحـــل إلـــى الله ويـــأتي وهـــو مكبـــل بقيـــد الـــشهوات

أم كيـــف يفهـــم دقيـــق الأســـرار ولـــم يتـــب مـــن هفـــوة وإصـــرار

فجمـــع ذي الأضـــداد يـــا نبيـــل النـــور والظلمـــة مـــستحيل

الكـــون مـــن ذاتـــه ظلمـــة عـــدم ومـــن تجلـــي نـــور مولانـــا الحكـــم[2]

عليـــه إذ ظهـــر فيـــه يـــستنير فهـــو لـــذاك وجـــود مـــستنير

فمـــن رأى الكـــون ولـــم يـــشهده فيـــه أو عنـــده أو قبـــل أو بعـــد يليـــه

فـــي ظلمـــة الآثـــار قـــد أعـــوزه وجـــود الأنـــوار فمـــا أعجـــزه

وحجبـــت عنـــه شـــموس المعرفـــة بـــسحب الآثـــار وذاك أتلفـــه

ممـــا يـــدلك علـــى وجـــود قهـــر الإلـــه جـــل فـــي الوجـــود[3]

أن حجـــب النـــاس بمـــا لـــم يوجـــد معـــه عنـــه ولـــذا لـــم يفقـــد

كيـــف يـــصور فقـــده مـــن عاقـــل أم كيـــف يثبـــت بنقـــل ناقـــل

---

(1) "كيف يشرق قلب صور الأكوان منطبعة في مرآته؛ أم كيف يرحل إلى الله وهو مكبل بشهواته، أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله ولم يتطهر من جنابة غفلاته، أم كيف يرجو أن يفهم دقائق الأسرار وهو لم يتب من هفواته".

(2) "الكون كله ظلمة، وإنما أناره وجود الحق فيه، فمن رأى الكون ولم يشهده فيه، أو عنده، أو قبله أو بعده، فقد أعوزه وجود الأنوار، وحجبت عنه شموس المعارف بسحب الآثار".

(3) "مما يدلك على وجود قهره سبحانه، أن حجبك عنه بما ليس بموجب معه، كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي أظهر كل شيء، كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر بكل شيء، كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر في كل شيء، كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر لكل شيء، كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الظاهر قبل كل شيء، كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو أظهر من كل شيء، كيف يتصور أن يحجبه شيء ولولاه ما كان وجود كل شي.. يا عجبا كيف يظهر الوجود في العدم، أم كيف يثبت الحادث مع من له وصف في القدم".

أن يحجب الله وجود شيء وهو الذي أظهر كل شيء
بنوره، وكيف وهو قد ظهر بكل شيء فاستدل بلا أثر
وبمحاسن الصفات ظهرا في كل شيء كيف أن يصورا
حجابه وكيف وهو الذي ظهر لكل شيء وسجوده استقر
له تعالى، كيف وهو الظاهر قبل وجود الكل وهو القاهر
له وكيف وهو منه أظهر؟ فالعدم الوجودُ منه أضمر
وكيف وهو واحد ليس معه شيء، سواه عدم فلتسمعه
وكيف وهو منه أقرب إليك علما وقيومية
كيف ولولاه لما كان وجود لكل شيء أبدا ولا شهود
وكيف بالموجود يبدو في العدم لم يثبت الحادث مع وصف القدم
وقال حُسن أدب لمن أقيم في حالة مباحة أن يستديم[1]
يختار ما يختار الحق له لم ينتقل إلا إذا نقله
من رام أن يظهر في الوقت سوى ما أظهر الله على الجهل احتوى
إحالة الأعمال من رعونات نفس على الفراغ من شؤونات[2]
بل واجب عليك أن تبادرا في أي حالة ولا تؤخرا
سل منه توفيقك لا أن يخرجك من حالة تكرهها ليدرجك[3]
فيما سواها، لو أراد استعملك من غير إخراج ولازم عملك
ولم ترد همة سالك تقف عند تجلي نور أو سر كشف[4]

(1) "ما ترك من الجهل شيء: من أراد أن يحدث في الوقت غير ما أظهره الله فيه".
(2) "إحالتك الأعمال على وجود الفراغ من رعونات النفس".
(3) "لا تطلب منه أن يخرجك من حالة ليستعملك فيما سواها، فلو أراد لاستعملك بغير إخراج".
(4) "ما أرادت همة سالك أن تقف عندما كشف لها، إلا ونادته هواتف الحقيقة الذي تطلب أمامك، ولا تبرجت ظواهر المكونات إلا ونادتك حقائقها إنما نحن فتنة فلا تكفر".

إلا هواتف الحقيقة دعت ... أمامك المطلوبُ، سِرْ ثم رعت

ولا تبرجت من المكونات ... ظواهر جمال للمزينات

إلا ونادته الحقائق فلا ... تكفر فنحن فتنة لا تبتلى

الطلب المصور المدخول ... أربعة وكلها معلول[1]

فطلبك منه اتهام منك له، ... لفقدك الحضور معْه كان له

لغيره لقلة الحياء منه، ... من غيره لبعد ذي الطلب عنه

إلا على تعبد تأدب ... أو اتباع أمر أو تقرب

إظهار فاقات به قد نزلت ... وكان منه علة قد بطلت

أزمنة دقيقة أنفاسنا ... تعاقبت فينا مدى حياتنا[2]

فكل ما منها بدا ظرف قدَّر ... خالقنا إمضاءه فينا وقرَّر

دونك توفية حق الله ... في كل وقت كنت غير لاه

لا ترتقب فروغ الأغيار بما ... هو مقيمك فجد واعزما[3]

فإنه يقطع عن مراقبه ... لله في أداء حق أوجبه

دار ابتلاء وفتنة قد صورت ... دنيا وأخرى للجزا فأخرت[4]

---

(1) "طلبك له اتهام له، وطلبك منه غيبة منك عنه، وطلبك لغيره لقلة حيائك منه؛ وطلبك من غيره لوجود بعدك عنه طلبك له اتهام له؛ وطلبك منه غيبة منك عنه، وطلبك لغيره لقلة حيائك منه؛ وطلبك من غيره لوجود بعدك عنه".

(2) "ما من نفس تبديه إلا وله قدر فيك يمضيه".

(3) "لا تترقب فروغ الأغيار، فإن ذلك يقطعك عن وجود المراقبة له فيما هو مقيمك فيه".

(4) "لا تستغرب وقوع الأكدار ما دمت في هذه الدار، فإنها ما أبرزت إلا ما هو مستحق وصفها وواجب نعتها".

فمـــن ضـــروريـاتها المكـــاره بعـد المـشاق اعرفـه باختبـاره

واصـبر فـلا تـستغرب أكـدارا تقـع مادمـت فـي الـدنيا وإيـاك الجـزع

لـم تبـرز إلا مـستحق وصـفِها وواجبـا لـه وعظـم عَـسْفِها

أنـزل حوائجـك بـالله الكـريم تفـز بتوفيقـك منـه يـا فهـيم[1]

لـم يتوقـف مـا بـه طلبـت ولـم ييـسر مـا بـنفس رمـت

ومـن سـمات نجـح ذي النهايـه رجوعـه لله فـي البدايـه[2]

لـذا مـن أشـرقت بـه بدايتـه بـالقرب منـه أشـرقت نهايتـه

لا تنخـدع بنفـسك الـشريره تقـول يكفيـك صـفا الـسريره[3]

واعمـل فمـا استودع فـي الـسرائر ظهـر فـي شـهادة الظـواهر

مخصـصون بالعنايـة علـى قـسمين مجـذوب وسـالك عـلا[4]

فـالأول للأغيـار بـالله عـرف والثـاني حالـه بعكـس انعـرف

شـتان بـين مـن بربـه استدل ومـن إليـه بـسول قـد وصـل

إذ عـرف الحـق بـه لأهلـه أثبـت الأمـر مـن وجـود أصـله

المـستدل بـه واسـتدلال عليـه لـما عـدم الإيـصال

إليـه بالكـشف، وإلا فمتـى غـاب لكـي يـدل غيـرُ يـا فتـى

عليـه، أو بعُـد حتـى توصـلا إليـه الآثـار فـذا قـد بطـلا

---

(1) "ما توقف مطلب أنت طالبه بربك، ولا تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك".

(2) "من علامات النجاح في النهايات، الرجوع إليه في البدايات".

(3) "ما استودع في غيب السرائر، ظهر على شهادة الظواهر".

(4) "شتان بين ما يستدل به وما يستدل عليه، والمستدل به عرف الحق لأهله فأثبت الأمر من وجود أصله، والاستدلال عليه من عدم الوصول إليه، وإلا فمتى غاب حتى يستدل عليه، ومتى بعد حتى تكون الآثار هي التي توصل إليه".

الواصلون حالهم لينفق ... ذو سعة من علمه لا يشفق[1]

والسائرون حالهم مَن قدرا ... عليه رزقه الذي قد قررا

بنور ما منهم إليه يهتدي ... الراحلون لبلوغ المقصد[2]

والواصلون لهم الأنوار ... من المواجهة فاستناروا

عبيد الأنوار أولا كهؤلا، ... لهم الأنوار فهم لله لا

لما سواه (قل الله) ... عليه في كتابه تراه

إفراد توحيد بنفي الأغيار ... حق اليقين وصف أهل الأنوار

حقا وخوض رؤية الأغيار ... وصف المنافقين والكفار

وقال أيضا ناصحا: تشوفك ... لباطن العيوب فيك شرفك[3]

فذاك خير لك من تشوف ... إلى غيوب حجبت عنك اعرف

أوله حق الإله منك ... والثاني حظ النفس دعه عنك

وإن بدا المحجوب لا تسكن إليه ... ففي العبودية يقدح لديه

قد قيل كن من طالبي استقامه ... ولا تكن بصاحب الكرامه

الحق ما حجب لكن أنت ... عن نظر إليه قد حجبت[4]

لو كان حاجب له لستره ... أو ساتر لحده وحصره

وكل حاصر لشيء قاهر ... له، وهو فوق العباد القاهر

---

(1) "لينفق ذو سعة من سعته، (الواصلون إليه)، ومن قدر عليه رزقه، (السائرون إليه)".

(2) "اهتدى الراحلون إليه بأنوار التوجه، والواصلون لهم أنوار المواجهة، فالأولون للأنوار، وهؤلاء الأنوار لهم، لأنهم لله، لا لشيء دونه، قل الله، ثم ذرهم في خوضهم يلعبون".

(3) "تشوفك إلى ما بطن فيك من العيوب خير من تشوفك إلى ما حجب عنك من الغيوب".

(4) "الحق ليس محجوب، وإنما المحجوب أنت عن النظر إليه، إذ لو حجبه شيء لستره، ما حجبه، ولو كان له ساتر لكان لوجوده حاصر، وكل حاصر لشيء فهو له قاهر.. وهو القاهر فوق عباده".

حقيقــة الــسلوك فــي شـيئين طهـارة تمحــو كــل شــين[1]

مــن ظــاهر وبــاطن وتحليــه بكــل محمــود بــذاك التزكيــه

فــاخرج لــذا مــن صــفة البــشريه عــن كــل وصــف نــاقض العبوديــه

تكــن مجيبــا لنــداء الحــق وتــدن مــن حــضرته بالــصدق

تهيــؤ الــسلوك بالوجــه الرضــى بمنعــك الــنفس مــن أمــر ترتــضي[2]

فاحــذر فــإن أصــل كــل معــصيه وغفلــة وشــهوة مــستوليه

هــو الرضــى عنهــا، وأصــل العكــسِ عكــسٌ، تفطــنْ وارع كيــد الــنفس

فائــدة الــصحبة للزيــاده مــن حالــة المــصحوب والإفــاده[3]

إذا لأن تــصحب جــاهلا ســلم مــن الرضــى عــن نفــسه خيــر علــم

مــن صــحبة العــالم وهــو راض عنهــا لــضر ذا ونفــع الماضــي

فــافهم فــإن العلــم - الرضــى عنهــا وإن الجهــل حيــث لا رضــى

وبالــشعاع للبــصيرة الــسطيع تــشهد قــرب الله منــك يــا ســميع[4]

بعينهــا تــشهد أيــضا عــدمك لــدى وجــوده وحقهــا أشــهدك

وجــوده ســبحانه لا عــدمك ولا وجــودك فوحــد صــانعك

---

(1) "اخرج من أوصاف بشريتك عن كل وصف مناقض لعبوديتك، لتكون لنداء الحق مجيبا، ومن حضرته قريبا".

(2) "أصل كل معصية وغفلة الرضا عن النفس، وأصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضى منك عنها".

(3) "ولأن تصحب جاهلا لا يرضى عن نفسه خير لك من أن تصحب عالما يرضى عن نفسه، فأي علم لعالم يرضى عن نفسه، وأي جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه".

(4) "شعاع البصيرة يشهدك قربه منك، وعين البصيرة تشهدك عدمك لوجوده، وحق البصيرة يشهدك وجوده، لا عدمك ولا وجودك".

إذ كـــان فـــي الأزل لا شـــيء معـــه	وهـــو كـــذاك الآن فـــردا ذا ســـعه[1]
أحـــــاط بالأشـــياء لا بذاتـــــه	بـــل بتعلـــق العـــلا صـــفاته
وقــال أيــضا ناصــحا للمــسلمين	**فــي رفــع أمــرهم لــرب العــالمين[2]**
لا تتعـــدى نيـــة مـــن همتـــك	لغيـــره فـــي طلـــب لحاجتـــك
إذ الكـــريم لـــيس يعـــدوه الأمـــل	لغيـــره مـــن ســـائل إذا ســـأل
لا تـــــرفعن فاقـــــة انزلهـــــا	بـــك إلـــى ســـواه واصـــطبر لهـــا
وارض فكيـــف غيـــره يرفـــع مـــا	وضـــع هـــو ذا محـــال فاعلمـــا
مـــن لا يطيـــق رفعهـــا عـــن نفـــسه	كيـــف رافعـــا عـــن جنـــسه
تحـــسين ظـــن بالإلـــه موجـــب	لـــك الـــسعادة ســـواه عطـــب[3]
إن لـــم تحـــسنه بـــه لنعتـــه	حـــسن لوجـــدان معاملتـــه
معـــك هـــل عـــود إلا حَـــسنا	منـــه أو أســـدى لـــك إلا مِنَنـــا
مـــن هـــرب ممـــن يلازمـــه طلـــب	مـــا لـــيس يبقـــى معـــه كـــل العجـــب[4]
وذاك لـــيس مـــن عمـــى الأبـــصار	بـــل مـــن عمـــى القلـــوب عـــن إبـــصار
وآيـــــة الحـــــج بـــــه تنـــــور	فثـــق ولـــذ بـــالله يـــا مغـــرور

(1) كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان".

(2) "لا تتعد نية همتك إلى غيره، فالكريم لا تتخطاه الآمال، ولا ترفعن إلى غيره حاجة هو موردها عليك، فكيف يرفع غيره ما كان هو له واضعا، من كان لا يستطيع أن يرفع حاجة عن نفسه فكيف يكون لها عن غيره رافعا".

(3) "إن لم تحسن ظنك به لأجل حسن وصفه، فحسن ظنك به لحسن معاملته معك، فهل عودك إلا إحسانا، وهل أسدى إليك إلا مننا".

(4) "العجب كل العجب ممن يهرب مما لا انفكاك له عنه، ويطلب ما لا بقاء معه، (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور)".

واحــذر فــلا ترحــل مــن الأكــوان لمثلهـــا ذاك مـــن النقـــصان[1]

بـــه تكـــون كحمـــار صـــاز مـــن موضـــع لغيـــره فـــدار

ولكـــن ارحلـــوا لِـــمن كوّنهـــا منهـــا فإنـــه إليـــه المنتهـــى

لكـــي تفنـــى بمقتـــضى العبوديـــه ولتقـــيم حـــق ذي الربوبيـــه

وانظـــر دليلـــه بقـــول المـــصطفى صـــلى الله عليـــه معـــدن الـــصفا

فمـــن تكـــن هجرتـــه لله ولرســـوله العظـــيم الجـــاه

فهجرتـــه لله والرســـول نـــال بهـــا القـــرب مـــع الوصـــول

ومـــن إلـــى دنيـــا يـــصيبها هجـــر أو لـــزواج امـــرأة أو وطـــر

هجرتـــه لمـــا إليـــه قـــد هجـــر تـــأملن ذا الأمـــر وافهـــم الخبـــر

وقــال:فــي الــصحبة أصــل اســتمر عليـــه شـــأنهم ونفعـــه ظهـــر[2]

لا تـصحبن مـن لـيس تنهـضك حـال ولا يـــدلك علـــى الله مقـــال

منـــه، فربمـــا تـــسيء فتريـــك صـــحبتك الأســـوأَ الإحـــسانَ يليـــك

الكُثـــر والقلـــة فـــي الأعمـــال بحـــسب القلـــوب والأحـــوال[3]

فـــلا يقـــل عمـــل إن قـــد صـــدر عـــن زاهـــد لا راغـــب ولـــو كثـــر

إذ ســـلم الزهـــاد مـــن آفـــات مثـــل الريـــا للـــراغبين تـــأتي

---

(1) " لا ترحل من كون إلى كون، فتكون كحمار الرحى، يسير والمكان الذي ارتحل إليه هو المكان الذي ارتحل منه، ولكن ارحل من الأكوان إلى المكون، وأن إلى ربك المنتهى؛ وانظر إلى قوله ﷺ فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه، وافهم قوله ﷺ، وتأمل هذا الأمر إن كنت ذا فهم".

(2) "لا تصحب من لا ينهضك حاله، ولا يدلك على الله مقاله، ربما كنت مسيئا فأراك الإحسان منك صحبتك إلى من هو أسوأ حالا منك".

(3) "ما قل عمل برز من قلب زاهد، ولا كثر عمل برز من قلب راغب".

فحسن الأعمال إذا النتائج عن حسن الأحوال وذي عوارج[1]

عن علم قلب من تحققه في مقام الإنزال من المعارف

أقرب ما يصل منه الظاعنْ لله ذكره كثيرا لكن[2]

حضور قلب ذاكر في الذكر مع الإله لازم بالفكر

وفقده ذاك قبيح منهُ فلازم الذكر وراقبنهُ

لا تتركن ذكره لعدمك فيه الحضور معه واذكر بفمك

لأن غفلتك عن وجوده أشد منها فيه ثق بجوده

عسى من الذكر الذي بالغفله ترفع للذكر بغير غفله

ومنه للذكر مع الحضور بغيبة عن ما سوى المذكور

في ذا المقام قطع ذكر باللسان ومحو عبد في وجود للعيان

وهذه المرتبة منتهى العزيز وليس ذا على الإله بعزيز

وقال أيضا: عدم الحزن على فوتِ الموافقة أمر انجلا[3]

به خلو القلب من حياته وتركه الندم عن زلاته

لا يعظم لدى مرتكبه عظمة تصد حسن الظن به[4]

---

(1) "حسن الأعمال نتائج الأحوال، وحسن الأحوال من التحق في مقامات الإنزال".

(2) "لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه، لأن غفلتك من وجود ذكره أشد من غفلتك في وجود ذكره، فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة، ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود حضور، ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع وجود غيبة عما سوى المذكور، وما ذلك على الله بعزيز".

(3) "من علامات موت القلب، عدم الحزن على ما فاتك من الموبقات، وترك الندم على ما فعلته من الزلات".

(4) "لا يعظم الذنب عندك عظمة تصدك عن حسن الظن بالله، فإن من عرف ربه استصغر في جنب كرمه ذنبه".

مـن عـرف الـرب الكـريم استـصغرا ... فـــي جنبـــه ذنوبـــه وحقـــرا

إذا بـــــدت صـــــفاته العليـــــه ... بطلـــت الطاعـــة والمعـــصيه

إن قابـــل العـــدل فـــلا صـــغيره ... أو واجـــه الفـــضل فـــلا كبيـــره[1]

ولـــيس للقبـــول أرجـــى مـــن عمـــل ... شـــهوده يغيـــب عنـــك واضـــمحل[2]

إذ مـــن علامـــة قبـــول عملـــك ... نـــسيانه وقطعـــه عـــن نظـــرك

مـــا أورد الله عليـــك الـــواردا ... إلا لتـــصبح عليـــه واردا[3]

لأنـــه حـــضرته قـــد نزهـــت ... عـــن أن ترومهـــا قلـــوب كـــدِّرت

أورده عليـــك كـــي يـــستلمك ... مـــن يـــد الأغيـــار وأن يحـــررك[4]

مِـن رِق الآثـار ومـن سـجن الوجـود ... إلـــى فـــضاء مـــستنير بالـــشهود

وهـــي مطايـــا تـــأتي بـــالتبيين ... لهـــا مـــن الإيمـــان واليقـــين[5]

تحملهـــا إلـــى بـــساط القـــرب ... تنيخهـــا فـــي حـــضرة الـــرب

النـــور جنـــد القلـــب عـــدة القتـــال ... وظلمـــة للـــنفس والحـــرب ســـجال

إذا أراد الله نـــــصر عبـــــده ... أمـــــر قلبـــــه بعـــــون جنـــــده

وقطـــــع الظـــــلام والأغيـــــارا ... عـــن نفـــسه فعـــدمت أنـــصارا

كـــذلك العكـــس علـــى مـــن خذلـــه ... يرغـــب فـــي عاجلـــه لا آجلـــه

(1) "لا صغيرة إذا قابلك عدله، ولا كبيرة إذا قابلك فضله".

(2) "لا عمل أرجى للقلوب من عمل يغيب عنك شهوده ويحتقر عندك وجوده".

(3) "إنما أورد عليك الوارد لتكون به عليه واردا، وأورد عليك الوارد ليستسلمك من يد الأغيار وليحررك من رق الآثار".

(4) "ورد عليك الوارد ليخرجك من سجن وجودك إلى فضاء شهودك".

(5) "الأنوار مطايا القلوب؛ والأسرار والنور جند القلب، كما أن الظلمة جند النفس، فإذا أراد أن ينصر عبده أمده بجنود الأنوار وقطع عنه مدد الظلم والأغيار".

فـــالنور يكـــشف معـــان غائبـــه والحكـــم للبـــصيرة المـــصاحبه[1]
فـــصحة المـــشهود ممـــا كـــشفا للقلـــب إقبـــال وإدبـــارُ الجفـــا
لا تفـــــرحن بطاعـــــة لأنهـــــا تبـــرز منـــك وافـــرحن بكونهـــا[2]
أبرزهـــــا إليـــــك منّـــــه وقـــل بفـــضل الله نـــصر ألـــمنه
قطـــع ســـائرا لـــه ومـــن وصـــل عـن رويـة الأحـوال مـنهم والعمـل[3]
لأن مـــن صـــار إليـــه عـــدما تحقـــق الـــصدق بهـــا واتهمـــا
ومـــن لـــه وصـــل قـــد غيبـــه عنهـــا لـــدى الـــشهود إذ قربـــه

وقـــال أيـــضا مغريـــا علـــى الـــورع وفـــضله محـــذرا مـــن الطمـــع

للـــذل أغـــصان يزيلهـــا الـــورع مـــا باســـقت إلا بـــذر طمـــع[4]
وفـــي ســـؤال جـــاء عـــن علـــي للحـــسن البـــصري الرضـــى الـــولي
فمـــا مـــلاك الـــدين قـــال الـــورع ومـــا هلاكـــه قـــال الطمـــع
ولـــم يقـــدك قائـــد كـــالوهم دعـــه وثـــق بـــالله يـــاذا الفهـــم[5]
فأنـــت مـــن جميـــع مـــا يئـــست حـــر وعبـــد كـــل مـــا طمعـــت[6]
لـــذاك قيـــل العبـــد حـــر مـــا قنـــع وعكـــسه الحـــر عبيـــد مـــا طمـــع

---

(1) "النور له الكشف، والبصيرة لها الحكم، والقلب له الإقبال والإدبار".
(2) "لا تفرحك الطاعة لأنها برزت منك، وافرح بها لأنها برزت من الله إليك، قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا، هو خير مما يجمعون".
(3) "قطع السائرين إليه والواصلين إليه عن رؤية أعمالهم وشهود أحوالهم، أما السائرون فلأنهم لم يتحققوا الصدق مع الله فيها، وأما الواصلون فلأنه غيبهم بشهوده عنها".
(4) "ما بسقت أغصان ذل إلا على بذر طمع".
(5) "ما قادك شيء مثل الوهم".
(6) "أنت حر مما أنت عنه آيس، وعبد لما انت له طامع".

أقبـــل علـــى ربـــك بالملاطفـــه مـــن فـيض الإحـسان وبالمعاطفـه[1]
فـــإن أبَيْـــت قـــدت بالـــسلاسل إليـــه كرهـــا بامتحـــان نـــازل
واشـــكر لـــه الـــنعم فالـــشكر عقـــال لهـــا وكفرهـــا تعـــرض الـــزوال[2]
معرفـــة الجنـــان ذكـــر باللـــسان وعمـــل الأركـــان شـــكر اســـتبان
والقـــول فيـــه الفـصل وهـــو ذا أعـــم لا تعـــصين الله جـــل بـــالنعم
إحـــسانه إليـــك مـــع دوامـــك إســـاءة معـــه بـــلا رجوعـــك[3]
خـــف منـــه أن يكـــون لاســـتدراجك جـــاء (سنـــستدرجهم) بـــذلك
مـــن جهـــل ذا المريـــد أن يـــسي أدب فـــأخرت عقوبـــة بمـــا وجـــب[4]
عنـــه، يقـــول: لـــو أســـأت أدبـــا قطـــع الأمـــداد وبُعـــدا أوجبـــا
منـــه، فقـــد يقطعـــه مـــن حيـــث لـــم يـــشعر ولـــو لـــم يكـــن إلا إن ألـــمّ
منـــع المزيـــد، فهـــو منـــه لـــو بقـــي تواصـــلت زيـــادة فيرتقـــي
وقـــد يقيمـــه مقـــام البعـــد مـــن حيـــث لا يـــدري كمنـــع الزيْـــد
منـــه، ولـــو لـــم يكـــن إلا تخليَـــه ومـــا يريـــد فهـــو بعـــد غـــشيَه
فليلـــزم المريـــد حـــسن أدب فـــي ظـــاهر وبـــاطن وليهـــرب
ممـــا بـــه ظـــاهر الـــشرع وفـــي فـــي مكـــارم الأخـــلاق خلقـــه يفـــي
وإن يكـــن بـــسوأة تجَـــسّرا بـــادر للتوبـــة لا يـــستحقرا

(1) "من لم يقبل على الله بملاطفات الإحسان قيد إليه بسلاسل الامتحان".

(2) " من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها".

(3) "خف من وجود إحسانه إليك ودوام إساءتك معه أن يكون ذلك استدراجا لك، سنستدرجهم من حيث لا يعلمون".

(4) "من جهل المريد أن يسيء الأدب فتتأخر العقوبة عنه، فيقول لو كان هذا سوء أدب لقطع الإمداد وأوجب الإبعاد، فقد يقطع المدد عنه من حيث لا يشعر، ولو لم يكن إلا منع المزيد؛ وقد يقام مقام البعد وهو لا يدري، ولو لم يكن إلا أن يخليك وما تريد".

شيئا كما الدعوى والاعتراض في   أحكامه تدبيره معه اعرف

نزوله عن مقتضى الحقيقه   لرخص عطبه حقيقه

وهي مسامحته في الشهوات   للنفس وارتكابه التأولات

لاسيما من نزر الترك لها   وعاد فيها شهوة ونالها

وحبه الجاه والاقتداء به   في الناس مع تعظيمهم لجانبه

وصحبة الأحداث والشبان   قبول ارفاق من النسوان

أدبه كثيرة فلتقِسَن   وسوؤه إن أتم الحسن حسن

فكل ما يضاد حالة المريد   يتركه وذاك ضابط مفيد

إذا رأيت العبد قد أقامه   الله في الأوراد باستقامه[1]

دام عليها مع طول الإمداد   يسره بها لحسن الإعداد

فلا تحقر ما قد منحه   مولاه من علمه وأربحه

ألّا ترى عليه سيما العارفين   ظاهرة وبصحبة المحبين

لولا ورود وارد عليه   ما كان ورد دائما لديه

طائفة أقامها لخدمته   واختص أخرى بصفا محبته[2]

الحق قد قاله في القرآن   (كلا نمد) جاء بالبيان

وقال: قلّ ما تكون الواردات   تُهدى من الإله إلا باغتات[3]

(1) "إذا رأيت عبدا أقامه الله بوجود الأوراد، وأدامه عليها مع طول الإمداد، فلا تستحقرن ما منحه مولاه، لأنك لم تر عليه سيما العارفين ولا بهجة المحبين، فلولا وارد ما كان ورد".

(2) "قوم أقامهم الحق لخدمته، وقوم اختصهم بمحبته. كلا نمد، هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك، وما كان عطاء ربك محظورا".

(3) "قوم أقامهم الحق لخدمته، وقوم اختصهم بمحبته، كلا نمد، هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك، وما كان عطاء ربك محظورا".

صـــونا لهـــا عـــن ادعـــاء العبـــاد	وعـــن تأهـــل بـــلا اســـتعداد
ومـــن يجـــب عـــن كـــل مـــا عنـــه سئل	كأنـــه أحـــاط بـــالعلم جهـــل[1]
ومثلـــه معبـــر عـــن كـــل مـــا	شـــهد مِـــن سِـــر خَـــر أن يكتمـــا
كـــذاكر للغيـــر كـــل مـــا علـــم	إذ ربمـــا اخـــتص بـــه ومـــا فهـــم
وإنمـــا جعـــل دار الآخـــرة	محـــل نقـــد لجـــزاء البـــرره[2]
لـــضيق هـــذه فـــلا تـــسع مـــا	يريـــد أن يعطـــيهم تكرمـــا
وأنـــه أجَـــلَّ عـــن جـــزاء	أقـــدارَهم فـــي دار الانقـــضاء
دليـــل وجـــدان القبـــول فـــي العمـــل	وجـــود ثمـــرة بـــه علـــى عجـــل[3]
حـــلاوة تـــنعم أن يـــسلمِ	بعـــد مجاهـــدة نفـــس تُعلـــم
كـــذا بعـــصيانٍ مـــرارة ألـــم	دليـــل معرفتـــه الـــرب الحَكـــم
إذا أردت عنـــده مقامـــك	تعرفـــه فـــانظر بمـــا أقامـــك[4]
فإنـــه ينـــزل عبـــده كمـــا	أنزلـــه العبـــد بقلبـــه فاعلمـــا
متـــى رزقـــت طاعـــة مـــع الغنـــى	عنهـــا بـــه بلغـــت غايـــة المنـــى[5]
أســـبغ نعمـــة عليـــك ظـــاهرة	باطنـــة فكـــن لـــذاك شـــاكره
وقـــال أيـــضا: خيـــر شـــيء تطلبـــه	**مـــن ربنـــا مـــا هـــو منـــا طالبـــه[6]**

(1) "من رأيته مجيبا عن كل ما سئل، ومعبرا عن كل ما شهد، وذاكرا كل ما علم، فاستدل بذلك على وجود جهله".

(2) "إنما جعل الدار الآخرة محلا لجزاء عباده المؤمنين؛ لأن هذه الدار لا تسع ما يريد أن يعطيهم، ولأنه أجلّ أقدارهم عن أن يجازيهم في دار لا بقاء لها".

(3) "من وجد ثمرة عملها عاجلا فهو دليل على وجود القبول آجلا".

(4) "إذا أردت أن تعرف قدرك عنده فانظر في ماذا يقيمك".

(5) "متى رزقك الطاعة والغنى به عنها، فاعلم أنه قد أسبغ عليك نعمه ظاهرة وباطنة".

(6) "وخير ما تطلب منه، ما هو طالبه منك".

مـــن اســـتقامة علـــى العبوديـــة	لـــه تعـــالى لا حظـــوظ نفـــسيه
الحـــزن مـــن مقامـــة الأبـــرار	صـــديقه، ومـــن الاغتـــرار
حـــزن علـــى فقـــدان طاعـــات إذا	لـــم يـــنهض الحـــازن والكـــذب ذا
ومـــن يـــشر لله ثـــم وجـــده	أقـــرب مـــن إشـــارة ع الفائـــده[1]
لـــيس بعـــارف علـــى الحقيقـــه	عنـــد ذوي الرســـخ فـــي الطريقـــه
إن كـــان قـــد لاحـــظ ذي الإشـــاره	بـــل هـــو مـــن ليـــست لـــه إشـــاره
فـــانٍ عـــن الأغيـــار فـــي وجـــوده	ومنطـــو عنهـــا لـــدى شـــهوده
وغـــاب عـــن إشـــارة ومـــا بـــه	يـــشار والمـــشير لاســـتعابه
مـــن المقامـــات الرجـــاء ووُصِـــف	كـــالحزن بالكـــذب والـــصدق، فَـصِـف[2]
بـــه الرجـــا إذا بالأعمـــال قُـــرِن	أمنيـــة حيـــث خـــلا منهـــا رُكـــن
العـــارفون الـــصدقَ فـــي العبوديـــه	مـــع وفـــا الحقـــوق للربوبيـــه[3]
لا غيـــر يطلبـــون مـــن ربهـــم	وغيـــرهم حظـــوظ أنفـــسهم
إذ فـــي دوام رفـــع ســـتر وحـــضور	همـــتهم، والغيـــر حـــور وقـــصور
القـــبض والبـــسط همـــا حـــالان	للعـــــارفين متعاقبـــــان[4]
بحـــسب الـــوارد قـــوة وضـــعف	كحالـــة المريـــد فـــي الرجـــا وخـــوف
وبالفنـــا عـــن نفـــسه مـــع البقـــا	بربـــه يخـــرج عنهمـــا ارتقـــا

(1) "ما العارف من إذا أشار وجد الحق أقرب إليه من إشارته، بل العارف من لا إشارة له لفنائه في وجوده، وانطوائه في شهوده".

(2) "الرجاء ما قارنه عمل، وإلا فهو أمنية".

(3) "مطلب العارفين من الله تعالى الصدق في العبودية، والقيام بحقوق الربوبية".

(4) "بسطك كي لا يقيمك في القبض، وقبضك كي لا يقيمك في البسط، وأخرجك عنهما كي لا تكون لشيء دونه".

العـــارفون حـــال بـــسط أخـــوف	مـــنهم بقـــبض إذ هـــواهم عرفـــوا[1]
ولـــم يقـــف علـــى حـــدود الأدب	فـــي البـــسط إلا النـــزر مـــن ذي أدب
وقيـــل للتحـــذير قـــف علـــى البـــساط	ولـــذ بـــاللازم وإيـــاك انبـــساط[2]
فـــالنفس منـــه حظهـــا بـــالفرح	تأخـــذ لا القـــبض بـــه لـــم تفـــرح
فربمـــا أعطـــاك منـــه فمنـــع	أو عكـــس الأمـــر فـــسَلِّم مـــا صـــنع[3]
فمنعـــه علـــى الحقيقـــة العطـــا	وعكـــسه المنـــع وإن كـــان عطـــا
مظـــاهر الأكـــوان حُـــسن غـــرّه	باطنهـــا قـــبح وفيـــه عبـــره[4]
فـــالنفس تنظـــر جلـــي غرتهـــا	والقلـــب ينظـــر خفـــي عبرتهـــا
فـــإن أردت دائـــم العـــز فـــلا	تعتـــز بالفـــاني وكـــن منعـــزلا[5]
عـــن التعلـــق بكـــل الأســـباب	مـــستغنيا عنهـــا بـــرب الأربـــاب
طـــي حقيقـــي بـــأن تطويـــا	مـــسافة الـــدنيا وتنزويـــا[6]
عنـــك، لأنْ تـــرى إليـــك الآخـــره	أقـــرب منـــك ذاك وصـــف البـــرره
رؤيـــا العطـــا مـــن الـــورى حرمـــان	شـــهود منـــع ربنـــا إحـــسان[7]

---

(1) "العارفون إذا بسطوا أخوف منهم إذا قبضوا، ولا يقف على حدود الأدب في البسط إلا قليل".

(2) "البسط تأخذ النفس منه حظها والقبض لا حظ للنفس فيه".

(3) "ربما أعطاك فمنعك، وربما منعك فأعطاك، ومتى فتح لك باب الفهم في المنع صار المنع عين العطاء".

(4) "الأكوان ظاهرها غرة، وباطنها عبرة، فالنفس تنظر إلى ظاهر غرتها، والقلب ينظر إلى باطن عبرتها".

(5) "إن أردت أن يكون لك عزا لا يفنى، فلا تستعزن بعز يفنى".

(6) "الطي الحقيقي أن تطوى مسافة الدنيا عنك حتى ترى الآخرة أقرب إليك منك".

(7) "العطاء من الخلق حرمان والمنع من الله إحسان".

لأنهــا تكــسب مــن الخلــق والمنــع يوقــف ببــاب الحــق
قــد قيــل حمــل مِـنن أثقــل مــن صــبر علــى العــدم فــاختبر يــبِن
وقـــال: جـــل الله أن يعاملـــه العبـــد نقـــدا وجـــزاه آجلـــه[1]
كفــاه مــن جزائــه المعجــل فــي طاعــة رضــاه أهــل العمــل
والعــاملين فــي الجــزاء مــا فــتح علــى قلــوبهم بطاعــة مــنح
ومــا علــيهم مــن المعــارف لأنــسهم يريــد واللطــائف
مــن عابــد الله لنيلــه الثــواب أو دفعــه العقــاب فاتــه الــصواب[2]
إذ لــم يقــم لــه بحــقِ وصــفه فمــن دليــل جهلــه وســخفه
عليــه أن يعبــده لذاتــه ومــا عليــه هــو مــن صــفاته
إعطــاؤه أشــهد وصــف بــره ومنعــه أشــهد وصــف قهــره
فهــو بكــل متعــرف إليــك وبوجــود اللطــف مقبــل عليــك
منــه متــى فــتح بلــب الفهــم لــك في المنــع عــاد المنــع مِنحــا خوّلــك[3]
لا ينبغــي لــذاك أن يفرقــا بينهمــا بــل مــن عــصاه يتقــى
وإنمــا يــؤلم منــع مــن عــدم فهمــا عــن الله بــه لا مَــنْ فهــم
قــد تفــتح الطاعــة لا القبــول أو تــاتي ذنبــا وبــه الوصــول

(1) "جل ربنا أن يعامله العبد نقدا فيجازيه نسيئة، كفى من جزائه إياك على الطاعة أن رضيك لها أهلا، وكفى العاملين جزاء ما هو فاتحه على قلوبهم في طاعته، وما هو مورده عليهم من وجود مؤانسته".

(2) "من عبده لشيء يرجوه منه، أو ليدفع بطاعته ورود العقوبة عنه، فما قام بحق أوصافه، متى أعطاك أشهدك بره، ومتى منعك أشهدك قهره، فهو في كل ذلك متعرّف إليك، ومقبل بوجود لطفه عليك، إنما يؤلمك المنع لعدم فهمك عن الله فيه".

(3) "ربما فتح لك باب الطاعة وما يفتح لك باب القبول، وربما قضى عليك الذنب فكان سببا في الوصول، فمعصية أورثت ذلا وافتقارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا".

لأنه يصحبه التكبر ... بطاعة والذنب فيه يصغر

وصف العبودية الاحتقار ... والذل والفقر والانكسار

وللربوبية الاستكبار ... والعز والغنى والافتخار

معصية تأتي بذل واحتقار ... أفضل من طاعة عز وافتخار

وكل موجود مكوَّن وُصِف ... بنعمتين إن بقي كما أصف[1]

نعمة الإيجاد مع الإمداد ... يبدأ بالإيجاد فالاستمداد

إذا فإن فاقة العباد ... ذاتية لهم بلا عناد

وعارض الإيجاد والإمداد ... لا يرفع الذاتي ذاك بادِ

وإنما أورد أسبابا تضاد ... ليذكروا الخفي منها بالمضاد

وخير أوقاتك ما تشهد فيه ... لله فاقتك والذلة فيه

إذ فيه مع ذاتك تحضر ولا ... تنظر للأسباب فضله انجلا

واعلم بأنه متى ما أوحشك ... من خلقه يريد فتح الأنس لك[2]

به، أو أطلق اللسان بالطلب ... منه فأن يعطيك الذي طلب

ولم يزل العارف اضطراره ... لله مغه دائما قراره

إن الظواهر بأنوار الأثر ... أنارها الحق تعالى وظهر[3]

---

(1) "نعمتان ما خرج موجود منهما، ولا بد لكل مكون منهما نعمة الإيجاد ونعمة الإمداد، أنعم عليك أولا بالإيجاد، وثانيا بتوالي الإمداد، ففاقتك لك ذاتية، وورود الأسباب مذكرات لك بما خفي عليك منها، والفاقة الذاتية لا ترفعها العوارض: فخير أوقاتك وقت تشهد فيه وجود فاقتك، وترد فيه إلى وجود ذاتك".

(2) "متى أوحشك من خلقه فاعلم أنه يريد أن يفتح لك باب الأنس به، ومتى أطلق لسانك بالطلب فاعلم أنه يريد أن يعطيك، والعارف لا يزول اضطراره ولا يكون مع غير الله قراره".

(3) "أنار الظواهر بأنوار آثاره، وأنار السرائر بأنوار أوصافه، لأجل ذلك أفلت أنوار الظواهر ولم تأفل أنوار السرائر، ولذلك قيل: إن شمس النهار تغرب بليل - وشمس القلوب ليست تغيب".

بنـــور الأوصـــاف للأســـرار لـــذا	أفالـــت الأولـــى وهـــذي لا، خـــذا
مـا قيـل: شـمس الحسن قـد تغيـب	بالليـــل لا شـــمس حـــوا القلـــوب
وقـال: عـن علـم عبـد قـد بلـي	**بـأن مـــولاه تعـالى الـــمبتلي**[1]
وأنـــه بـــه رحـــيم ذو نظـــر	لـــه بمـــا أورد مـــن ذاك صـــبر
ووجـــد الرضـــاء بالقـــضاء	وخـــف عنـــه ألـــم الـــبلاء
فـــإن مـــن واجـــه بالأقـــدار	عـــود منـــه حـــسن الاختيـــار
مـــن ظـــن فـك لطفـه عـن قـدره	فـــذاك منـــه لقـــصور نظـــره
ينـشأ عـن ضـعف اليقـين مِـن عَـدم	تحـــسين ظـــن بالمقـــدِّر الحَكَـــم
أوضـــحت الطـــرقَ رســـلُ الله	فخـــوف الالتبـــاس أمـــر واه[2]
والخـوف مـن غلبـة الهـوى عليـك	يعميـك عـــن رؤيتهـا أدنـى إليـك
وبظهـــور البـــشرية ســـتر	ســر الخـصوصية حتـى مـا ظهـر[3]
كمـــا بإظهـــاره للعبوديـــه	أبـــدى لنـــا عظمـــة الربوبيـــه
لا تطلـــب الـــرب بتـــأخير الطلـــب	ولكـــن الـــنفس بتـــأخير الأدب[4]
حـــسن بـــه ظنـــك إن لـــم تنجـــل	لـــك الإجابـــة ولا تـــستعجل
وكـــن علـــى الآداب مغـــه عبـــدا	أجـــاب أم لا خفيـــة أو أبـــدى

---

(1) "ليخفف ألم البلاء عليك أنه تعالى هو المبتلي لك، فالذي واجهتك منه الأقدار هو الذي عودك حسن الاختيار، ومن ظن انفكاك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره".

(2) "لا يخاف عليك أن تلبس الطريق عليك، وإنما يخاف عليك من غلبة الهوى عليك".

(3) "سبحان من ستر سر الخصوصية بظهور البشرية، وظهر بعظمة الربوبية في إظهار العبودية".

(4) "لا تطالب ربك بتأخر مطلبك، ولكن طالب نفسك بتأخر أدبك".

إنفاذهــــــا أو ادخـــــــــارا فأمرهـــا إليـــه فيمـــا اختــــارا

متـــى جُعلـــت قائمـــا بـــأمره فـــي ظـــاهر مستـــسلما لقهـــره[1]

فـــي بـــاطن أعظـــم منـــة عليـــك وذاك أفـــضل المطالـــب لـــديك

ولـــيس كـــل ثابـــت تخصيـــصه مـــن العبـــاد كـــاملا تخليـــصه[2]

بـــل الـــذي تخصيـــصه قـــد استمر مـــن ربـــه ومـــا للأغيـــار نظـــر

حتـــى تحقـــق لـــه العرفـــان بـــالله كامـــل لـــه البرهـــان

وقـــال: لا يـــستحقر الـــورد ســـوى جهـــول فـــضله ومـــا كـــان حـــوى[3]

مـــن كونـــه مطلـــب رب مـــن عبـــاد وأنـــه لـــو مـــات عابـــد لبـــاد

ولـــيس يوجـــد بـــدار الآخـــره ووارد بـــالعكس ممـــا ذكـــره

جاهـــد وداومـــه كحالـــة الـــسلف فالاعتنـــا أولا بـــه إذ لا خلـــف

وأيـــن مـــا طلـــب أن ينـــسب لِـــما طلبـــت؟ لـــيس نـــسبة بينهمـــا

ورود الأمـــــداد علـــــى العبـــــاد بحـــسب القـــوة واســـتعداد[4]

شـــروق أنـــوار اليقـــين فـــي القلـــوب بحـــسب الـــصفا مـــن أكـــدار العيـــوب

أول خـــاطر علـــى العبـــاد ميـــزان توحيـــد بـــلا عنـــاد[5]

خـــاطر ذي الغفلـــة حـــين يـــصبح تـــدبير نفـــسه ومـــاذا يـــصلح

---

(1) "متى جعلك في الظاهر ممتثلا لأمره، ورزقك في الباطن الاستسلام لقهره، فقد أعظم المنة عليك".

(2) "ليس كل من ثبت تخصيصة كمل تخليصه".

(3) "لا يستحقر الورد إلا جهول، الوارد يوجد في الدار الآخرة، والورد ينطوي بانطواء هذه الدار، وأولى ما يعتنى به ما لا يخلف وجوده، والورد هو طالبه منك، والوارد أنت تطلبه منه؛ وأين ما هو طالبه منك مما هو مطلبك منه".

(4) "ورود الإمداد بحسب الاستعداد، وشروق الأنوار على حسب صفاء الأسرار".

(5) "الغافل إذا أصبح ينظر ماذا يفعل، والعاقل إذا أصبح ينظر ماذا يفعل الله به".

لهـا، وذي العقـل بعكـسٍ يحـصل ينظـر مـا بـه الإلـه يفعـل
لغيبـة العبـاد والزهـاد عـن ربهـم فـي كـل شـيء بـاد[1]
استوحـشوا إذ لـو شـاهدوه فـي كـل شـيء ظـاهر مـا استوحـشوه
بنظـر المكونـات أمـرك فـي هـذه الـدار لأن يكـشف لـك[2]
فـي الـدار الآخـرة عـن كمـال رؤيـة ذاتـه بـلا مثـال
لا تتـصور هنـا مـشاهده حقيقـة لكـن بـشوق شـاهده
منـك لـه، وعلـم فقـد الـصبر عنـه أشـهدك الأكـوان مـا بـرز منـه[3]
علـم أن فـي العبـاد ملـلا فلـوّن الطاعـات حتـى تـسهلا
لهـم وفـي الأوقـات قـد حجرهـا لعلـم مـا مـن شـره فـيهم لهـا
وليكـون همهـم إقامـه لاصـورة الـصلاة والإقامـه
حفـظ حـدودها وحفـظ الـسر فيهـا مـع الله ونفـي الغيـر
أو حفظـه الأركـان والـسنن مـع غيبتـه عنهـا بمـن لـه تقـع
بهـا فوائـد الـصلاة يـا فهـيم تحـصل مـا كـل مـصل بمقـيم
إن الـصلاة لطهـارة القلـوب قـد جاء كـالنهر مـن أدنـاس الـذنوب[4]
وعنـدما تطهـر مـن عيـوب اسـتفتحت بابـا إلـى الغيـوب

---

(1) "إنما يستوحش العباد والزهاد من كل شيء لغيبتهم عن الله في كل شيء، فلو شهدوه في كل شيء لم يستوحشوا من شيء".

(2) "أمرك في هذه الدار بالنظر إلى مكوناته، وسيكشف لك في تلك الدار عن كمال ذاته".

(3) "علم منك أنك لا تصبر عنه فأشهدك ما برز منه، لما علم الحق منك وجود الملل لون لك الطاعات، وعلم ما فيك من وجود الشره حجرها عليك في بعض الأوقات، ليكون همك إقامة الصلاة لا وجود الصلاة، فما كل مصل مقيم".

(4) "الصلاة طهرة للقلوب من أدناس الذنوب، واستفتاح لباب الغيوب".

فــصارت المحـــل للمناجـــاة بـــسره ومعـــدن المـــصافاة[1]

واتـــسعت ميـــادين الأســـرار وأشـــرقت شـــوارق الأنـــوار

فيهـــا، فـــذي صـــلاة خاشـــعين لله لا صـــــلاة غـــــافلين

علـــم ضـــعفك فقلـــل العـــدد ثـــم احتياجـــك فكثـــر المـــدد

منها تـرى الخمسين حطت في العدد للخمـــس فاحفظنهـــا لا فـــي المـــدد

متـــى طلبـــت عوضـــا عـــن عجـــل طولبـــت بالـــصدق الـــسلامة تنـــل[2]

فلـــست للعمـــل حقـــا فـــاعلا يكفيـــك مـــن جزائـــه أن يقـــبلا[3]

فـإن يـرد أن يظهـر الفـضل عليـك خلـــق طاعـــة وينـــسبها إليـــك[4]

وقـــال أنـــت متـــق مطيعـــه تفـــضلا منـــه وذا صـــنيعه

فانـسب لـه محامـد الـصفات مـع محاســن الأعمـال إن منـك تقـع

وضـــرها أضـــف إليـــك واعتـــرف لـــه بمـــا مـــن المـــساوئ تقتـــرف

لا تنتهـــي مـــذامُّ مَـــنْ لنفـــسه يرجعـــه الحـــق ومـــن لحدســـه

يكِلُـــه كـــذا مـــدائح الـــذي يظهـــر جـــوده عليـــه المنقـــذ

وقـال حـظ العبـد مـن وصـف الإلـه تعلـــق بـــه فقـــط لا ســـواه[5]

فاشـــهد صـــفات الله بـــالتعلق بهـــا وأوصـــافك بـــالتحقق

---

(1) "الصلاة محل المناجاة، ومعدن المصفاة، تتسع فيها ميادين الأسرار، وتشرق فيها شوارق الأنوار، علم وجود الضعف منك فقلل أعدادها، وعلم احتياجك إلى فضله فكثر إمدادها".

(2) "متى طلبت عوضا عن عمل طولبت بوجود الصدق فيه، ويكفي المريب وجود السلامة".

(3) "لا تطلب عوضا عن عمل لست له فاعلا، يكفي من الجزاء لك على العمل إن كان له قابلا".

(4) "إذا أراد أن يظهر فضله عليك خلق ونسب إليك، لا نهاية لمذامك إن أرجعك إليك، ولا تفرغ مدائحك إن أظهر جوده عليك، فكن بأوصاف ربوبيته متعلقا وبأوصاف عبوديتك متحققا".

(5) "منعك ألا تدعي ما ليس لك من المخلوقين، أفيبيح لك أن تدعي وصفه وهو رب العالمين".

فيهـــــا، وذي كعــــدم وفقـــــر	ذل وعجــز مــع ضــعف يجــري
تـــدخل بـــه لخـــضرته وتـــصل	إليــــه مـــن منتـــه ذا يحـــصل
ويكمـــل العرفـــان فـــي الأصـــول	وهـــو مـــراد القـــوم بالوصـــول
منــع مـــن دعـــواك جـــلال الخلـــق	كيـــف يبيحهـــا بوصـــف الحـــق
واحـــذر فإنــــه غيـــور لا يحـــب	شـــركة فيـــه، وإن كانـــت غـــضِب
وكيـــف يخـــرق لـــك العوائـــدا	ومـــا خرقتهـــا فخـــف مكائـــدا[1]
إذ علـــم القـــدرة لا ينكـــشف	بخرقهـــــا كرامـــــة ويعـــــسف
إلا لِفـــانٍ عـــن حظـــوظ نفـــسه	وعـــن مـــراده وأُنـــسِ جنـــسه
محـــــض العبوديـــــة لله أراد	مـــرا عيـــا حقوقـــه علـــى اجتهـــاد
حتـــى تمحـــضت لـــه الإراده	يريـــــد مـــــا الله لـــــه أراده
مـــا الـــشأن عنـــدهم وجـــود طلبـــك	منـــه بـــل الـــشأن حـــسن أدبـــك[2]
بـــين يـــدي مـــولاك بـــالتفويض	وبالرضـــا بقـــسمه المفـــروض
أو العبوديـــة منـــك مطلبـــك	منـــه لـــه بـــذين زان أدبـــك
أَجَـــلُّ مـــا طلـــب منـــك الاضـــطرار	أســـرع شـــيء بالمواهـــب افتقـــار[3]
وذلـــة، وبهمـــا النـــصر لمـــن	قامـــا بـــه واضـــطر يـــاتي فـــاعلمن
لـــو لـــم تـــصل لله مـــا المـــساوي	وصـــف لظـــاهرك والـــدعاوي[4]

(1) "كيف تخرق لك العوائد وأنت لم تخرق من نفسك العوائد".

(2) "ما الشأن وجود الطلب، وإنما الشأن أن ترزق حسن الأدب".

(3) "ما طلب لك شيء مثل الاضطرار، ولا أسرع بالمواهب لديك مثل الذلة والافتقار".

(4) "لو أنك لا تصل إليه إلا بعد فناء مساويك ومحو دعاويك لن تصل إليه أبدا، ولكن إذا أراد أن يوصلك إليه غطى وصفك بوصفه ونعتك بنعته، فوصلك إليه بما منه إليك لا بما منك له".

للقلــب لــم تــصل إليــه أبــدا	إذ لزمــا ذاتــك هــذا مــا بــدا
لكـــن إذا أراد ان يوصــــلك	ســتر وصــفك بــه فأوصــلك
إليــه بالفــضل الــذي منــه إليــك،	لا باجتهــادك ومــا هــو لــديك
وقــال: لمــا كثــرت علــى العمــل	آفاتــه وقــل الإخــلاص بطــل
لــولا جميــل ســتره لــم يكــن	عمــل أهــلا للقبــول الممكــن[1]
أنــت لحلــم الله إن أطعتــه	أحــوج منــك لــه إن عــصيته
إذ رب طاعــة بعجــب ونظــر	تكــون أو عــصيان أو رث الحــذر
الــستر فــي المعاصــي مطلــب العــوام	خــوف سـقوطهم مــن أعــين الأنــام[2]
والــستر عنهــا مطلــب الخــواص	مــن ربهــم خيفــة الاســتنقاص
للنــاس آفــة ونقــص وعيــوب	وســتر مولانــا الجميــل للعيــوب
حبــب بعــضهم لــبعض وســتر	قبــيحهم لــذاك حُــسنهم ظهــر
مــن أكــرم العبــد فمــا أكــرم فيــه	إلا جميــل ســتره مــا يزدريــه[3]
فالحمــد حــق للــذي قــد ســتره	لا للــذي أكرمــه أو شــكره
ولــيس صــاحبك إلا مــن صــاحب	وهــو بعيبــك علــيم ورغــب[4]
فيــك، وخيــر صــاحب مــن يطلبــك	لنفعــه إيــاك وهــو يجــذبك

(1) "لولا جميل ستره لم يكن عمل أهلا للقبول؛ أنت إلى حلمه إذا أطعته أحوج منك إلى حلمه إذا عصيته".

(2) "الستر على قسمين ستر عن المعصية وستر فيها؛ فالعامة يطلبون من الله الستر فيها؛ خشية سقوط مرتبتهم عند الخلق، والخاصة يطلبون الستر عنها خشية سقوطهم من نظر الملك الحق".

(3) "من أكرمك إنما أكرم فيك وجود ستره، فالحمد لمن سترك ليس الحمد لمن أكرمك وشكرك".

(4) "ما صحبك إلا من صحبك وهو بعيبك عليم، وليس ذلك إلا مولاك الكريم".

لا لانتفاعـــــه بـــــه ابتغـــــاك ولـــيس ذا لـــه ســـوى مـــولاك

لـو أشـرق اليقـين فـي القلـب رأيـت الـدار الآخـرة أدنـى واعتنيـت[1]

41- أحمد بن يوسف بن علي بن الحسن ابن عبد الرحمن بن محمد اليعلاوي

من حفدة المذكور قبل هذا الأخير، ذكره محمد بن الحبيب التمنوكالتي، وله ضريح بمنطقة تسركات بدرعة، أقام بها بعد أن رحل من بلدة جده (أستور)[2].

42- أحمد بن صالح التدغي

هكذا وقفت على اسمه في مطلع منظومته الآتية في نسختين مختلفتين، ونسبها أحمد بن عمر الرقادي المتوفى حوالي (1096هـ) في كتابه "شفاء الأسقام العارضة في الظّاهر والباطن من الأجسام"[3] إلى (الشيخ التدغي) هكذا دون بقية اسمه بعد أن نقل غالب أبياتها مبتدئا بالفصل الثاني بعد أبيات المقدمة، وهو قريب من زمن الناظم كما هو ظاهر، وورد في نسخة ثالثة قبل بدء النظم أن القائل هو محمد بن مسعود التدغي، وهي النسخة التي وقفنا عليها عند بعض فقهاء المنطقة، نسخت بيد الفقيه محمد بن الحسن بن عبد الرحمن الغرفي المصيصي دارا ومنشأ عام (1306هـ)[4]، وعليه، فمن المحتمل أن تكون هذه النسبة إلى محمد بن مسعود من

---

(1) "لو أشرق لك نور اليقين لرأيت الآخرة أقرب إليك من أن ترحل إليها، ولرأيت محاسن الدنيا قد ظهرت كسفة الفناء عليه".

(2) ذكره أيضا الأستاذ المهدي الصالحي في رحلته الدرعية عند زيارته للبلدة، وأخبر هو الآخر بهذه النسبة التدغية كما سمعها من أهلها.

(3) تحقيق د. فلوريال سناغوستان 3/ 29.

(4) دلنا مفهرس مخطوطات في مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض مشكورا على إحدى النسخ عبر المراسلة الإلكترونية، تقع في مجموع رقم: 3216 (4) يرجع تاريخ نسخها إلى

تصرف بعض الناسخين، إذ عرف هذا الأخير وهو من أعلام درعة بتأليف نثري له في الموضوع ذاته عنوانه: "الروض اليانع في أحكام التزويج وآداب المجامع"[1]، ويظهر أن الفترة الزمنية التي عاش فيها الناظم ترجع إلى أواخر القرن العاشر الهجري وأوائل الحادي عشر، كما دل على ذلك تاريخ نظم هذا الرجز المثبت في بيت آخر النظم وهو عام (1029هـ)، والمنظومة المذكورة بعنوان: (تحفة الفلاح في آداب الجماع والنكاح) كما قال في آخره:

سـميتها (بتحفـة الفـلاح فـي آداب الجمـاع والنكـاح)

وهي من 245 بيت من بحر الرجز رمز إلى ذلك بحساب الجمل عند قوله: (أبياتها "مهر")، تختلف نسخها بتقديم أو تأخير في بعض فصولها وأبياتها، وكذا في بعض المفرادت والعبارات، مما يدل على أثر ناسخيها عبر الزمن. وقد اشتملت على مقدمة وأربعة عشر بابا وهي: - باب آداب الجماع - باب من تركه رأسا - باب منافعه - باب آفات الجماع - باب في المواطن التي يكره فيها الوطء - باب في آداب حالة الوطء والوقاع - باب المواطن التي يستحب فيها الوطء - باب في ذكر مقدمات الجماع - باب في ذكر أحوال الإيلاج - باب ما يكره حال الجماع - باب المقدار الذي ينبغي منه - باب ما يجب أن يعلمه لأهله - باب ما يفعله العروس بالعروسه - باب في ذكر العدل بين الزوجات وغير ذلك.

وهي - كما يظهر من عنوانها - عبارة عن مجموعة من الآداب والأحكام الخاصة بالزواج والجماع، الغالب أنها نظم لمسائل مما في كتاب (مقنع المحتاج

=

القرن الثالث عشر الهجري، ثم وقفنا على ثالثة ضمن مجموع أصله من خزانة المكتبة الفرنسية برقم 5600.

(1) واسمه كاملا أبو محمد عبد الله بن محمد بن مسعود الدرعي، من علماء القرن العاشر الهجري.

في آداب الأزواج) لابن عرضون الذي اعتمد على مصنفات عدة في الفقه والحديث والأخلاق كـ (الإحياء) للغزالي و(النصيحة الكافية) لزروق فصل (المحارم الفرجية) وغيرها، وربما أفاد الناظم من كتاب (الروض اليانع في أحكام التزويج وآداب المجامع) لعبد الله بن محمد بن مسعود الدرعي المذكور آنفا، إن كان الناظم اطلع عليه، فإنه قريب العهد به والمكان، وإلا فيكون من باب اتحاد المراجع المعتمد عليها. وهذه الآداب المذكورة بعضها مما له سند في القرآن والحديث، وبعضها الآخر إنما هو من قبيل المستفاد من التجربة والاعتقاد الناشئ من عادات معينة.

وقبل عرض هذه المنظومة نضيف شيئا آخر، وهو أن مثل هذه التآليف التي تطرق هذا الباب الذي يعد في العرف من المحرجات إن لم يكن من المحرمات، ليدل على وعي أصحابها بضرورة التثقيف في هذه الجوانب التي لا يخفى أثرها على العلاقة الزوجية والأسرية، ومن ثم فهي جزء من دين المسلم وشريعته، وداخلة فيما يجب على المكلف أداؤه من تلك الحقوق والواجبات المترتبة عليه عند اقترانه بحليلته، فالزوجان لا تجمعها علاقة روحية واجتماعية فحسب، بل تربطهما علاقة غريزية طبيعة ليست بالأمر الهين لما لها من أثرفي نجاح تلك العلاقة أو فشلها، ولا يخفى أن المنظومة تخاطب فئة بعينها انطلاقا من أن تلك الآداب والحقوق والواجبات لا تكون إلا في نطاق عقد شرعي يحل الاستمتاع بين الطرفين، وهذا من خصائص التربية الجنسية في الإسلام التي تعطي الفرد المسلم منها ما يناسبه حسب كل مرحلة عمرية.

ومع هذا، يبقى مجرد التفكير في تأليف كتاب أو نظم في هذا الباب وبذاك التفصيل الذي لا تجهله الغريزة أحيانا وفي سياق تلك الأعراف السائدة جرأة علمية واجتماعية لدى الناظم أو غيره ممن كتب في الموضوع، وهذه هي المنظومة مصححة من مجموع النسخ المشار إليها، وما قد يظهر منها أنه خلع للعِذار وهتك للستار فليس كذلك إذا نظر إليه بالعين السليمة:

تحفة الفلاح في آداب الجماع والنكاح

مقدمة

يقـــول عبـــد الخـــالق العلـــي أحمـــد نجـــل صـــالح التـــدغي
الحمـــــد للإلـــــه والـــــصلاةُ علـــى الـــذي فـــي كَفِّـــهِ الحـــصاةُ
قـــد ســبّحت وعجـــزتْ عـــن وَصـــفهِ كـــلُّ الـــرواةِ وكـــذا عـــنْ فَـــضلهِ
وبعــــد فالقــــصد بــــذا أردتُ ذِكــرُ فُــروض الــوَطْء ثُــم قلــتُ:
و إنْ تُــــرِدْ بِليـــــلٍ أو نهـــــارِ إتيــانَ زوجــك علــى الأخيـــارِ
فواجــــب ألا يكـــون مَعَكَـــا بِالبيـــتِ يَقظـــان مـــادام دهركـــا
أو نـــائم يَفهـــم معنـــى الـــوطءِ فامْنَعهمـــا حَتْمـــا لِكـــلّ مَـــرْءِ
لكـــنهم قـــد خفَّفـــوا فِـــي الهِـــرّ ومِثْلُـــه الرضـــيع فيمـــا أدْري

باب آداب الجماع

واعلـــم بـــأنّ كثـــرةَ الجمـــاعِ تُـــضعف الجـــسم بـــلا نِـــزاع
ويُــورِث المــرض مِــنْ غيــر لَــبْسِ وضَـــعف قُــوة ووجـــع الـــرأسِ
كــذاك وجْـع ظهـر زد ضـعف الكُلـى وضـــعِف لـــذةِ الجمـــاعِ مُـــسْجَلا
فــي الـصيف والخريـف داؤه يَحِـلّ وفـــي الـــشتاء والربيـــع قـــد يَقِـــلّ
جربــــتُ ذاك بغيــــر شـــــكّ حَــدِّثْ بِــه نجــوتَ يــوم الــضّنْكِ

باب من تركه رأسا

وتركـــــه يُـــــؤدي لِلــــصُّداعِ والهَـــذَيانِ صـــنهُ بالجِمـــاعِ
وخَفَقَـــانِ القلـــبِ ثـــمّ الأبْـــرَدَهْ وضِـفْ لـه النَّقْـرسَ عـنْ ذي معرفـهْ

ويُغمِـي عـين القلـب إن شـككتَ فَجَرّبَنْـــهُ نِلــت مـــا أردتَ

باب منافعه

لــه منــافع كنَفْـيِ الغَـضب ينفـي الهمـوم غالبـا كـالكرب

كـذاك الوســواس باتفـاق يُـزال بـالوطء علـى الإطـلاق

وقـد يقـال إن كـل شـهوه يجـدها الإنـس كفيـت النكبـه

فإنهـا تقـسي القلـب اقـبلا إلا التـي تعـزى لـوطء مـسبلا

باب آفات الجماع

إيـاك والجمـاع حـال المعـده مملـوءة بالـشرب دون مريـه

مخافـة الحـصا وضـر النقـرس وجـع الكـلا فـلا تكـن كـالفرس

يـورث ضـعف الـسمع قـالوا والبـصر تقطيـر بـول جاءنـا دع الكـدر

وللرضـيع مثـل ذي العيـوب تقـدمت لكـل مـا مطلـوب

كثقـل اللـسان والأمـراض جميعهـا جنبـه بالتراضـي

ثقالـة الـروح فـساد الأسـنان والفـم ضـف لـه كـذاك النـسيانْ

وقلـة الفطنـة والتـدبير ثـم التلافـة فخـذ تقريـري

وعيـي وجاهـل يمـاري لـه طبيعـة مـن الحمـار

ثلاثـة تهـرم يـا أبـرار كـذا روتـه الـسادات الاخيـار

النـوم والجمـاع والعجـوز إذا نكحتهـا فـلا تفـوز

علـى الـشباع ذاك يـا إخـواني وربمـا قتلـت المـرآن

وينبغـي عنـد فـراغ الـبطن مـن الطعـام يـا مريـد الأمـن

لأجـل مـا بـه مـن الفوائـد للطفـل قـالوا ذاك ثـم الوالـد

أمـا التـي تعـزى إلـى الـصبي ... فـذكي فطـن يـا أخـي

وأن يكـون عـاقلا ذا ذهـن ... وفاهمـا وعالمـا ذا حـسن

وعكـسها يوجـب وصـف الـذم ... كمـا تقـدم ففـز بـالفهم

أمـا الـذي لوالـد فـأمران ... فاحفظهمـا تـنج مـن الهـوان

فلـذة الجمـاع فيمـا أعلـم ... وصـحة الجـسد ثـم أسـلم

ولخـروج المـاء أيـضا أسـهل ... وللحـوق المـاء بالمـاء اقبـل

باب في المواطن التي يكره فيها الوطء

الـوطء مكـروه لـدى أولـي النظـر ... عنـد إرادة الخـروج للـسفر

والـوطء بعـد الاحـتلام يكـره ... كراهـة التنزيـه حقـق أمـره

ولـيس يكـره إذا اسـتنجيتا ... أو بلـت فـادر مـا عنـوا هـديتا

فـي أول الأيـام فـي الـشهر اتـركن ... كـذاك الأخيـر حققـن وافهمـن

ويقول في آداب حالة الوطء والوقاع

ووطـؤك الزوجـة وهـي باركـه ... يُمنـع أو كجنبهـا كواقفـه

بـل هـي علـى الظهـر تكـون راقـده ... رافعـة الـرجلين خـذ الفائـده

فإنـه عنـد الـسادات أفـضل ... مـن جملـة الهيئـات وهـي أسـهل

وقـد نهـى الحـذاق عـن إتيانهـا ... إن جلـست أو رقـدت بثوبهـا

إلا إذا جردتهـا يـا تـالي ... إذ النـساء شـهوة الرجـال

وامنعـه فـي الحـيض وثـم الـدبر ... وفـي النفـاس جـا بـل تـدبر

وتركهـا اللبـاس والتعطيـرا ... فـي أيـام الحـيض خـذ التفـسيرا

فـضيلة لأجـل فتنـة الرجـل ... وفـي النفـاس تركهـا أيـضا نقـل

باب المواطن التي يستحب فيها الوطء

عند التزين أو التعطر   أو التلبس ففز ودبر

قد يستحب وطؤها لأنها   قد جعلته حجة لوطئها

عليك بالجماع إصر حيضها   بعد انقطاع دمها وغسلها

لنكتة جليلة هنالك   لمن أراد النسل فاعلم ذالك

ويستحب بانصرام الليل   لخفة البطن تدبر قولي

لكنه لغير من يصلي   فحققنه فزت يوم الفصل

وأول الليل مع النهار   لكن بُعيد الهضم لا تمار

باب في ذكر مقدمات الجماع

وقدم اللعب وطيب الكلام   وأحفز التقبيل قل ولا تلام

وجنب التقبيل فوق العين   والوطء حال الكره دون مَيْن

وفي الملامسة يا صاح أبلغ   تظفر بما أحببته وتبتغي

وصدرك الصقنَه بصدرها   كي تقرب الشهوة فاعرف أسها

لأن ما الرجل فيما ذكرا   منحدر من ظهره دون امترا

فإن تركت اللعب منك عجله   وكون الصبي من ذي اللذه

فاعلم بأنه يكون جاهلا   وغبيا وباخلا يا سائلا

وحرك الثديين زد معانقه   وواصل الجماع بالملاعبه

باب في ذكر أحوال الإيلاج

وسم واستعذ بما في النحل   أو غيره عن جل أهل النقل

وسورة الإخلاص والتهليل   ومثلها التكبير في المنقول

قبـل الإيـلاج ثـم حكـك الـذكر بجانـب الفـرج فـذاك المعتبـر
ولا تعجـل بـالايلاج حتـى تطيـب الـنفس قفـي رشـدت
باللعـب واللمـس وبالمعانقـة وغمـزك الشـديين وهـي بـارزة
ليـستوي الإنـزال بالكمـال إذ يوجـب القبـول لا تبـال
لـدى الإيـلاج فـاترك التقبـيلا إلـى تمـام الـوطء خـذ تعلـيلا
وغـط رأسـك وصـوتك اخفـض وظهـرك اسـترن لا تمتـرين

باب ما يكره حال الجماع

ويكـره الكـلام والتّجـرّدُ كمثـل عُريـانٍ فـلا تُفَنِّـدُوا
ولا يَمُـسَّ الفـرج بـاليمينِ فـي كـلّ وقـت قـل بـلا تعيـين
لا سـيّما عنـد الجمـاعِ والخَـلا فـافهمْ نجّـاك الله مِـنْ كـلّ بَـلاَ
تجـويز للنظـر فـي الفـرج أتـى عـن جملـة الاخيـار فـاعلم يـا فتـى
لكـنهم قـد قـالوا يعمـي القلـب ويـورث الـبغض وينفـي الحـب
ويـستحب المهـل فـي الـوطء كـذا تخلـيط ريـق مـع ريقهـا خـذا
لكـنهم عنـد بـروز الـشهوه يستحـسنون المهـل نلـت الـسنه
تـدفقا ومثلهـا التـنفس بوجههـا بهـا تطيـب الأنفـس
ولا تعجـل بنـزول المنـي بـل المهـل أفـضل إلينـا قـد نقـل...[1]

باب ما يفعل بعد الجماع

والـزوج والزوجتـان يمـسحان بخـرقتين الـداء خـذ بيـاني
مخافـة الفـراق ثـم الـبغض فاحـذر أخـي مالهـا مـن رفـض

---

(1) أبيات تركناها.

وينبغـــي للزوجــــة المطيعـــه بعـــد الجمـــاع النـــوم خـــذ مزيـــه

علـــى اليمـــين ليكـــون الولـــد إن شـــاء ربـــي ذكـــرا قـــد قيـــدوا

ونومهـــا علـــى اليـــسار يوجـــب كـــون الـــصبي أنثـــى فيمـــا جربـــوا

أمـــا علـــى الظهـــر فللبطالـــه لمـــن أرادهـــا بكـــل حالـــه

وكرهـــوا لـــواطء النـــساء بعـــد الجمـــاع الـــشرب يـــا خـــلاء

ومثلـــه الغـــسل كـــذا القيامـــا أعنـــي بـــإثر الـــوطء خـــذ أحكامـــا

واستحـــسنوا الغـــسل بعيـــد ذالـــك لكـــن بعـــد مهلـــة ياســـالك

والغـــسل قبـــل النـــوم بعـــد الإتيـــان قـــل ســـنة الرســـول فـــافهم البيـــان

وإلا فالوضـــــــو أو التـــــــيمم كـــذا حكـــاه ابـــن حبيـــب فـــاعلموا

باب المقدار الذي يبغي منه

ووســـــطنه تحـــــظ بالـــــصواب لكـــي تعـــد مـــن ذوي الألبـــاب

وقـــد عـــزي لـــبعض أهـــل الطـــب مـــرة فـــي اليـــومين لـــذ بالحـــب

ومـــن أتـــى الزوجـــة مـــرتين بجمعـــة فقـــد قـــضى حقـــين

وغايـــة الـــصبر علـــى الجمـــاع ســـتة أشـــهر بـــلا نـــزاع

لـــسائر النـــساء والبلـــدان فـــي ذاك تختلـــف والأزمـــان

باب ما يفعله العروس بالعروسه[1]

وللعروســـــة امـــــنعن أربعـــــا الخـــل والقزبـــور أيـــضا فاســـمعا

واللـــبن التفـــاح يعنـــي الحـــامض عـــن النبـــي مالـــه معـــارض

(1) من الأخطاء الشائعة في اللغة قولهم للرجل: عريس ولا يصح.

إذ تفسد الأرحام قولا واحدا … من الولادة فخذ فوائدا
ويمنع الحيض وذاك داء … بعينه يا صاح لا امتراء
وإن أتت تدخل نحو البيت … فمر بخلع نعلها بالبت
أو اخلعنه سرعة إليها … واغسل بماء بارد رجليها
وانضح به البيت وباب الدار … أركانها جدارها يا قاري
فإن فعلت فاعلم أنه ذهب … عنك من الفقر كنحو نقط مب
ويدخل عليك مثل ذالك … من خير أو بركة هنالك
ثم اجعلن يدك فوق رأسها … واقرأ عليها المزن عن آخرها
وآية الكرسي أيضا تاليا … ثم ادع بعد ذاك قائلا فيا
رب اصلحن بيننا ووفقن … وارزق لنا رزقا حلال واغفرن
وولدا مؤدبا وطائعا … وصالحا وواليا ونافعا
وأكثر الصلاة والتسليما … على النبي والآل كن فهيما
ثم إلى سبيلك امض عاجلا … من غيرما التفات للدخلا
واحكم بتحريم الذي يمكن … لها من الدرهم ذاك بيّن
عند الدخول وهو أمر قد جهل … لا سيما في كل مرة حصل
وليمكث العروس عند البكر … سبعا من الأيام جا في الأثر
للانقباض غالبا ثم لدى … الثيب قل ثلاثة طول المدى
واختلف السادات هل تمنعنه … من جملة الأشغال فاحفظنه
والمنع أولى وهو اعتمادي … لأجل حق الغير خذ مرادي
وهل صلاة العيد والجماعة … كذاك فاحفظن ذي العباره
وجهان يا خليل والمشهور … منع الجميع قاله الجمهور
وزوِّرنها أهلها يا قاري … في ثامن الأيام حكمها جار

ولا تحـــدث أحـــدا بـــسرها ... إذ ذاك محظـــور ولـــو بخيرهـــا
ولا تطلقهـــا بغيـــر عـــذر ... فـــإن يقـــع فالـــصمت عنهـــا جـــار
ومتعـــة كلتاهمـــا فـــي الـــذكر ... مـــا زالتـــا تتلـــى دوام الـــدهر
مندوبـــة لأجـــل مـــا يـــصيبها ... مـــن ألـــم الفـــراق فـــادر نـــصها
مـــن غيـــر تحديـــد علـــى المـــشهور ... عـــن مالـــك ذي الزهـــد والبـــرور
وإن تـــرد أن تحفظـــن فرجهـــا ... فـــضع أخـــي يـــدك فـــي رقبتهـــا
وقـــل بـــصوت يـــا رقيـــب يـــا رقيـــب ... ســـبعا بقلـــب واجـــل فافعـــل تـــصب
وآيـــة بيوســـف قـــد رجحـــوا ... بعيـــد (نكتـــل) وقبيـــل (فتحـــوا)
والـــسورة التـــي قبيـــل الأعلـــى ... وســـورة الفلـــق أيـــضا تتلـــى
وإن أردت أن تميـــل قلبهـــا ... فاتـــل عليهـــا حينمـــا دخولهـــا
مـــا بعـــد ســـورة الـــضحى بغيـــر مـــين ... وســـورة النـــصر لا غيـــر تـــين
وإن أصـــابك اعتـــراض الـــسحر ... فلتكتـــبن لـــه المثـــاني فـــادر
ســـبعا مـــن المـــرات جـــاء فيهـــا ... فهاكهـــا منـــصوصة فادرهـــا
وســـورة القـــدر علـــى التمـــام ... خمـــسا وعـــشرين فـــي ذا النظـــام
فـــي الظـــرف وامحـــه بمـــاء الحمـــص ... وهـــو الـــذي قـــد بـــات فيـــه خـــصص
ويـــشربنه بعـــد ذا أيامـــا ... ثلاثـــة يبـــرا خـــذ النظامـــا

باب ما يجب أن يعلمه لأهله

فواجـــب عليـــك أن تعلمـــن ... لهـــا حقـــوق الـــزوج لـــو لـــم تعلمـــن
كـــالنكس والغـــزل كـــذاك النـــسج ... وخدمـــة الطعـــام مـــن ذا الـــنهج
وغيـــر ذاك ولكـــن تعتقـــد ... أن حقـــوق الـــزوج لا تحـــصى عـــدد
ثـــم فـــرائض الوضـــوء فـــاعلم ... والغـــسل حكـــم الحـــيض والتـــيمم

ثـم النفـاس والـصلاة والـصيام كـذاك التوحيـد خـذه بالـدوام
وإن جهلـت فاسـألن لهـا كمـا قـد كنـت تـسأل لنفـسك افهمـا

باب في ذكر العدل بين الزوجات وغير ذلك

والعـدل واجـب بكـل حـال بـين النسـاء فـي قـول ذي الجـلال
لكنـه نفـي بمـا لا يملـك كالحـب والـوطء ومـا لا يـدرك
غيرهمـا يجـب كالمبيـت نفقـة آكـد كالتعنيـت
للحـر والعبـد بـلا تبعـيض والـصحيح ثـم المـريض
كـذاك الخـصي والمجبـوب فيمـا نقلـت أيهـا الحبيـب
كـن النـسا حرائـرات أو إمـا كتابيـات أو بعكـس تنتمـى
ولا تفـضل أحـدا علـى أحـد صـغيرة علـى كبيـرة أبـد
ولا كبيـرة علـى صـغيره ولا صـحيحة علـى مريـضه
ولا الحرائـر علـى الإمـاء وعكـس ذا قلـه بـلا امتـراء
إذ حـق بعـضهن حـق الكـل حكـم الجميـع واحـد فـي النقـل
ولا يجـوز تـرك لـذتك فيـه مـن واحـدة لواحـدة فاقتفيـه
ولا يجـوز وطء إحـداهن بحـضرة الأخـرى ولـو أمـرن
ولا يـضاجعهن فـي فراشـه أعنـي جمـيعهن أو إزائـه
ولا يخـص نفـسه بالبيـت إذ ذاك بدعـة فـع بالثبـت
بـل يـأتي كـل زوجـة ببيتهـا كفعـل سـيد الأنـام هاكهـا
وذات ضـرة إذا مـا وهبـت ليلتهـا لزوجهـا وتركـت
فـالزوج يـا أخـي بتلـك الليلـه مخيـر هـديت كـل بغيـه
يجعلهـا لمـن يـشا مـن النـسا فكـن لمـا نقلتـه ملتمـسا

أو يجعلنهـا بينهن إن يشا قولان في المذهب والكل فشا
واحتلفوا أيضا في أخذ العوض عن يومها كاليوم فافهم الغرض
فقيل: لا وقيل: ذاك جائز في غير ما كثر وهو بارز
وإن تكن قد وهبتها فافهما لبعضهن فاعلم أن العلما
أعطوا لها مبيت ليلتين ورجعة لها على الوجهين
واختلفوا في نومه إن قفلت واحدة منهن بابا وأبت
في وجهه فقيل: عند الباب وهو الذي أبغي بلا ارتياب
وقيل: لا بل هو عند الأخرى وثالث الأقوال أيضا يجرى
وهو أن ينظر أين يرقد فالزم كلاك الله هذا تسعد
لكنه لم يقض تلك الليله لها روته الصفوة الأجله
لأنها قد ضيعتها أولا وتركتها عامدا فحصلا
قد انتهت قصيدتي ونجزت بحمده سبحانه وكملت
سميتها بـ (تحفة الفلاح في آداب الجماع والنكاح)
أبياتها (مهر) بلا توهم نظمتها قصدا بها تعلم
مبتغيا بها أجور العلم ثم المتعلم ففز بالفهم
وناصحا لكل جاهل عدم فهما ولم يكن للعلم مقتحم
وقد تركت جلة الأقوال مخافة التطويل والإجمال
ولتصلح الذي وجدت من خلل بنية الخير هديت للعمل
لأنني لست من أهل العلم والنحو والبيان ثم النظم
واسأل الله تعالى القادر أن يتجاوز عن الكبائر
بجاه سيد الأنام أحمدا وآله والأنبيا والشهدا
واغفر لنا وارحمنا يا إلها وتب علينا توبة ترضاها

واخـــتم لنـــا بـــالخير والثبـــات	عنـــد الـــسؤال وكـــذا الممـــات
ولأبـــي وأمـــي ثـــم الأصـــحاب	والمـــــومنين بـــــالنبي الأواب
ثـــم الـــصلاة عـــدد الخلائـــق	علـــى النبـــي الهاشـــمي الـــصادق
والآل والأصـــحاب أعنـــي العـــشره	والتـــابعين وجميـــع الأمـــه
فرغـــت منهـــا جمـــادى الآخـــره	بغـــرة الـــشهر بـــلا مفـــاخره
بعـــام تاســـع مـــع العـــشرين	عامـــا بعيـــد عاشـــر المئـــين

43- عمر بن الحسن بن يوسف التدغي

كان حيا في القرن الحادي عشر، نسخ كتاب (الوجيز في شرح كتاب الله العزيز) للواحدي، عام (1047 هـ)، توجد نسخة منه بالمكتبة الوطنية.

44- أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد المغربي التدغي العشري

من علماء القرن الحادي عشر الهجري ومن القراء، كان حيا في: (1069هـ)، أقام بمصر وأخذ عن علمائها في علم القراءات خاصة، كما في تاريخ إجازته لتلميذه عبد الرحمن بن محمد العصايب في القراءات، ويظهر من هذه الإجازة أنه رحمه الله ممن تمكن في هذا العلم، حتى قرأ فيه بالقراءات العشر المعروفة من طريق "الشاطبية" و"الدرة" المسماة بالعشر الصغرى، فضلا عن عدد من متون هذا العلم في علمي الرسم والتجويد. كما يتضح منها أيضا ورعه وشدة احتياطه في إجازة غيره، فإنه لم يجزه إلا بعد إلحاح من تلميذه، وبعد أن استيقن أهليته وكفاءته، ولم يكتف في العرض بما تيسر من القرآن الكريم بل باستعراضه من أوله إلى آخره، مع استحضار قواعد العلم من أمهات متونه في مظانها. حُلِّي من ناقل الإجازة بـ (البحر الفهامة، الزاهد العابد، الناسك السالك)، وحلى أباه بـ (المرحوم الفاضل

الأنجد الأمجد)، فالغالب أن يكون الشيخ المترجم رحل أبوه إلى بلاد المشرق واستقر بمصر فنبغ ابنه هذا في القراءات.

والإجازة المذكورة من نقل بعض أهل العلم، قدم بين يديها كلاما في ذكر بعض ما جاء في فضائل تعلم القرآن الكريم وتعليمه، ثم أتبعه بذكر التلميذ المستجيز المذكور وأخذه القراءات عن شيخه التدغي المذكور وأتبعه بتفصيل أسانيد التدغي في القراءات سواء من طريق (الشاطبية) أو من طريق (الدرة).

نص إجازة أبي العباس أحمد بن محمد بن أحمد المغربي التدغي لعبد الرحمن بن محمد العصايب[1]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وسيد الخلق أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك الحق المبين، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله رحمة للعالمين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين، وعلى أهل بيته الطيبات والطيبين، شهادة وسلاما وصلاة تدوم وتقوم بدوام السموات والأرضين، أما بعد:

فيقول العبد الفقير، الغريق في بحار الذنب والتقصير، الراجي رحمة الباري أحمد ابن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عثمان المغربي التدغي وفقه الله وختم له بأكمل حالات عند آحر دقيقة من العمر وثبته بذاك عند ملاقاة الرجمن ولطف به وبأولاده وأهله وسائر الأحبة والإخوان، آمين: قد اجتمع بي أخي في الله الأستاذ عبد الرحمن بن الحاج محمد العصايب مدة طويلة، وصحبني صحبة أكيدة أصلية، فقرأ علي لكل من القراء السبعة: نافع بن أبي نعيم، وعبد الله بن كثير، وأبي عمرو البصري،

---

(1) إجازة ضمن مجموع 774 (13) مكتبة الملك عبدالعزيز، وننبه إلى وجود علم من أعلام المغرب هو أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي المعروف بابن القاضي عاش في الفترة نفسها وتوفي في: 1025هـ، وأخذ عن مشايخ القراءات المصريين الذين أخذ عنهم المترجم التدغي، فلا ينبغي أن يشتبه به.

وعبد الله بن عامر، وعاصم بن أبي النجود، وحمزة بن حبيب الزيات، وعلي الكسائي جزءا من القرآن، ثم قرأ الختمة من أولها إلى آخرها جمعا بالقراءات السبعة، ثم قرأ أيضا لكل من أبي جعفر يزيد بن القعقاع، ويعقوب الحضرمي، وخلف البزار جزءا من القرآن، ثم قرأ الختمة من أولها إلى آخرها بالقراءات العشرة، وكان الجمع الأول بمُضَمّن "الشاطبية"، والجمع الثاني بمضمنها و"الدرة" لا بن الجزري، وقرأ عليّ جُلّ الشاطبية مع استحضار نصوصها في وقت التجويد، وقصيدة "الجزرية" في علم التجويد، وكتاب "مورد الظمآن" في علم الرسم للإمام الخراز، وقصيدة "الضبط" أيضا أيضا للإمام الخراز، و"العقيلة" في علم الرسم للإمام الشاطبي، و"الدرر اللوامع في مقرإ الإمام" لنافع بن أبي نعيم، وطلب مني الشيخ عبد الرحمن المذكور أن اكتب له إجازة؛ وكرر ذلك علي المرة بعد المرة والكرة بعد الكرة، فلما رأيته قد تميز بين أقرانه، وأشير إليه بالفضيلة بين إخوانه، استخرت الله تعالى الذي ما خاب من استخاره ولا من استشاره، وأجزته أن يقرأ للسبع والعشر من الطرق المذكورة، لما أعلم منه معرفة بذلك، وأجزته أن يروي عني جميع ما يحوز له، وعني روايتي عن شيوخي من الكتب المذكورة، وأذنت له أن يفيد من رام منه الإفادة، فإنه أهل لذلك إن شاء الله وزيادة، وأن يجيب السائل بالبنان والبيان مع التحرير والإتقان، وملازمة التقوى وذاك هو السبب الأقوى، وأجزت فيه إجازة عامة على الشروط المرعية في الإجازات الشرعية، وعلى البراءة من التصحيف والتبديل والتحريف، وأوصيه ونفسي مع ذاك بتقوى الله العظيم، واقتفاء طريق الصواب والعمل بما يخلصه من يد الله في يوم الحساب، وليقدر قدر ما أنعم الله عليه من حمل كتابه الكريم، وليعلم أنه حجة له أو عليه في الموقف العظيم.

ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يعيننا وإياه على ما به كلفنا، وأن يصلح عملنا، ويستر زللنا، ويختم بالصالحات عملنا، ويجعل إلى الفردوس الأعلى مصيرنا ومآلنا، آمين.

وفي تاريخ يوم الأخير من رمضان من سنة تسع وستين وألف، عرفنا الله خيره ووقانا ضيره، آمين والحمد لله رب العالمين.

45- أبو الحسن علي بن إبراهيم التدغي

عاش في القرن الحادي عشر الهجري، وربما توفي في النصف الأول منه، وهو من كبار علماء تودغة وصلحائها، وممن اشتهر أخذه عن الشيخ أبي بكر الدلائي مؤسس الزاوية الدلائية[1] المتوفى عام (1021هـ)، وناهيك عمن أخذ عن هذا الشيخ الجليل، بل إن سليمان الحوات لما ذكره في (البدور الضاوية)[2] ذكره في ثلة معدودة العدد الذين هم أصحاب الشيخ الدلائي، ثم أشار إلى وفاته بتودغة دون تاريخ، وقبره مشهور إلى اليوم فيها بقصر (آيت سنان)، ومثل هذا العلم لا شك له من الآثار العلمية والتربوية اليد الطولى، ومع ذلك فهو مجهول بين الناس لولا هذه الإشارة المحفوظة في المصدر المذكور.

46- أبو الحسن علي التدغي

المتوفى في القرن الثالث عشر الهجري على الأغلب، قال عنه القادري في (التقاط الدرر) وقد أورده في وفيات القرن المذكور دون تحديد السنة: (الفقيه البياني المعقولي الخير الدين)، وقال عنه في (فهرس الفهارس): (المعمر العلامة المحدث الكبير)[3]، وذكر ممن روى عنه الفقيه العلامة المعمر محمد بن علي بن الحسين بن عبد السلام الناصري الدرعي المتوفى سنة (1334هـ)، وأخذ عنه أيضا أحد كبار فقهاء مكناس وأدبائها القاضي أبو القاسم بن سعيد العميري التادلي

---

(1) تأسست حوالي: (974هـ)؛ ونافست في السياسة كما نافست في العلم حتى فاقت مدينة فاس في لحظة من اللحظات، انتهى أمرها بنكبة السلطان المولى الرشيد العلوي إياها عام (1079هـ)، رثاها أحد تلامذها وأشياخها عالم المغرب في زمانه الحسن اليوسي برائيته الفريدة التي مطلعها:

أكلف جفن العين أن ينثر الدرا ... فيأبى ويعتاض العقيق بها جمرا

(2) البدور الضاوية: مخطوط خاص.

(3) 2/ 847.

(1178هـ) الذي كانت له حظوة عند السلطان العلوي المولى إسماعيل، قرأ عليه جملة من السلم المُنورق في المنطق، كما في (إتحاف أعلام الناس) لابن زيدان[1].

ثم إن محمد المكي بن موسى الناصري ذكر في ترجمة والده الشيخ موسى أن أبا الحسن علي التدغي ممن أجاز والده وحلاه بقوله: (العلامة المحقق صاحب اختصار "الحلية" رضي الله عنه)، ووالده هذا قد توفي عام (1142هـ)، وهذا يشكل على ما ذكره القادري والكتاني في (فهرس الفهرس)، وذلك أن ما ذكراه يقتضي بعد الزمان بينه وبين ما ذكره المكي بن موسى الناصري، إلا أن يكون قد عمر طويلا كما قال عنه في (الفهرس)، فيكون قد أجاز تلاميذته من قبل سنة (1142هـ) إلى ما بعدها بعقود، والله أعلم[2].

47- أبو العباس أحمد الحبيب التدغي السجلماسي

هكذا نسبه إلى تودغة صاحب (إتحاف المطالع)[3]، نقلا عن مبيضّة كتاب (الروض الطيب العرف) للعلامة محمد بن عبد الرحمان الفيلالي السجلماسي الحجرتي المتوفى عام (1275هـ)، فالذي نسبه إلى تودغة رجل من كبار علماء المغرب في وقته وعارف بعلماء زمانه، وكنت طالعت في كتاب لا أذكره أن نسبته إلى تودغة من جهة مقامه بها فترة، قال عنه القادري في (نشر المثاني): (الولي الشهير العالم العلامة المدرس الزاهد الكبير.. فريد العصر من أكابر الزهاد، وممن

---

(1) 5/ 632.

(2) فهرس الفهارس: 2/ 446. التقاط الدرر. الدرر المرصعة: 2/ 662. وعلى هذا فمن ذكر المترجم من جملة تلامذة محمد بن عبد السلام الناصري (1239هـ) كمحقق "الرحلة الناصرية الكبرى" لصاحبها ابن عبد السلام هذا، وغيره، يكون قد وهم، فالأولى أن يكون الأمر على العكس لتقدم التدغي على ابن عبد السلام كثيرا، وربما أوقعهم في هذا عبارة صاحب (فهرس الفهارس) حين قال: وهو يروي (يقصد: العلامة المعمر محمد بن علي بن الحسين بن عبد السلام الناصري الدرعي المتوفى سنة 1334هـ) عن المعمر أبي الحسن علي التدغي عن ابن عبد السلام الناصري أيضا) والراجح سقط حرف (الواو) بين قوله "التدغي" وقوله "عن" كما تدل عليه كلمة "أيضا" وليتفق هذا مع ما أشرنا إليه من التواريخ.

(3) إتحاف المطالع: 1/ 60.

أجمع الخاص والعام على ولايته واترف الكل بتحقيقه للعلوم ودرايته... أخذ العلم والطريقة عن عدة شيوخ من المغرب والصحراء..)[1] وذكره صاحب كتاب: (السند القرآني: دراسة وتأصيل: السند الشنقيطي نموذجا) في جملة شيوخ بعض أسانيد الشناقطة في الإقراء، وذكر عن بعض تلاميذته الشناقطة أنه كان متقنا للقراءات من سائر طرقها والعشر الصغير لنافع[2]، وترجم له في غير ذلك من الكتب، وعلى العموم فقد كان من نوادر زمانه علما وعملا، ولذلك حق لنا أن نذكره ضمن من شرفت تودغة بمقامهم فيها. وقد كانت وفاته في (1165هـ) ودفن بداره بسجلماسة واتخذ الناس عليه ضريحا.

48- عبد العزيز بن محمد التدغي

كان حيا في: (1195هـ)، من ذرية علي بن إبراهيم المذكور قبله، شهد على عقد هبة القبائل التدغية لإسماعيل بن عبد الله الناصري.

49- محمد بن المسعود الأفانوري التدغي

من فقهاء القرن الثاني عشر الهجري، كان حيا في (1195هـ) من بني الحاج اليوبي الفنوري نسبة إلى قصر (أفانور)، شهد على عقد هبة قبائل تودغة لإسماعيل بن عبد الله الناصري، وصاحب المنظومة المشهورة المسماة (التحفة الأمازيغية) المعروفة عند الناس (بالمازغية)، وهي منظومة باللسان الأمازيغي في بعض شرائع الإسلام.

50- محمد أفلي التاريتاني

نسبة إلى قصر (تاريتان)، قيل: هو محمد المسكين الذي ينسب إليه القصر المعروف قدم من قصر تاريتان ومات في ذلك الموضع، وقد بقيت إلى عهد قريب صلات بين قصر تاريتان وقصر آيت المسكين في شكل زيارات لأهل تاريتان إلى

(1) 4/ 94.

(2) الدكتور سيد محمد ولد عبدالله، ص 241.

ضريح المترجم، وهو صاحب النظم المشهور المسمى (التوحيد) نظمه باللسان الأمازيغي في بعض أبواب العقائد، ويحتوي على جملة أبواب هي: باب خروج الروح - باب السعيد - باب طلب الثبات - باب النساء - باب الهداية والإيمان - باب الحشر - باب الحساب - باب الصراط - باب الجنة جعلها الله مثوانا جميعا. والنظم مشهور بحارة المرابطين يحفظه كبارهم إلى اليوم.

51- محمد بن أحمد بن الحاج محمد التدغي

ينسب إلى بني ناصر بن عثمان القاطنين بكدية الحدادين (تاوريرن نمزيلن)، كان حيا عام (1240هـ)، كما وقفت عليه بخطه الذي نسخ به (مختصر شرح ميارة على المرشد المعين) المسمى بـ (مختصر الدر الثمين) في التاريخ المذكور.

52- محمد بن عبد الحفيظ الدرعي

التمنجلي الدار التكثيري النجار، وكلاهما بدرعة، التدغي وفاة، توفي مسموما عام (1302هـ) بزاوية سيدي عبد العالي بتودغة، بهذا أخبر محمد بن الحبيب التمنوكالتي، بعد أن ذكره ضمن من أخذ عن العلامة الدرعي محمد بن علي الناصري.

53- القاضي هاشم بن الحسين المدغري العلوي

من شيوخ العلامة الفقيه المهدي الناصري، انتقل إلى تودغة وتولى بها القضاء فترة من الزمن، توفي عام (1320هـ)[1].

54- أحمد بن المختار الفيلالي

من فقهاء سجلماسة بتودغة، كان حيا في مطلع القرن الرابع عشر الهجري، قرأ

(1) إتحاف ذوي الرسوخ: 166.

عليه العلامة محمد بن هاشم العلوي ابن القاضي هاشم المذكور سابقا، وعلى يديه حفظ القرآن أيام كان أبوه قاضيا في تودغة[1].

55- محمد بن الحاج الشامي

كان حيا في أوائل القرن الرابع عشر، عاض في تودغة برسم التعلم أو المشارطة كما يفيده ما وقفت عليه في تقييد بخطه في آخر كتاب مخطوط، وفيه، كما وجدته في ورقة آخر مخطوط كتبها محمد بن الحاج الفيلالي السابق الذكر، وفيها يذكر واقعة وفاة ودفن أبيه وشيخه أبي عبد الله محمد بن علي ليلة الاثنين من اليوم الحادي عشر رمضان عام (1319هـ)، في مقبرة، ثم نقل بعد خمسة أيام إلى مدفن آخر، بعد أن أفتى بجواز النقل وكان يرى قبل عدم جواز نقل الميت من قبره، وحضر هذا النقل، بعد غيابه في تودغة عن تلك بلده الأصلي مدة عام وستة أشهر.

56- القاضي محمد والأحسن التدغي

هكذا ورد اسمه وكتب في كتاب (كباء العنبر)، عاش في القرن الثالث عشر - وتوفي قبل مطلع القرن التالي -، وأخبر عنه في المصدر المذكور أنه تولى القضاء في الأطلس المتوسط بزيان مدة سبعين عاما، ثم انتقل إلى زاوية تمكروت بدرعة وبقي بها إلى أن أعفي، ثم عاد إلى زاوي الشيخ وبها توفي[2].

57- محمد بن عبد القادر التدغي

من فقهاء القرن الرابع عشر، ذكره محمد بن الحبيب التمنوكالتي في تاريخه ممن أخذ عن الفقيه الدرعي العلامة أبي عبد الله محمد المكي الناصري المتوفى سنة (1356هـ).

---

(1) إتحاف ذوي الرسوخ: 166.

(2) صفحة: 110.

58- محمد أباحسين الأخروفي التجماصتي

أحد أبناء المسمى (أباحسين)، الذي نسل منه عدد من الفقهاء، أخذ هذا الجد عن الفقيه المشهور الحسين التودغي، شارط في قصر (تجماصت) بعد أن أرسله شيخه هذا في حكاية عجيبة، وأما المترجم فقد رأيناه ذكر في المقاومين إبان دخول المحتل الفرنسي في العشرينيات في كتاب (الكفاح المسلح) باسم (محمد أباحسين)، أخذ في تافيلالت عن الفقيه العلامة باسيدي بن المامون. ثم وقفت على وثيقة صلح عقدت بين آيت بوجان وإشمارين وتكنسا بتاريخ (1324هـ)، عقدها محمد بن محمد بن أحمد الأخروفي التجماصتي، فالغالب أن يكون هو الشخص نفسه، وإلا ففي هذه الأسرة فقهاء آخرون باسم (محمد)، والله أعلم.

59- بناصر بن عبد الله المرغادي التنغيري

فقيه من كبار فقهاء تودغة المتأخرين، ولم ندر مشيخته، غير أن مرتبته بين كبار فقهاء تودغة في تلك الفترة أمثال المهدي الناصري والحبيبن العَمرين تجعله حتما ممن تلقى عن شيوخ كبار في المنطقة وخارجها، كانت وفاته حوالي: (1365هـ/ 1946م)، شارط في عدة مساجد، منها مسجد آيت أجانا، ومسجد تماسينت مدة تزيد على العقد، ومسجد توريرت نمزيلن، ثم أخيرا مسجد آيت الحاج علي بقصر تنغير الذي بقي فيه إلى أن وافاه أجله في التاريخ المذكور.

كان المترجم ممن شهد أحداث الصراع بين الكلاويين والتوزونيني والنكادي، بل كان له فيها موقف تمثل في وقوفه ضد حركة الكلاوي وانضمامه إلى الصف الآخر مع جملة من فقهاء المنطقة. ولذلك لم يكن على وفاق مع ابن بلده العلامة المهدي الناصري الذي كان من أشد المناصرين للكلاوي، وفي خضم هذا الصراع أفتى الفقيه بناصر المرغاد فتوى تبيح قطع أشجار قصور أولئك الذين وقفوا ضد المقاومة وناصروا الكلاوي وأخذ أموالهم، فرد عليه المهدي الناصري في أبيات هاجيا:

عــنْ ظُلمِهــم أعــانهم مغتُــوه لُقِــبَ بِالفقيــهِ بَــلْ سَــفِيه

سَــفْكُ الــدِّمَا والنَّهْــبُ بِالإجمــاعِ مُــــحرّمٌ قُلْــــهُ بِــــلا نِـــزاعِ
صـــاحِبُ ذَا يُوصَـــفُ بِاسْـــتِزْدادِ يُقْتَـــلُ زَجْـــرا لِـــذَوِي العِنـــادِ
لِتَبْكِـــهِ الجُهّـــالُ والأَغْمـــارُ لِتَبْكِـــهِ اللّـــصوصُ والفُجّـــارُ
لِتَبْكِـــهِ قَبيلـــةُ عَطّـــاءِ لِيَبْكِـــهِ (المَرْغـــادي) بِالرِّثـــاءِ

وهـذه رسـالة منه إلى مولاي عبد السلام القاضي بزاوية مولاي عبد المالك بدادس، وقد تقاضى إليه بعض الناس في شأن أحباس، فأرسل المتقاضين إلى القاضي لينظر في قضيتهم ويحكم فيها، ويظهر من خلال ما أورده فيها من أقوال أنها ترتبط بمسألة التحبيس على الإناث دون الذكور مما شاع في هذه النواحي وفي غيرها، ومن خلال ما أورده ولو مقتضبا يظهر مدى اطلاع الرجل، إذ مثل هذه المسألة ليست مما ينظر فيه كل فقيه، وهذه هي الرسالة:

(الحمد لله وحده، وصلى الله على محمد وآله وصحبه

سيادة سيدنا الأرضى، الشريف الأجل المرتضى، مولانا وسنادنا وحبنا عبد السلام بن البركة العظمى مولانا عبد المالك، سلام عليكم عام وتام شامل ورحمة الله تعالى، وتحيته ورضوانه وبركاته تتوالى، وعلى من بكم ومنكم وإليكم، أسعد الله الجميع بجاه نبيه الشفيع، وأعاد علينا من بركاتكم بمنه آمين، وبعد:

(؟) حضرتكم السعيدة انظر لهم في نازلتهم وحبسهم، وافصل قضيتهم كما وصلت الأولى قبلُ، أدام الله وجودكم للأنام وأعانكم على ما كلفتموه من الحمل الثقيل، ولا يخفى على سيدنا ما دُون في كتب الفقه من الكلام على الحبس خصوصا على الذكور، وفي أبي المودة خليل: (و اتُّبِع شرطُه.. إلخ)[1]، وفي (العمل): (وحبس على البنين لا البنات.. إلخ)[2]، ومثله في (عمليات

(1) من مختصر خليل الفقهي في باب الوقف، وتتمته (واتُّبع شرطُه إن جاز كتخصيص مذهب أو ناظر...).

(2) البيت بتمامه:

وحـــبسٌ علـــى البنـــين لا البنـــات بـــصحة وعـــدم الـــسبطلان آت

الفيلالي)[1] وفي (العمل) أيضا:

وروعـي المقـصود فـي الأحبـاسِ   لا اللفـظ فـي عمـل أهـل فـاس

... إلخ، وفي (حواشي الرهوني في الذكاة)[2]: أن الأحباس والأيمان يجب اتباع الأعراف فيها. وعلى المحبة والسلام.

محبكم ومقبل ما تحت نعالكم ابن ناصر بن أحمد التنغيري (22 ذي الحجة 1333هـ).

وكتب إليه الفقيه المشهور الحبيب بن أحمد التدغي في جواب استفسار منه عن صاحب رسائل وصلت من قصر حارة المرابطين إلى قصر تنغير، ولا ندري موضوعها قائلا:

(حِبنا الحبر النحرير والعلامة المحرر الفقيه السيد بناصر بن أحمد، السلام عليكم ورحمة الله يتراكم بدوام ملك الله، أما بعد: فلتعلم أن خط الرسائل التي بيد زيد من بني المسعود أعمرو هي خط من نسب إليه وهو سيدي علي من بني مرخي، ولم يتيسر لي التعريف به، وعليه فنحب منك التعريف به بمقتضى الشريعة بعد استفائك الأجرة الكاملة منه، والسلام، الحبيب بن أحمد).

=

و(العمل الفاسي): نظم لأبي زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي توفي في: 1096هـ نظم فيه ما جرى به عمل أهل فاس في بضع وعشرين وأربع مائة بيت، وقد شرحه بنفسه، كما شرحه بعده جماعة من العلماء.

(1) للعلامة محمد بن أبي القاسم السجلماسي توفي عام: 1241هـ، النظم الأول أسماه "معتمد الحكام في مسائل الأحكام" فشرحه وزاد عليه أبياتا، فأسماه "تكميل معتمد الحكام" ثم جمعهما في نظم أكبر أسماه "التكميل والمعتمد" وهو في حوالي: 1506 بيت. واشتهر بالعمل الرباطي، وبالعمل المطلق. ثم شرحه بشرح سماه "فتح الجليل الصمد في شرح التكميل والمعتمد" وقد وقفت على الأخير مخطوطا في خزانتين خاصتين بتنغير.

(2) حاشية للفقيه العلامة أبي عبد الله محمد فتحا بن أحمد الحاج الرهوني توفي في: 1230هـ، على نظم في أحكام الذكاة العروف بـ "الذكاة الفاسية " لمحمد العربي بن يوسف بن محمد، العربي الفاسي توفي عام: 1052هـ.

من تلامذته الفقيه العدل سي محمد بن طالب وسي موح أعزى وغيرهم، ومنهم كذلك الفقيه الأديب رئيس المجلس العلمي الأسبق لإقليم الراشيدية مولاي الزاهيد، كما أخبرني بذلك ولد المترجم القائد السابق ببومالن (السيد بوشتى) حدثه به هذا الأخير، وهو الذي أفادنا بالرسالتين مشكورا.

60- محمد بن الطالب الأعتابي الخوخودني

نسبة إلى (آيت عتاب)، من ذرية الولي الصالح سيدي الهواري الفركلي، درس بسيدي يحيى أيوسف وتودغة، شديد الانتماء إلى الطريقة الدرقاوية، حضر مجالس شيخها في وقته محمد بن الحبيب الدرقاوي المكناسي وأنشأ فيه قصائد عديدة؛ فكانت له عباءة مرقعة مع عدم مفارقته التسابيح على صدره. من تلاميذ العلامة المهدي الناصري والفقيه بناصر المرغادي، شارط في قصر (آيت بوجان) مدة طويلة، وكانت وفاته في: (رجب 1371هـ/ 1954م) ودفن بداره بـ (آيت بوجان).

- من آثاره

أولع المترجم بقول الشعر فنظم فيه منظومات رجزية ما بين قصيرة ومتوسطة وطويلة، يأتي كثير منها على غير وزن صحيح، وأكثرها لا يتجاوز أبواب الوعظ والتصوف، وأبرزها تلك المطولة التي جاءت في قالب قصص تحكي حكاية البازي والبومة، ومن نماذج تلك المقطعات التي أشرنا إليها قوله في إحداها منبها على ترك خلطة العوام وأهل البطالة:

وخلطة العوام سم قاتل واحذرهم وخالط الأفاضل

إياك ما اعتنت به الأسافل أهل البطالة وقلب غافل

وقال محذرا من شرب الذي أخذ في الانتشار في جميع الديار:

لا تشربن عشبة الدخان كذا وشبهها بلاء ثاني

سبب ذاك خلطة الفساق أهل الرزايا ذوو النفاق

تــــراه أنـــــتن عبــــــاد الله قلبـــا يـــدا ثوبـــا بـــلا تنـــاهي
عــــشبة تـــــضر بالأمعــــــاء والفـــم والجـــسم بـــلا امتـــراء
صـــاحبه يبلـــى بفقـــد العقـــل وهتـــك صـــحة وقـــبح الفعـــل

وقال أيضا يحث على الاجتهاد في طلب الآخرة وضرورة الامتثال للشرع مع ولزوم ما ينفع وترك ما لا خير فيه:

يـا صـاح فاسـلك مـسلك الافاضـل واجتهـــدن فـــي أرفـــع المنـــازل
قـــم واجتهـــد فيمـــا لـــه خلقتـــا وحاســـب الـــنفس بمـــا حفظتـــا
تعـــس عبـــد ملكتـــه شـــهوته بـــذاك صـــاح خبثـــث ظويتـــه
ومـــا أتـــى بـــه الرســـول فخـــذ ومـــا نهـــى عنـــه فدعـــه وانبـــذ
عليـــك بالـــصدق والاجتهـــاد ومـــسلك النجـــاح والرشـــاد
والتـــزم الـــصدق بكـــل حـــال وحـــسن الظـــن بـــذي الجـــلال
لا فـــوز للحـــسود لا كرامـــه لكـــاذب حـــسبك ذي العلامـــه
صـلاح جـسم العبـد فـي الـسكوت وصـــمته صـــاح مـــن القنـــوت
أخـــي ولا نـــدم كـــل مـــن ســـكت كفـاه فـي الـصمت عواقـب الممـات
فـــالزم ذوي العلـــم وأهـــل النـــسب وخـــذ مـــن الكـــل وجـــوه الأدب
مـــن خـــالط الأعيـــان أدبـــوه مـــن جـــالس الفـــساق خربـــوه
لا تكـــشف الأســـرار للأشـــرار فـــذاك صـــاح مـــن عمـــى الأبـــصار
داء النفـــوس كـــامن فـــي الحـــرص بدايـــة المـــوت وجـــود الـــشخص
ولا تبـــع دينـــك بالـــدنار مـــا قـــدر يأتيـــك كمـــا قـــد قـــسما
مـــن بـــاع عـــاجلا بآجـــل ربـــح والعكـــس بـــالعكس فدعـــه تـــسترح
حـــسبك مـــن عيـــب الـــدنا الفنـــاء يكفيـــك فـــي ضـــرتك البقـــاء
فعـــش عـــديت قانعـــا لا طامعـــا تـــصر بـــذاك صـــاح بـــدرا ســـاطعا

وذر الإثـــم ظـــاهرا وباطنـــا ممتـــثلا بــــذاك أمـــر ربنـــا

أخـــي وذنـــب واحـــد كثيـــر وألـــف طاعـــة لـــه يـــسير

يـــا حـــسرتي علـــى فـــوات أمـــس يـــا أســـفي علـــى ظـــلام الـــرمس

واعلـــم بـــأن الكـــرم وصـــف بـــاذخ والـــشح أحـــزان وفقـــر شـــامخ

وقال أيضا في مثل ما تقدم:

مـــن قـــرأ القـــرآن فهـــو أغنـــى عـــن الـــورى يـــا فـــوزه وأقنـــى

وبـــــشروا بــــذاك للولـــــدان فـــضلا عـــن الرحـــال والنـــسوان

عليـــك بالـــصبر ومـــا حـــواه والحلـــم والعلـــم فـــلا لا تنـــساه

واكتـــسب الـــدرهم ثـــم الـــدينارا ولا تكـــــن إمعـــــة للأمـــــرا

أرجوزة البازي والبومة

هي أرجوزة عبارة عن حكاية رمزية من وحي واقعه في بعض ما جرى فيه ولم يرقه ذلك، فاختار طريقة الشعر الحكائي الرمزي وسيلة للانتقاد، وبطلا الحكاية طائران كلاهما من الجوارح، طائر البازي مع ما يحمله الاسم من الصفات الذكورية والقوة، والثاني طائر البومة مع ما يحمله هو الآخر من الصفات الأنثوية، وملخص ما بينها هو صراع على النفوذ والسيادة، انتهى بهما إلى المواجهة والاقتتال، انتصر فيه أخيرا طائر البازي، وقبض على البومة وسجنها، ثم بعد مفاوضات أطلقها وشرط عليها شروطا لا تعود بعدها إلى سلطة ولا مكانة، ولست أدري من يقصد بالبومة ومن يقصد بالباز في زمانه، إلا أن القصة تقصد إلى تعرية واقع التقاضي والتحاكم، وما صار إليه من عدم توليه أهليه الأكفاء، والتلاعب فيه توصلا للأغراض الدنيئة، فبعد أن قص ما جرى بين البازي وجيشه والبومة وجيشها، حكى حكاية المرأة التي جاءت تشتكي إلى القضاء، فاستغل هذا الطرف سلطته وحاجة المرأة وضعفها فانتهك عرضها بعد أن سقاها خمرا وغاب وعيها، فلما استفاقت

وعرفت ما فعل بها، لم تجد ما تثأر به لعرضها سوى أن رضخت رأس القاضي بحجر أردته على إثره قتيلا، وبقيت حاملا حتى ولدت مولودها الذي صار يعرف بين الناس بابن القاضي وغيرها من الألقاب.

والأرجوزة في أصلها من 528 بيت مختلة الوزن في أكثر أبياتها. ولما نظرنا إلى قيمة مضمونها وحسن سبك أحداثها وكونها من نمط الشعر الحكائي المتميز أثبتنا أكثر أبياتها ها هنا، بعد أن حاولنا إصلاح وزن غالب أبياتها بما لا يخل بمقصود الناظم، رغبة في ألا يفوت على القارئ نموذجُ شعر يذكرنا في الشعر العربي بشعر أمثال ابن الهتابية وابن الشهاب العلوي من القدماء وبأحمد شوقي من المتأخرين، مع ما يحمله من قيمة أخلاقية واجتماعية تتجليان في وصف بعض المظاهر الاجتماعية السلبية، ثم إن هذا النوع من الشعر يكاد يكون منعدما في ما جرى عليه شعر فقهاء البوادي، الذين انحصرت أنظامهم في موضاعات بعينها وبأشكال معروفة، فكانت قصيدة فريدة في موضوعها وحجمها ومكان مولدها، ولو أنها استقامت في الوزن لكان لها وزن تستحق به دراسة أدبية مستقلة، ثم لا ينسى القارئ الفاضل أننا لسنا بإزاء كتاب في الأدب، ولكنه كتاب يحاول أن يستجمع بعض جوانب الذاكرة، وحينئذ فنحن ننظر إلى مثل هذه النصوص من هذه الزاوية:

دعوة إلى الطاعة والدخول في الجماعة[1]

يا عجبا لبومة إذ تطلب ... بازا بوكره وهي ترغب

قالت ألا والله يا ذا الطير ... لن تدخلن تحت لواء الغير

إن كنت قائما فعجل بالقدوم ... إن كنت جالسا فلا بد تقوم

ثم ائتنا بما لديك من متاع ... ولا تكن مؤخرا في الاتباع

وقدمن هدية سنيه ... بين يديك تنج من مصيبه

(1) اقترحنا لكل فصل من فصول الأرجوزة عنوانا خاصا.

ويكفنا فيك حديث المصطفى صلى عليه ربنا وشرفا
لن يفلحن قوم ولوا أمورهم لامرأة لأبد، يا ويلهم
ومن جيوشك من الطيور كل غبي الرأي في الأمور
يا من تخاف في ضحى نهار دائمة في السجن والأغيار
حليفة الليل مع الغياهب ضعيفة القلب مع الكواسب
ومن جيوشنا ملوك الطير وكل من له بطش في الغير
كالصرد والعقاب والبواشق كذاك عنقاء لها صواعق
سلي عنا ملوك أهل السند وتبع والأمرا من هند
وأمرا عمان والكنعان وخلفا مصر بلا ثوان
كذا ملوك القبط والعمالقه وأندلوس زد كذا الأفارقه
وكل جيش ظاهر من الأمم مثل فرنسيس وطليان العجم
نحن البزاة صيدنا الطيور ولا نخاف في المعارك الصخور
فإنني عذت برب الناس يحفظ أمري من كل باس
هذا فراق بيننا وبينك لا ترجعي إلينا بقول فيه إفك
ثم سلامنا على الرجال أهل التقى والدين والإفضال
وسمعت بومتنا المقاله فضاق ذرعها ولا ملامه
نذّت وفرت في ذرة القفار طارت وهمهمت مع البراري
نادت أيا طيورنا الوحشيه تجمعي لكي نرى القضيه
فأقرأ عليكم الذي جرى بيني وبين معتد وصارا
فاجتمع الطير عليها أجمع منها خفافيش كذاك قبع
لما تكاملت جنود الجيش قامت تخبرهم بدمع الطيش
ما صار بينها وبين البازي ثم بكت حالة الإعواز
وقادة العسكر يضحكونا من قولها ويتغامزونا

قـــالوا لهـــا: أيـــا ســـليلة الملـــوك جـــودي بمـــال للغنـــي والـــصعلوك
واســتخرجي مــا حزتــه مــن أمــوال وفرقـــي علـــى عبيـــد أو عيـــال
فـــلا تخـــافي بعـــدها مـــن الزمـــان وســـطوة الرجـــال فـــي كـــل مكـــان
وامتثلـــت وأخرجـــت كنوزهـــا وعرســـت وأطعمـــت جنودهـــا
ودفعـــــت للأمـــــراء ذهبـــــا وفـــــضة للجـــــيش والحبوبـــــا
وللقـــــضاة الكتـــــب والثيابـــــا ثـــم الطعـــام يـــا أخـــي للغربـــا
والأبّ والـــــــشعير للـــــــدواب نخالــــة الــــدقيق للكــــلاب
وجعلـــوا الموعـــد يـــوم الزينـــه وودعـــوا الأهـــل والمدينـــه
لمـــا اجتمعـــت جيـــوش للقتـــال نـــادى المنـــادي فـــيهم باللرجـــال
فيومنـــا يـــوم الـــوغى والبـــأس فـــشددوا الحـــزم للأفـــراس
وقومـــوا القنـــاة والـــسيوفا وجـــدعوا للمعتـــدي الأنوفـــا
لا تخـــشوا المعـــرة إن صـــدقتم فيمـــا يـــسوء دمـــتم إن خنـــتم

وقوع المنافرة بعد جدال والإعداد ليوم النزال

لمـــا رأى البـــازي جمـــع الجـــيش قعـــد ثـــم قـــام مـــن ذا الطـــيش
تـــصاغرا كلقمـــة ثـــم انـــتفخ مثـــل هـــلال ومـــن الحـــال انتـــسخ
فـــصار يمـــشي فـــي الفيـــافي والقفـــار حتـــى أتـــى بجمـــع جنـــد جـــرار
منهـــا عقـــاب ثـــم عنقـــاء ونـــسور وكـــل جـــنس المـــسمى بالـــصقور
واجتمعـــت الجيـــوش فـــي الميـــدان واخـــتلط فرســـان بالـــشجعان
ونـــادى منـــاد مـــن صـــفوف الجـــيش ألا اضـــربوا جيـــشا بهـــذا الجـــيش
لمـــا تكاملـــت صـــفوف الجنـــد وفـــي يـــد الكـــل ســـيوف الهنـــد
وقامـــت البـــوم بتـــلّ دانيـــه تنـــادي بـــازا بأصـــوات عاليـــه

يســمعها القريـب والبعيـد والحـر والنـساء والعبيـد
قالـت لـه: يـا طيـر يـا غـدار يـا قاتـل الأرواح لا أعـذار
يـا سـاكن الجبـال والقـصور انـزل إلـى مائـدة الطيـور
يـا مـن بـه البـرص والجـذام والـداء والجـذام والاصـمام
يـا جـائع الـبطن علـى الـدوام أيـا عظـيم الـبطن الـذنب والاجـرام
يـا أفلـج الـرجلين واليـدين يـا صـاغر التـاج ومنكبـين
يـا آكـل الـسحت والحـرام ويـا عـدو الله والأنـام
يكفينـا الـذي قـد جاءنـا فـي الآيـة والـرغم علـى وجهـك يـا ابـن الأمـة
لا تركنـوا إلـى الـذين ظلمـوا تمـسكم النـار والحمـم
قـد خـاب جبـار كـذا كـل عنيـد يـا ويـل سـلطان وحـاكم عنيـد
سـيعلم الظـالم أي منقلـب يـا ويلـه مـن محنـة ومـن عطـب
فـإنني مليكـة هـذا الـزمن كمثـل بلقـيس مليكـة الـيمن
وبلـدتي فيهـا الأمـان والهنـا يـسير فيـه الركـب لا يخـشى العنـا
مـا مثـل عرشـي بـين سـائر الـورى وسـلْ بـذاك الـوزرا والأمـرا
فـلا زكـى المـولى لـك الـصياما ولا صـلاتك ولا القيامـا
لا بـارك الإلـه فـي ذا الـرزق ولا أمنـت لـدى يـزم الحنـق
والحمـد لله علـى الإيمـان والـشكر لله علـى الإحـسان
ولّـتْ وقامـت إلـى ذويهـا وأذنـت بجمـع قائـديها
وكـل مـن فيـه كفايـه حـضر بمجلـس مـن نـسوة ومـن ذكـر
وقالـت: ابعثـوا بجاسـوس لكـم يكـون ذا مكـر ذكيـا يـاتكم
بخبـر القـوم وأيـن جمعهـم ومـا يكـون قـولهم وفعلهـم
ثـم يعـود سـالما وغانمـا وبالأعـادي شـامتا وعالمـا

وأرسلوا في الحين ذا التجريب يدعى هناك بالفتى اللبيب
وبعد حين عاد مثل البرق بالخبر الصحيح دون فرق
وقال يا قوم اسمعوا بلا جدال مني كلاما واقعا بلا محال
وجدتهم قد استعدوا للقتال وأشركوا فيه النساء والرجال
ويتناجون بإثمهم والعدوان لخبثهم وظلهم للإخوان
فسمع البازي مقال البومة فارتعدت أحشاوه من خيفة
ثم رمى إكليله ومزقا ثيابه، شخر ثم حنقا
والوجه قد عفره بالغبار وأمسك سيفا سيف ذي الفقار
فقال والله الذي برا العباد لن نبرح اليوم سوى بذا الجهاد
فالله لا يرضى بهذا المنكر سلو ا بهذا الأمر أهل الذكر
سبحانه سبحانه لا يسأل وغيره يسأل عما يفعل
فلا يشاور ولا ينام ولا يداهن ولا يلام
في ملكه يفعل ما يشاء له الدوام كذا البقاء

التقاء الجيشين والتحام الفريقين

وبعد أن عاد لقومه قال دونكم القتال حقا والنزال
العز كله بهز السيف والكر والفر بدون حيف
والضرب بالقناة والمدافع فربنا عن مومن يدافع
الخير لا يرجى من النساء والعلم والعز بلا امتراء
يكفي لنا فيهن نصف السهم في إرثها ويله مِن هَم
ونصف دينها لدى نفاسها كذاك إن التبست بحيضها
فلا إمامة ولا شهاده بين الورى لها ولو من ساده

حتى ولو تلت وصلت وصامت … أو حجت البيت ولبت وسعت

في محكم التنزيل والقران … رجالنا خير من النسوان

العلم دامغ لكل جهل … والسيف يأتينا بكل فضل

مثاله كالفقه والإعراب … قول نبينا كذا الأصحاب

مع الأصول أو عروض قافيه … والشعر ميزان بخزرجيه

ثم البيان علم تاريخ نسب … عقائد التوحيد تفسير نسب

وكتب السيرة والروايه … خذ يا أخي مني فذي وصيتي

كقنبل ذكوان ثم حمزه … قالون مكي كذاك شعبه

تبا لنائم عن الغنائم … سحقا لكل معتد وظالم

ورتّبَ الجنود والعساكر … أمامه وامتثلوا الأوامر

خلف ذريته وراءه … خوفا من الكرة والمعره

وجعل الشياه ثم البقره … تأسيا بغيره في الميمنه

والزرع والحبوب عند الميسره … أيرهم في القلب يجري أمره

وفي الجناحين قضاة قُرا … وفي الخيام الضعفا والفقرا

نسجت البومة مثل ذلك … النعل بالنعل بما هنالك

نادى المنادي من كلا الفريقين … هيا بنا نصلح بين الملتين

هيا بنا معا إلى الفلاح … والعفو والهناء والصلاح

يقول مولانا الكريم الأكرم … فأصلحوا بينكم فترحموا

فمن عفا مصالحا فأجره … على الإله ربنا فانتبهوا

ووقتوا لهم ثلاثا من ليال … وبعدا يكون صلح أو نزال

لما انتهى ذاك المدى المذكور … لم يتأت لهم السرور

لم يفرحوا ولا لهم هناء … بل لهم العناء والبلاء

وأعلمـــوا وصـــرحوا للقـــوم بالـــضرب والطعـــن بغيـــر لـــوم
واشـــتبك الرجـــال بالرجـــال واختلطـــت فرســـان فـــي الميـــدان
وطـــارت الـــرؤوس فـــي الهـــواء ومـــزق اللحـــم عـــن الأعـــضاء
كـــم رجـــل ينـــادي بالمبـــارزه وآخـــر ينـــادي بالمنـــاجزه
كـــم رجـــل قـــد قطعـــت أوصـــاله وانفـــصل الظهـــر كـــذا نخاعـــه
كـــم معـــصم طـــار مـــن الرجـــال كـــم كبـــد مـــزق بالنبـــال
وعـــلا غبـــار فـــي الهـــواء والقتـــام وهـــرج ورهـــج بـــلا تمـــام
ودام هـــذا القتـــل نحـــو الـــشهر وســـبعة فـــذاك حـــد الـــصبر
وقـــد اكفهـــرت الوجـــوه بالغبـــار وقـــال الجميـــع إنـــه يـــوم النـــار
وطمـــع الكـــل لجمـــع العـــسكرين وقـــصد الجميـــع جمـــع الملتـــين
فقـــام أهـــل الحـــل ثـــم الـــربط قـــالوا بنـــا نقـــضي بحكـــم قـــسط
والحـــرب قـــائم علـــى الإنجـــاز بقعقـــاع اللحـــام والمهمـــاز
فكـــل يـــوم تنـــزل الـــدواهي مـــن ربنـــا المهـــيمن الإلـــه

غلبة جيش البازي وإذعان البومة بلا تعازي

وســـمع البـــازي ذي المقالـــه فخلـــع الـــنفس مـــن الرياســـه
وقـــال هـــذا آخـــر العهـــود بينـــي وبـــين الجـــنس مـــن جنـــود
فبـــادر الكنـــوز واســـتخرجها والحلـــي والجـــوهر واســـتجمعها
ففـــرق الكـــل علـــى العبـــاد مـــسكينهم وظـــالم وعـــاد
ولـــبس الحلـــل مـــن يمانيـــه وتحتهـــا جبتـــه العراقيـــه
وأســـبغ الوضـــوء مـــع صـــلاته وقـــصد الـــرب فـــي عبادتـــه
نـــادى الأهـــالي يـــا ذوي الخنـــاجر فـــإنني علـــى جنـــاح الـــسفر

فـــــلا تنــــازعوا ولا تقــــاتلوا	فتفـــــشلوا ويــــأتي الوبــــال
بالـــصبر والـــصلاة فاســـتعينوا	أدوا الزكـــاة للـــورى ولينـــوا
واجتنبــوا الــرجس مــن الأوثــان	وعظمـــوا لحرمـــة الإيمـــان
ألا فقولـــوا حـــسبنا الله الوكيـــل	هــذي وصــيتي خــذوها بالــدليل
وطـار فـي الـسماء نحـو الفرسـخين	وقـد رآه كـل مـن فـي الملتـين
فغــاب حتــى زج فــي الغمــامتين	هنــاك قــام ثــم صــلى ركعتــين
وقـــال يـــا حـــي يـــا قيـــوم	يـا مـن دحـا الأرض وملكـه يـدوم
أيـا كـريم الـصنع يـا جميـل الفعـال	ادفـع وبَـا ونجنـا مـن الوبـال
يــا رب فانــصرني وقــو جنــدي	ولا تنكـــسني بعبـــد الهنـــد
وانـــصر أئمـــة الهـــدى والـــدين	وفـــرقن كـــل عـــدو ضـــنين
واجعلهـم فـي حـيص بـيص والقـرا	تحــت يــداي شــدرا ومــدرا
آليـت لا أبـرح مـن هـذا المكـان	حتـى أكـون فـي الطيـور سـلطان
آكـــل أفئـــدتها مـــا شـــئت	ممزقـــا لحمـــا متـــى أردت
فهـــي لـــي طعـــم علـــى الـــدوام	ولا أخـــاف مـــن مـــلام للئـــام
إنـــي لـــذو علـــم وإنـــي لأمـــين	لـــم أرهقـــن بـــأي ســوء أو أنـــين
ولـم أخـف زيـدا ولا مـن عمـرو	ولا ذوي مخالـــــب أو ظفـــــر
وأعلـــم بـــأني ضـــيغم الفتـــاوي	أو مثـــل جلمـــود فـــي الـــدعاوى
لـــم ألتفـــت إلـــى مقالـــة الطغـــام	ولا إلـــى كمـــأة ولا قطـــام
ثـــم بكـــى منكـــسا محيـــاه	مـــن خجـــل ومـــن حيـــا لمـــولاه
أزال جلبابـــا مـــن الريـــاء	وحـــسد عجـــب وكـــل داء
وقـــال يـــا فتـــاح يـــا رزاق	ويـــا مبيـــد الظلـــم يـــا خـــلاق
يـــا مـــن إليـــه يلجـــأ المـــضطر	يـــا مـــن لـــه القهـــر كـــذاك الأمـــر

جـد وافـتحن بينـي وبـين الجـيش وانـصر جيوشـي رب يـاذا العـرش
تبـرأت مـن حـولي كـذا مـن قـوتي طمعـت فـي اسـتجابة لـدعوة
فجـاءني الـوارد فـي المنـام فقـال قـم لهـا بـلا خـصام
كـن مطمـئن البـال ثـم لا تخـف فاخبب أو ارمل وامش من غير ما تلف
فإنهـا هديـة بـلا تعـب خـذها بغيـر ضـرر ولا نـصب
وبعـدها قـد نـشطت أعـضاؤه ولـبس الـدرع كـذا إكليلـه
وحـرك الـذنب والـرجلين وصـدق الأطمـار باليـدين
طـار مـسافة البريـد فـي الهـوا حتـى تمكـن الـسماء واسـتوى
فـانقض مـسرعا كبـرق خـاطف أتـى علـى البـوم كـريح عاصـف
أخـذها أسـيرة مـسجونه بـين المخالـب غـدت أسـيره
وقـال يـا قـوم فـذا عـدونا بـين يـدي لا غـرو فـي أمثالنـا
وأذنـوا فـي القـوم حتـى يجتمعـوا لكـي يـروا عـدونا ويـسمعوا
العـز للرجـال لا النـساء والعلـم للفحـل والأذكيـاء
والـذل فـي أفخاذهـا الإنـاث حـيض نفـاس كـذا الأطمـاث
ثـم اسـتوى ببطنهـا وصـدرها وقـصد الفتـك والإتـلاف لهـا
أخـذ المديـة لأجـل ذبحهـا وحـائزا جوزتهـا إلـى رأسـها
وقـال بـسم الله ربـي الأكبـر سـنة كـل ذابـح ومـن نحـر

ذل البومة واستعطافها بما كسبت يداها

وحـين عاينـت أسـهم المنيـه ونظـرت لأسـباب الدنيـه
قالـت لـه يـا مالـك الطيـور مهنـدس الأمـر مـع الأمـور
ناشـدتك الله مـع القـران والعلـم والكتـب مـع العرفـان

والأب والأم وبالنبي ... والدم والصلة والكرسي
ومالك والشافعي وأحمدا ... بن حنبل وحنفي ذوي الهدى
وملك وكل شيخ زاهد ... وكل ذي ولاية وشيخ زاهد
وجاه لا إله إلا الله ... محمد أرسله الإله
إلا لأن تعتقني بشيبتي ... وانظر لضعفي وارحمن مهجتي
واعف فإن العفو للرجال ... سامح وجاوز تحظ بالإجلال
فإنني أسيرة لديكا ... ومائدة قد أهديت إليكا
عليك بالرفق بما ملكت ... وما اكتسبته وما رعيت
واشرط علي كل ما أردت ... من الشروط بالنعيم فزت
سوى الزنى فإنني عاهدت ... الله والرسول لا فعلت
والشرب للكرو وشرب الخمر ... والقتل والربى وكل ضير
وأنت تدري في دواوين الملوك ... المن والفدا لكل صعلوك
والمن أولى عند كل عاقل ... والفدا أفضل لكل خامل
فسنة النبي بذين قد خيرت ... إمامنا فيما يشا وأذنت
فإنني مالكة الزمان ... لم يرهقني سوء في بلدان
وفي حديث للنبي المصطفى ... اعف عن الذي ظلم بلا جفا
فمن عفا عن قدرة قد وجبت ... له الجنان ثم نار غلقت

عفو البازي وأخذه العهود من البومة ألا تعود

فسمع البازي هذي البومة ... نشدانها وأحضر الجماعة
قال بنا أيا ذوي الكرسي ... والموبذان ياتني ذي الطلس
وكل دهقان وكل حبر ... لكي نشاورهم في الأمر

فـي الحـين قـد جـاءت لـه الوفـود   مـن كـل جـنس وبمـا يريـد
فـصعد منبـره ثـم خطـب   بقـول هـذه البومـة مـن غيـر كـذب
مـن يهـده الله فـلا مـضل لـه   ومـن يـضله فـلا هـادي لـه
فقـال أيهـا الـورى اسـمعوا وعـوا   منـي كلامـا صـادقا لا يخـدع
إن مليكـة الـيمن تحـت يـدي   وإنهـا معقولـه بقيـدي
فواجـب علـيكم رؤيتهـا   لتطمـئن قلـوبكم حقـا بهـا
ورضـي الله عـن الخلائـف   وبعـدهم أمامنـا المناصـف
ويغفـر المـولى لنـا والمـومنين   ويـرحم الجميـع وآمـين
فبـادر الكـل إلـى رؤيتهـا   حتـى رأواهـا قـد بـدت فـي قفْصها
قـالوا فـنعم مـا فعـل هـذا الأميـر   بـورك فيـه فـي الـدجا وفـي الظهيـر
يـا حبـذا لـسيفنا وجيـشنا   يـا سـعدنا لوقتنـا وحزبنـا
وشـرطوا لهـا مـن الـشروط   ألفـا ودانـت دونمـا تفـريط
منهـا ذهـاب الكرسـي علـى الـدوام   ولا رياسـة لهـا بين الأنـام
وعـدم الخـروج فـي النهـار   بعيـد الإسـفار للإصـفرار
وعـدم الريـاض والنغامـات   وعـدم العـسكر ثـم الرايـات
وعـدم النطـق فـي أوج الغابـه   لا ترفـع الـراس ونكـس الرقبـه
كـذاك تـصفير بوقـت الفجـر   لا تأكـل اللحـم لكـل الطيـر
وأخـذ العهـد إذا مـا خانـت   يلحقهـا الوعيـد إن تعـدت
وسـردوا مـا سـجلوا فـي دفتـر   حرفـا بحـرف بـارز معتبـر
فطبـع العهـد مـن الـوالي   بطـابع الكبيـر ذي المعـالي
والطيـر لـم تـشعر بقـبض البومـه   بـل هـي فـي قفـص العـدا معقولـه
وبعـدما صـلوا فرضـهم صـب المطـر   وجـاءت الـريح العقـيم للبـشر

والرعد لم يهدأ من الكلام ولوامع البروق في الآكام
وعند الاصفرار ضاق الحال نادى المنادي أيها الرجال
صوموا وقوموا للإله طائعين ببيته كونوا من الطوافين
وقال من بجيش البومه فإنها في هودج مسلسله
تحت أميرنا له قد خضعت ورضيت بسيفنا وفرحت

غدر البومة وجيوشها واستئصال البازي لشافتها

وبعد أن سمع جيشها الخطاب واقتحموا الخيمة دون آداب
لم يجدوا أثرها ولا خبر وخرجوا بسرعة للعسكر
قالت ألا يا جند أهل الباس اقتتلوا إلى غروب الشمس
وقامت غوغاة من الجوانب واصطفت السيوف والقراضب
عند غروب الشمس جاءت كسره من جهة البوم وأي كسره
قد استمر القتل في سوادها وهربت وشردت في ليلها
والباز تابع لها بالقتل والأسر والضرب بما كالنبل
خلى جموعهم شذرا ومذرا وعبرة لمن أتى أو غبرا
واستأصل الكبير والصغيرا وقصم الجاهل والنحريرا
وفرت الأم عن الولدان والأب قد أيقن بالخسران
قد ذهلوا بالنفس لا الولدان هذا زمان الغرق والطوفان
هيهات هيهات فيما رجونا قد خسر وخاب ما قصدنا
فذي سفينة نوح وقتنا من حاد عنها غارق بذنبنا
وشردت تهيم في القفار قصدت التلال في البراري
ثم استولى على جميع ذا الكرسي وما به قبل طلوع الشمس

وفيــــه أنـــــواع مـــــن اللبـــــاس كـــالملف والـــسندس والأتـــراس
واســـتبرق وعبقـــري أخـــضر زمـــرد وذهـــب مـــن أحمـــر
وحـــاز خمـــسه لبيـــت المـــال وفـــرق البـــاقي علـــى الرجـــال
وهـــي ســـنة النبـــي المـــصطفى صـــلى عليـــه ربنـــا وشـــرفا
وســـنة الخلفـــاء مـــن بعـــده وكـــل إمـــام هـــدى بهديـــه

خضوع البومة للبازي الكاسر وتفرده بالملك بين الأكابر

لمـــا صـــفا لـــه جميـــع الأمـــر وحـــوزه الجنـــسين دون فخـــر
قعـد فـوق العـرش عـرش المملكـه وجـاءه القـوم بقـصد التهنئـه
وأطلـق الحـراس مـن أبوابـه وسـرح الأسـرى مـن اعتقالـه
والله يعـصمك مـن أنـاس والجـن والوسـواس والخنـاس
أهـدى لكـل هديـة الـسرور كـل دعـا لـه بعـز وحبـور
جمـع كـل عـالم ورهبـان مـع ولـي وبـشا ودهقـان
وشـاور الكـل بتـسريح البـوم مـن قيـدها وسـجنها ولا يـدوم
نـادوا فـسرحها أيـا أميـر بِالـمَن دونمـا الفـدا أنـت خبيـر
فـي الحـال قـد سـرحها ووقفـت بـين يديـه وانحنـت وسـلمت
وحيـت البـاز كفعـل الكرمـا رد عليهـا بتحيـة العلمـا
وجلـست إليـه للمحـاورة نحـو ثـلاث مـن ليـال عـابره
وبعـدها جهزهـا بالمـسك والنـد والطيـب الـذي مـن تـرك
وحلـل والحلـي والقلائـد والفـرش والغطـاء والمـساند
صـف لهـا الملـوكُ والأمـرا قـراؤهم قـضاتهم والـوزرا
حتـى سـرت بـين صـفوف القـوم وانحنـت الـرؤوس دون نـوم

والبـــاز قـــائم كمثـــل الثعبـــان ينظـــر بالـــشزر كـــل الفرســـان
قـــال أيـــا بـــوم لتـــسمع منـــي مـــا لـــم يـــرد عـــن بـــشر أو جنـــي
فالملـــك نحـــن أهلـــه لا غيرنـــا وغيرنـــــا فـــــشأنه خـــــدمتنا
ومـــن عـــصى مـــولاه والرســـولا فـــسيرى الأهـــوال والمهـــولا

فساد القضاء بالجور والاعتداء، ومثاله في حكاية زُهرة الزهراء

ولنرجـــع القـــول لمـــا قـــصدنا مـــن الكنايـــة ومـــا قـــد رمنـــا
والله أعلـــم بـــذات الـــصدر وعـــالم مـــا فـــي بطـــون الـــصخر
انظـــر يـــا أخـــي لهـــذي القـــضيه لتعلمـــوا مـــن كـــان فـــي الـــسويه
مـــن كـــان أهـــلا للحكـــام يتبـــع والعكـــس بـــالعكس هـــو المـــضيع
العلـــم لا يـــصير (بالأجمـــافو) والحـــق لا يعـــدم بيـــا (متلـــوف)
أو احبـــسوه لتمـــام الـــشهر أو اضـــربو عـــشرين ثـــم العـــشر
قـــد قـــال لـــي الـــشاويش هـــذا آنفـــا قلـــه ولا تخـــف وإن ضـــعيفا
إنـــي علـــى ديـــوان هـــذا الـــسلطان لبـــين نـــاه آمـــر وقبطـــان
وشـــوكتي محيطـــة بالعلمـــا فـــضلا عـــن الـــشيوخ يـــا مـــن فهمـــا
يحـــسب نفـــسه كمثـــل القاضـــي ومـــا درى مـــضارعا مـــن مـــاض
وزيـــه كـــزي جاهليـــه ورفعـــه اليـــدين فـــي التحيـــه
ووضـــعها علـــى متـــون الظهـــر مـــع حـــضور الفـــشطاة يـــوم النحـــر
والبـــول قائمـــا كمثـــل الكلـــب فـــانظر إليـــه يبـــد كـــل عيـــب
ولـــبس خفـــين وقفـــازين مـــع القميـــصين وجلبـــابين
وكـــل حائـــك وســـلهمين وعظـــم التـــاج والكبـــوطين
أن طلـــب الخـــيط أو الخيطـــين يمنعـــه باليـــد والـــرجلين

إن سئل الدعوى فإنه يجيب ... هات من الفرنك ألفا يا حبيب

إن حرمت أردها حلالا ... وإن حلت جعلتها وبالا

وجعل الحبة مثل الحيه ... والنور مثل النور في البهيه

هذا إن يكن من الذكور خالصا ... ولحيته أطول فيه من عصا

والمدعي عن كان من ذات الحجال ... وحلل والحلي أيضا والجمال

خاصم عنها نافحا بالإفك ... وهي تقول ويلتاه تبكي

يقول هلا جئتنا قبل الغروب ... للبيت لا تخافي الكروب

ثم اصحبي ما كان من زمامات ... لكي نرى إن كان فيها هفوات

وفي يديها قالب من سكر ... مع يد الشمع وخبز البر

لما تمكنت من الدخول ... أقبل يضحك لدى النزول

وقال أنت في حمى الرسول ... وفي حمى مولانا الرسول

فأنت ضيفنا لهذا الليل ... لا ترجعي حتى وإن بالقتل

أمرها أن تخرج الزمامات ... وامتثلت ودفعت جعابات

نظر فيها نظرا يسيرا ... قال أرى شرا ومستطيرا

ونظر الزهرة في السماء ... وقال ما اسمك لدى الإماء

قالت فإسمي زهرة بالتحقيق ... ابنة حواء وزيد زنديق

فقال هذا غاية المرغوب ... فأبشري زهرة بالمطلوب

إني رأيت ما يراه النائم ... في عالم الأرواح أني قائم

حتى نكحت زهرة السماء ... فلم أبح بذاك للأعداء

وانعكس الأمر عليك زهرا ... يا حبذاه لك ثك بشرى

فنريد منك واحد الثلاث ... مضجعة أو قبلة أو الرفث

لأنني قاض له اتباع ... شفاء غلتي هو الجماع

وكل رسم عندك اليوم صحيح	(عياض) لا ينفيه ولا (التوضيح)
ولا بشر أو قطعه بتمزيق	أو عدم التاريخ بالتحقيق
عادة (فسيان) ودأب القبطان	(كمندر) و(كونل) و(موبذان)
سمعت الأقوال من خرافات	وكثرة الهذيان والكنايات
ثم تأوهت تاوه البعير	قالت فهيهات فذا طمس كبير
يا أيها القاضي فأين أنت	وأين علمك وما رويت
وأين وجهك وما جمعت	وأين ملكك وما اقتنيت
غفلت ثم خاب منك السعد	ذهب منك النور ثم المجد
في آية يا قوم هؤلاء	البنات أطهر لكم من سوء
تبا ألا يا زاني الأضياف	يجب قتلك وبالأسياف
يا من جاء يقصد الزنا بزهره	علك قد رمت الزنا باللبوه
فإن هذا لم يكن من زهره	وأنت قاض فاسق بالمره
يا قوم عند ربكم تختصمون	ساعة لا ينفع مال أو بنون
تفرس القاضي بها الإبايه	فأرجع الأمور إلى النكايه
قال خذوها حيلة فأولى	وليس للزهرة بعل أصلا
وسقيت بخمر في الحين	وغشيت سبعا بلا أنين
وبعد هذا نعس القاضي على	كرسيه معمما مكللا
لما أفاقت وأحست بطنها	ثقل من ماء أتى من غيرها
فعمدت عند صلاة الفجر	لحجر في حجمه كالقصر
فشدخت رأسا لهذا القاضي	وقامت الغوغاة في الأراضي
وجاء أعوان لدى السلطان	لمنزل القاضي وذي النيران
وحملوا الجميع للطبيب	لكي يرى الأمور بالترتيب

سـأل كـل واحـد لوخـده واعتـرف الكـل بـوزر فعلـه
قـال انهبـوا منـزل هـذا الموبـذان ونفيـه وسـجنه بتلمـسان
قـالوا فـنعم مـا أتتـه الزهـره يـا فوزهـا يـا سـعدها المزيـه
لمـا انتهـى أمـدها فـي الحمـل جـاء الوليـد باسـمه المهمـل
وطرحتـه تحـت ذا الجريـد فجـاءه اللقـيط مـن وريـد
وأعلـم الحـاكم فـي هـذا البلـد وقـال أهـلا ثـم سـهلا بالولـد
وصـار فـي كفالـة الامـاء حتـى بلـوغ مبلـغ الـذكاء
سـمي عنـدهم بـابن القاضـي مـع العقـاب ثـم بالإباضـي
نعـوذ بـالله مـن قـضاة فـضلا عـن الـشيوخ والبغـاة
لا سـيما فـي وقتنـا الخسيـسه لعـدم العلـوم والنـصيحة

خاتمة في التحذير من القضاء لما فيه من شر وبلاء

إيـاك والـدخول فـي القـضاء لأنـه مـن أعظـم الـبلاء
إذا بليـت اعـدل مـع الـسؤال لأهـل علـم دونمـا محـال
لا تـك قاسـطا فـي الأحكـام فتلقـين فـي النـار ذي الإضـرام
واحكـم علـى العبـاد بـالميزان مـن شـرعنا وقـاطع البرهـان
واهـرب مـن التحكـيم والإفتـاء ومـن رياسـة وكـل داء
إنـك لا تجنـي بهـا سـوى الخـسار والمكـر والخـداع أيـضا والبـوار
لا سـيما فـي آخـر الزمـان لقلـة الأمـان والأديـان
وكثـرة الرشـا وقلـة الـورع وقلـة العلـم مـع حـب الطمـع
وقلـة الفنـون والفتـاوى وكثـرة الجهـل مـع الـدعاوى
تـالله لا يـصلح قـاض للقـضا لكونـه يقـف بـين البغـضا

يلزمه إثباته ما في الأصول فقها حديثا ثم قول معلول
يحكم بالمشهور لا بغيره أو راجح أو عمل فانتبه
أو ما به الفتوى وما في المذهب أو ما بع العرف فتكسب الذهب

61- أبو عبد الله محمد المكي الدرعي

العلامة الدرعي الكبير المتقن النحرير، نذكره ضمن من عرفتهم تودغة برسم المشارطة فيها، أشار إلى ذلك تلميذه محمد بن الحبيب التمنوكالتي في معرض لقائه بشيخ القراءات سيدي زوين فدعا له الشيخ أدعية نافعة، من آخر جهابذة درعة، أخذ عن كبار شيوخ درعة المتأخرين وعن غيرهم بسوس ومراكش وبها أخذ عن سيدي الزوين، خلف العلامة محمد بن علي الناصري في التدريس وأخذ عنه جم غفير وجلة من عرف بدرعة في وقته، منهم محمد بن العلامة الحسن من أغلى أودرار الدرعي ومحمد بن الحبيب الركراكي التمنوكالتي صاحب "العقود اللؤلؤية في الأنباء الدرعية"، وغيرهم ترجم له فيه ترجمة وافية، وذكره المختار السوسي في المعسول أيضا[1]، توفي المترجم عام: (1356هـ).

62- سيدي موح ألحبيب التيزكيّ

من قصر تيزكي، سافر إلى تازرين عند الفقيه التهامي التازاراني عم باعلي الفتاك المشهور متعلما هناك لمدة سبع سنوات ثم انتقل إلى قصر الرتبات بفركلة ثم إلى فاس للعلم لكن الظروف لم تكن مناسبة فرجع إلى بلده، فشارط في مسجد (سيدي علي إبراهيم) مدة ثمانية عشر عاما ثم في (أفانور) ثمانية أعوام، و(تيكوتار) أربع سنوات، وفي سنة (1933م) عين في أمور العدالة ثم طلب الإعفاء فأعفي.

كان متصوفا على عادة أهل زمانه، منتسبا إلى الطريقة الدرقاوية، أخذ الورد عن

(1) 16/ 344.

سيدي محمد العربي المضغري وسيدي علي بن العربي وكذا محمد بن الحبيب، وشارك في مقاومة المحتل في معركة (بادو)، ثم رجع بعدها إلى قصر (تيزكي)، ثم أقام في (أسول) في الفترة التي كان فيها المختار السوسي معتقلا هناك ولقيه. فاعتقل بخصوص علاقته بالمختارالسوسي، ليعود مرة أخرى إلى تيزكي عام (1954م) أي في الفترة التي شهدت أحداث ثورة الملك والشعب، فتعرض للاستنطاق وسجن ثلاثة أيام وأطلق سراحه بعد ذلك، ثم بعد الاستقلال رجع الشيخ إلى أسول، وعين موظفا في كتابة الضبط، وبقي هناك سنة وسبعة أشهر ليستقيل من الوظيفة عام (1958م)، توفي الشيخ في (1381هـ/ 6 جنبر 1962م) بأسول. وممن تتلمذ عليه جملة من الطلبة نذكر منهم:

ابنه سي عيسى - عبد الرحمن الفيلالي - لحسن بن علي التفراوتي كان يعمل في سلك القضاء بأسول - أحدو المرغادي من تلتفراوت - زايد أحمو من تودغة توفي بكلميمة - لحو أحماد من كلميمة عين معلما بعد الاستقلال - حمو أبري المرغادي من كلميمة كان عدلا - علي أعزيز كان عدلا بكلميمة - سكو جاوي المرغادي من كلميمه كان معلما - علي أهموش فقيه من كلميمة - علي الكتاني فقيه بآيت محمد بتودغة - موح أمنصور، وغيرهم.

63- لعوان بن ابراهيم بن محمد الإحجامي

فقيه ضرير له شهرة بتودغة، متمكن ومستحضر لأمهات المتون الفقهية واللغوية، ودرّس كثيرا، ذكره محمد بن الحبيب الدرعي في (العقود اللؤلؤية) وكان معاصرا له بقوله: (الفقيه الأريب، الضرير الخطيب سيدي الاعوان)، أصله من دادس، يعرفون بآيت الطالب، ولد بقصر (إحجامن) أعلى تودغى، ومات أبوه وهو صغير فكفله أخواله بعدما تزوج عمه بأمه، فقد بصره وهو ابن عامين، فلما بلغ سن التعلم دخل الكتاب كعادة أقرانه يحفظ بالسمع، وكان ذلك بقصر (آيت زيلال)، فظهر نبوغه في سرعة الحفظ والاستيعاب، يحكي بلدي المترجم وتلميذه (سي موح أداني) في ذلك حكاية وهي أن شيخ المترجم كان من عادته إذا بدأ التدريس

صباحا أن يعلم حتى يأتيه الفطور، وفي يوم كان الفقيه المترجم "لعوان" بجانبه جالسا وهو يملي على بعض الطلبة سورة (الرحمن) وفي الحال بعدما انتهى الفقيه من الإملاء، قال الطالب لعوان: قد حفظت يا شيخ، فتعجب وسأله هل حفظت من قبل ؟ قال: لا، فأعجب الشيخ به وشاركه في وجبة الفطور تلك واختصه وقربه، ثم بعد ذلك أرسله مع آخرين إلى زاوية سيدي الهواري بتنجداد، ثم انتقل بعدها إلى الغرفة بتافيلالت، وبقي هناك مدة في الدراسة وطلب العلم، ولما رجع إلى بلدته رجع وعليه سيما أهل العلم ونظر إليه بالاحترام والتقدير، ثم انتقل إلى حلقة الفقيه العلامة المهدي الناصري بقصر آيت الحاج علي ولازمه وأخذ عنه كثيرا.

ولما وقعت الاضطرابات في تدغة إبان حركة الكلاويين ذهب مع زوجته إلى بلدة (وارك) عند المسمى سيدي رحو من الأعيان وأكرمه فأرسله إلى قصر آيت تودة لحسن، وهناك لقي الشيخ عبد السلام الناصري وقد كان عابرا، فأعجب بعلمه وحافظته ورأى أن علمه أكبر من حاجة أهل هذه البلاد فانتقل إلى تمكروت ومكث بها مدة تقرب من عامين ورجع بعدها إلى آيت تودة لحسن مشارطا ثم إلى قصره "إحجامن" فاضطلع بتدرس جملة من الفنون والعلوم.

له حكايات ونوادر مع فقهاء المنطقة، منها ما جرى بينه وبين شيخه المهدي الناصري في الجواب عن مسألة خالف فيها شيخه حتى غضب منه الشيخ ودعا عليه كما قيل، ومنها أنه كان في مجلس ضمه مع بعض الفقهاء منهم سي موح أطالب فقيه آيت بوجان وسي عبد الرحمن الفيلالي بإشماررين فسئلوا عن حكم بهيمة أصيبت في كبدها، فابتدر الجواب الفقيه عبد الرحمن الفيلالي قائلا: هي جائزة للمساكين أمثالك، وغضب لعوان وأتاه بنص الجواب من (الذكاة الفاسية)، ومنها ما حصل بينه وبين الفقيه بناصر المرغادي حين وقعت نازلة امرأة غاب عنها زوجها مدة طويلة وسئلا عن ذلك فقال الفقيه لعوان معرضا بصاحبه: أنت تعرفها فكيف لا أعرفها أنا ؟! فأتى بنص المسألة كما في (العاصمية)، كان يدرس في مسجد (إحجامن)، وممن وقفنا عليه من تلامذته:

- علي الكتاني - موح أو الجيلالي - أحمد أداني - لحسن بن علي - موح أو

عيسى وغيرهم، عاش في كفاف وحاجة، إلى أن توفي ببلدته عام (1383هـ/ السبت 14 فبراير 1964م).

قالوا الفقيه، فقلت: الزور ما قالوا ليس الفقيه سوى من عنده مال

64- محمد المكي القانت

فقيه شارط أولا بقصر تيكوتار ثلاث عشرة سنة ثم بقصر آيت محمد، رحل إلى "قلعة السراغنة" ومنها أخذ بعض روايات القرآن، ولأجل قراءة الأمام المكي لقب بلقبه كما جرت عليه عادة الفقهاء قديما في بعض مناطق المغرب بتلقيب المهرة في القراءات بألقاب شيوخها خاصة حمزة وابن كثير المكي، كان رجلا ربانيا كما سمعنا عن كل من حكى عنه، ربما أخذه الوجل في قراءته للقرآن أو خطبته فبكى، وكان القايد أحمد أوسعيد يجله، ولما صليت صلاة الاستقاء في أحد الأعوام جامعة لقصور تودغة، لم يقدم لها هذا الخليفة لإمامة الناس سواه، لما يعلمه من حاله الذي يقتضي مثله في مثل هذا المقام، رأيت قطعة من مصحف نسخها بخط يده أنهاه في 1342هـ، وتوفي رحمه الله (1389هـ/ 1969م).

65- أحمد نايت ناصر بن محمد ابن عبد الكريم التدغي

فقيه له مكانة وقدر بين الناس في تودغة، إذ لم يبق بها بعد وفاة عدد من الفقهاء من يرجع إليه في الملمات سواه، ولد بقصر آيت الحاج (1869م) تقريبا، وتوفي أبوه محمد وسنه أربع عشرة سنة، ثم تزوج عمه بأمه، أخذ العلم وحفظ القرآن على يد الفقيه سي لعوان سبع سنوات، وأخذ كذلك عن الفقيه أحدو أقاسي، ثم انتقل إلى تمنوكالت بعد واقعة جرت بينه وبين الفقيه بناصر المرغادي أحس فيها بالإهانة، فتوجه إلى قصبة تمنوكالت بدرعة، وبقي يدرس بها مدة خمسة أشهر ونصف الشهر، وأمره شيخه أن يلتحق للمشارطة والتعليم، رجع ليصادف رجوعه

موت عمه زوج أمه فشارط في قصر آيت بولمان ثم بعد ذلك آيت علي أوالحاج مشارطا ومدرسا. تلقى إذنا بتلقين الأوراد الناصرية (1391هـ).

سجن من طرف المفوض الفرنسي أحد عشر يوما، ورفض أن يتولى مهمة التدريس والعدالة مثل عدد من الفقهاء الذين يرفضون الانخراط في كل عمل يمليه المستعمر، توفي رحمه يوم: (29 محرم 1399هـ الموافق/ 30 دجنبر 1979م)، وابنه الآن فقيه مشارط في أحد مساجد تودغة يسمى (محمد). هذا ما استفدناه من ترجمة كتبها بعض أحفاده في بحث جامعي، وقد ترك المترجم خزانة عامرة من أهم خزائن تودغة، لم نستفد منها شيئا في هذا الكتاب مع شدة إلحاحنا، والله المستعان.

66- عبد الوهاب الصديقي الفيلالي

أصله من تافيلالت، أخذ عن بعض فقهاء تودغة كالفقيه أحمد نايت ناصر والفقيه الحسن الوافي الذي أخذ عنه التحفة العاصمية، شارط مدة طويلة بقصر تدافالت وكان يُحَفظ القرآن الكريم، ثم اشتغل بالعدالة وخطيبا بمسجد الحي المنجمي، وبه لبث إلى أن تقاعد، زرته في بيته وهو معتل الصحة من وجع ألم به، وذاكرته في بعض أحوال فقهاء الواحة الذين أدركهم، توفي رحمه الله في العام 1438هـ/ 2017م.

67- الحسن آيت باها الدرعي

تتميما للغرض وأداء للحق المفترض وإن كنا فيه مقصرين، أحببت ألا تخلو هذه التراجم من بعض المعاصرين الأحياء، وقد سبق أن ذكرت واحدا ضمن أعلام الزاوية العمرية، وها أنذا أجعل مسك الختام، هذا الفقيه الذي نال الاحترام من لدن الخاص والعام.

يرجع أصله إلى واحة (أمزرو) بدرعة، قدم إلى تودغة في بداية ثمانينيات القرن الماضي مشارطا بمسجد قصر (تسكا) بأمزاورو، وصار فيها على العادة المألوفة غير

أنه كان ذا همة في التدريس، فتصدى له، يعلم القرآن الكريم حفظا وتجويدا، ويدارس طلبته متونا فيه وفي النحو والفقه والبلاغة، مع حسن تلقين، ورعاية لطبقات المتعلمين، ومن عجيب ما سمعته منه في هذا الشأن أنا كنا ذات مرة نتذاكر في هذا الباب وقد عرضنا للبلداء من المتعلمين فقال لي: إن هذا الصنف من الطلبة ينفعونني كثيرا، فقلت: كيف ذلك؟ فقال: إنهم يجعلونني أفكر وأدبر كيف أجد طرقا تعليمية نافعة أخرى غير ما هو معتاد وفي هذا منفعة كبيرة. وفي مرة أخرى تباحثنا في العلوم الشرعية وسعتها حتى ذكرنا المختصرات فذكرت شيئا من عيوبها[1] وما قاله الشاطبي في ذلك، فقال: إن هذه العلوم تعددت وكثرت ولا سبيل إليها جميعا، بل إن العلم الواحد يصعب حصر مسائله، فلا غنى عن هذه المختصرات كيفما كان الحال.

كانت بداية معرفتي به حين مقامي بتودغة، فلاحظت فيه أدبا جما وسمتا حسنا وهديا سامقا، يسير في الناس بخلق رفيق، ويقابلهم بوجه طليق، يقدر الأمور ويسوسها بالحكمة، فما تحدث عنه محدث إلا أثنى عليه بالخير، وتلك عاجل بشرى المؤمن، فقذف الله محبته في قلب هذا الكاتب الضعيف، وصار من آنس الناس إلي في تودغة، فأبيت إلا أن أعبر له عن بعض هذا الود في أبيات رجزية كتبتها ثم أرسلتها إليه، أثبتها هنا معتذرا عن تهلهل عباراتها بصدق عَبراتها[2]:

سلام على (تسكا) ومن بها سكنْ وخُص بالمزيد بَدرها (الحسنْ)[3]

---

(1) للفائدة في هذا الموضوع انظر على سبيل المثال: الفكر السامي: 2/ 457.

(2) بتاريخ: الثلاثاء 22 جمادى الأولى 1434هـ موافق/22/ 4/ 2013، أُثبِتُ هذه الأبيات والتي تليها في هذا السياق من هذا الكتاب لمناسبتها وحفظا لها من الضياع، مهما كانت درجتها في ميزان الأدب، إذ ليس الكتاب كتاب أدب، ولكنه إسهام في حفظ الذاكرة.

(3) لا يخفى ما فيه كلمة (الحسن) من تورية.

نزلتَ فيها منزل البدر فعادت في القرى (عينا)[1] وحَلّتِ المِنَن
تَحُل ظلماءُ إذا غِبت وتجفونا لياليـنا ومـا لهـا سكنْ
فإن تكنْ بدرا تجلى نُوره فَكنْ هلالا غاب حينا فاقترنْ
أيا إماما ذكّرتْ أحواله بالله، رؤياك أزالتِ الحَزَن
لئن حجبت بالحياء علمك ففي المُحيا قد تجلى لِلعلن
وذاك في العلوم عز شيخه ومثله لا نجتنيه بالثَّمن
إذا ذكرتَ طالبا قد نَجبا فاذكرْ مُحبا وِداده على سَنن
جَعلتْ حُبكم تقربا يَفي بِظله غدا ويُذهب المِحَن
ودعوةً منك رجوتُها عسى تجمعنا عند مليك في عَدَن

فصرت أزوره ويزورني كلما سنحت الفرصة بذلك والفضل في الحالين له[2]، وما جمعني به مجلس إلا استفدت منه معنى ما في الأدب والأخلاق، على أنه يبتعد عن الخوض في المسائل العلمية إلا لضرورة ثم لا يطيل مع تركه الجدال والمماراة، ومن نظمه في آداب التعلم هذه الرائية التي لا يستغني عما فيها من الآداب كل مجد يبتغي أن تفتح له في العلم الأبواب، فهي فيه لعمري لب اللباب:

لك الحمد يا ربي صلاتي مدى العمرِ على المصطفى والآل مع صحبه الغرِ
أيا طالبا للعلم هاك فوائدا ألا فارغ قلبا وارع جسمك بالطهر
على المنهج اثبُتْ للدروس، تفرّغنْ بإحسانِ أخلاق وقصدٍ بلا كدر
وحرصِ أناةٍ جِدَّ واصبِرْ، تَجَنبنْ فضولَ نعاس مثل أكلٍ مع الغير

(1) المراد بالعين هنا: الوسط في مقابل (تسكا) الأمازيغة التي تعني الطرَف، ويضاف إليها بعض معانيها الأخرى كمنبع الماء والشمس.

(2) قال الشافعي في الإمام أحمد:

قالوا يزورك أحمد وتزوره قلتُ: الفضائل لا تغادر منزله
إن زارني فبفضله، أو زرته فلفضله، فالفضل في الحالين له

وكُل طيِّبا واحلُم إذا الغير جاهلٌ ... ولا تحملِ الأحقاد تنجُ مِنَ الشَّر
وسلِّم لأستاذ همامٍ قد اتصفْ ... بعلم وأخلاق وتقوى مع الصبر
ذكاءٍ وحبِّ النصح للغير صاحِ لا ... تماره واخدُمه وقابله بالشكر
وكن ساعيا للدرس بالجِدِّ مخلصا ... فآدابُ درسٍ بابُ سيرٍ إلى نَصر
نشاطٍ وإنصاتٍ وهيبةِ مؤمن ... وفي الخير لا تخجَلْ تواضع بلا فخر
شروطك في التحصيل: طولُ زمانِه ... وصبرٍ على فنٍّ وشيخ بلا كِبر
وصاحبَك اخترْ من ذوي الجِد صالحا ... ولا تنشغل بالهمِّ مع كثرة الفكر
وقدِّم من العلم الأهمّ تنلْ مُنى ... وكن نشِطا سجِّلْ فوائدَ في السطر
ورتِّب وخذ من كل فن حِسانه ... ولا تجمعنَّ الكلَّ في أولِ الأمر
بل احفظ ولا تحقرْ من العلم كِلمة ... فجهلك بالأشيا يؤدي إلى نُكر
طريقك في التعليم الإصغاءُ فاعلمنْ ... وقيِّده بالخط الجميل بلا فخر
زنِ الشعر منه حقِّقِ النصَّ افهمنْ ... وبعدُ احفظنْه باذِّكارٍ مع الغير
وداوم على التدريس كرزْ مواصلا ... وللعلم لا تترك خروجَك للسَّفْر
لتطلبَه واعمَلْ وعَلِّمهُ مُخلصا ... لربك إيمانا وذُخركَ للأجر
سلامُك يا ربي على خير مرسَل ... وآله والأصحاب طُرّا مدى الدهر

وإن أنس لا أنسى يوم سطرتُ رجزا في خطبة الجمعة فأحببت أن يكون هو أول من يطلع عليه ويبدي فيه رأيه، فإن كان فيه فائدة نشرناه وإلا طويناه وكتمناه، فما كان منه بعد الاطلاع إلا أن أثنى عليه وشجع على شرحه للحاجة إليه، فكان ذلك منه سببا بعد الله تعالى في إخراجه بعد ذلك كتابا.

ولا بأس أن أذكر في هذا المقام مجلسا من تلك المجالس التي لا تنسى، جمعتنا في أيام صباح مسا، فتعطرت به أنسا، مع ثلة من أحباب آخرين قدموا علينا من ورزازات، صدعت فيها بالقرآن الحناجر، وفاضت المجالس شعرا ونثرا من الطرائف والنوادر، وكان من هؤلاء الأضياف الأستاذ الأديب الحاج عبد الكريم الرقيبي، وعلى إثر عودته إلى ورزازات أنشأ يقول شعرا من ضمن أبيات يتذكر هاتيك الأجواء، ملما

فيها بالمترجم وقد استضافنا في بيته بعد أمسية قرآنية خاشعة في المسجد:

وفي الحارة السفلى شِمْنا الحِجا سراجا ينير فسيح الرِّحاب
سلام على الزُّمرة الطيبة ترتل الآيَ كما في الكتاب
تلاميذ أحيت تلاوتهمُ عهودا تقَضَت بتلك الشعاب
وشيخهمُ أيْثٌ بها حسنٌ يرى لذة في اقتحام الصعاب

ومما قاله فيها على سبيل الطرفة والانبساط وقد تناشدنا ذات يوم في إحدى الجلسات أبياتا طريفة في الثمانية المستوجبين الصفع، يقصد تبرئة الجميع من الإخلال بالآداب التي تستلزم الدخول تحت هؤلاء الأصناف:

وما أحد منا قد صُفِعت قفاه، لأن الجميع استجاب

والأبيات الطريفة هي هذه نوردها لما فيها من الآداب، وقانا الله شر العتاب:

قد خُص بالصفع في الدنيا ثمانية لا لوم في واحد منهم إذا صُفعا
المستخف بسلطان له خطر وداخل في حديث اثنين قد جمعا
وآمر غيره في غير منزله وجالس مجلساً عن قدره ارتفعا
ومتحف بحديث غير حافظه وداخل بيت تطفيل بغير دعا
وقارئ العلم مع من لا خلاق له وطالب النصر من أعدائه طمعا

ثم إني أجبته بعد ذلك بأبيات على المنوال نفسه جاء فيها:

ألا أيها الركب يطوي الشعابْ أنيخوا المطايا وألَقوا الرِّكاب

* * *

أيا سائلي عن مجالسهم زها روضُها والعيون عِذاب
سُقينا بكأسين: كأسِ القِرى ومِنْ كل ما يُشتهى مُستطاب
وأخرى تُرَوِّي العقول بِحِكْمةٍ في قريض حلا كالرُّضاب
سرى الأنس فيها نسيما شذى وبَسطٌ يُحيل الهموم سراب

سوانـــحُ فكـــر جـــرت دُررا ومِـن كـل معنـى لطـيف نِـصاب
فيـا أهـــل ودي سـلام يـدو مُ، مـا انهَـلّ غيـث وجـاد سـحاب
ولا أوحـــش الله دهركـــمُ وأبقـى التلاقـي بغـير اغـتراب

والفقيه سيدي حسن مازال مشارطا بتسكا أمزاورو، وظني أنه لو وجد من التشجيع والرعاية ما يلزم لكان به لتودغة اليوم ذكر، ولكنه - يا للأسف - قمر كقمر الشتاء، متعه الله بكل خير ونفع به، آمين.

نظم في المواريث

هذا نظم في فقه الفرائض من واحد وستين بيتا من بحر الرجز، وقفت عليه مخطوطا في إحدى الخزانات الخاصة، وهو حسن العبارة والسبك، اعتمد فيه صاحبه على مجموعة من المصادر كما صرح بذلك، ولم ينظم فيه إلا مسائل مهمات، فهو مختصر مفيد، ولما لم يتبين لي ناظمه، بحيث إن الناظم لم يأت بإشارة على اسمه - وقد قصد هو ذلك - ولا هو من الأنظام المعروفة في فقه المواريث، أحببت أن أثبته في هذا الموضع من الكتاب عسى أن يُنتفع به إن شاء الله تعالى قال:

بـسم الإلـه ابتـدي وحمـده حمـدا يليـق بعظـيم مجـده
مـصليا علـى النبـي مـسلما وآلـه وصـحبه والعلمـا
وبعـد إنـي قـد سـلكت مـذهبا فقـه الفـرائض بـه تقربـا
مـن كتـب مـشهورة جمعتُـه بغايـة الجهـد قـد اختـصرته
مـع أنـه فـي غايـة البيـان وغايـة التحريـر والاتقـان
سـهلا لكـل قاصـد ومبتـدي عونـا لكـل مـاهر ومنتهـي
ولـم أقلـه ليقـال مـن ذا ؟ ومـن يقلـه يـستحق النبـذا
والله شـاهد وأنـي أسـأل نفعـا بـه منـه لكـل يحـصل
الابـن وارث بتعـصيب ولا يحجـب، وابنـه بفقـده تـلا

إن عـــدم الابـــن وإلا يحجـــب والأب فـي فقـد الفـروع عاصـب
ومع ذكور الفرع في السدس احتبس ومـع إنـاث عاصـب بعـد السدس
الجـد كـالأب بفقـد الأخـوة نـصا سـوى فـي هـذه الثلاثـة
ومـع إخـوة فقـط قـد خيـرا فـي ثلـث كـل المـال أو قسم يـرى
وإن يكـن صـاحب فـرض معهـم فالأفـضل مـن سـدس كـل مـا لهـم
أو ثلث مـا عـن صـاحب الفـرض بقي أو يقـسم مـع إخـوة مـا قـد بقـي
ويحـسب الـشقيق مطلقـا علـى جـد أخـا مـن أبيـه ويحظـلا
ويحجـب الجـد أب ومثلـه جـد بعيـد فابنـه يحجبـه
أخ شـقيق عاصـب وإن ذا فـي قـصة الحمـار فرضـا أخـذا
زوج أشـقا لـو مـع الأنثـى وأمّ أو جـده وأخـوة كـانوا لأمّ
بـين جميـع إخـوة قـد اقتـسم علـى الـسواء ثلـث أخـوة لأمّ
والأب ثـم الابـن مهمـا نـزل فلـيس للـشقيق معهـم مـدخل
كحجبـه بالجـد فـي القـصة إن معهـم أتـى ذا بالـشبيهة انـسبنّ
كـذا بنـوه ان أخ فقـد ورد حجبـا يجـد عاصـبون فـي الأبـد
أخ لأب عاصـب وهـو مـع شـقيقة عاصـبة إرثـا منـع
كمنعـه بـالابن مهمـا نـزلا والأب والـشقيق حجبـا مـسجلا
ذاك الـشقيق فـي الـشبيهة ثبـت وذا بمالكيـة قـد لقبـت
أبنـاء ذا مثـل بنـي الـشقيق زد حجـبهم بهـم وحـذ طريقـي
أخ لأم مـع تعـدد ثلثـا فرضـا وكالـذكور حكـم الأنثـى
وفـرض ذا سـدس لـدى انفـراد وهـو محجـوب مـع الأولاد
كـذاك بنـت الابـن مهمـا ينـزل أب وإن عـلا فلـيس يـدخل
سـهم الإنـاث والـذكور متحـد لقـسمهم علـى الـرؤوس فاعتمـد

والعـــم عاصـــب شـــقيق أو لأب ومـــع عاصـــب كجـــد يحتجـــب
كـــذاك مـــع شـــقيقة تُعـــصبُ كـــذا البعيـــد بالقريـــب يُحجـــب
وإن يكونـــــوا لأب فــــالحكم ذا أبنـــــاؤهم مفـــــصلين هكـــــذا
الـــزوج فرضـــا ربـــع مـــع الولـــد إن كـــان وارثـــا ونـــصف إن فقـــد
للبنـــت نـــصف فرضـــها مـــا انفـــردت وفرضـــــها الثلثـــــان إن تعـــــددت
عاصـــبة إذ معهـــا الابـــن وجـــد وبنـــت الابـــن فرضـــها الـــسدسُ اعتمـــد
مـــع بنـــت صـــلب، ثـــم غـــن تعـــددتْ بنـــات صـــلب بنـــت الابـــن حُجِبـــت
لا مـــع أخ أو ابـــن عـــم مطلقـــا بـــل تعـــصب معهمـــا مـــا قـــد بَقـــا
ومـــع بنـــت قـــطُّ أيـــضا عـــصبت مـــع أخ أو ابـــن عـــم قـــد ثبـــت
معـــــادلا وإن يكـــــن ذا أســـــفلى ســـدس لهـــا وعاصـــبا مـــا فـــضلا
وحكمهـــا كالبنـــت فـــي فقـــد الولـــد ومـــع ذكـــور فوقهـــا حجـــب عهـــد
لـــلأم ســـدس فرضـــها مهمـــا وجـــد تعـــداد أخـــوة كـــذاك مـــع ولـــد
والثلـــث فـــي فقـــدها فـــرض ثبـــت ومـــــع زوج وأب قـــــد ورثـــــت
وثلـــث بـــاقي الـــزوج أو زوجـــة فـــي مكانــــه الغــــرا تكتــــى فــــاقتفي
للجـــدة الـــسدس إذا لـــم تنفـــصل بـــذكر غيـــر الأب فرضـــا قـــد نقـــل
والـــــسدس مقـــــسوم إذا تعـــــددت وحجـــب أم للجميـــع قـــد ثبـــت
كـــذا الأب لمـــن بـــه تقربـــت أيـــضا بقـــرب مـــن لأمٍّ حجبـــت
فـــــرض الـــــشقيقة إذا تعـــــددت ثلثـــــان والنـــــصف إذا انفـــــردت
ومـــع شـــقيق أو بنـــات عـــصبت كـــذاك بنـــت الابـــن والجـــد ثبـــت
إلا إذا فريـــــــضة تركبـــــــت منهـــا وجـــد زوج أم فرضـــت
لهـــا ثلاثـــة بنـــصف المـــسأله بهـــا تعـــول الـــستة المنزلـــه
وســـهم جـــد يجمـــع أســـهمهما ويأخـــذ الثلثـــين والبـــاقي لهـــا

وذا بأكدريـــــــــة يـــــــــدعونها أب أو ابـــن مـــا نـــزل يحجبهـــا

الأخـــت لـــلأب فـــإن حكمهـــا كحكـــم ذي الـــشقيقة فـــي فقـــدها

وفرضـــها مـــع الـــشقيقة الـــسدس عاصـــبة مـــع أخيهـــا فـــاقتبس

وإن خلـــت ذي عـــن أخيهـــا حجبـــت مـــع الـــــشقيقة إذا تكـــــررت

أو عـــصبت والابـــن مهمـــا ينـــزل والأب الـــشقيق ليـــست تـــدخل

للزوجـــة الـــثمن إن كـــان الولـــد وفرضـــها الربـــع إن هـــو انفقـــد

والحمـــــد لله علـــــى الإتمـــــام مـــع الـــصلاة منـــه والـــسلام

علـــى النبـــي المـــصطفى الإمـــام والآل الـــصحب علـــى الـــدوام

لائحة المصادر والمراجع

لائحة المراجع والمصادر

- إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس تأليف: ابن زيدان عبد الرحمن ابن محمد السجلماسي، تحقيق: الدكتور علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى 2008م.
- إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع: عبد السلام بن عبد القادر بن سودة، المحقق: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي1997م.
- إتحاف ذوي العلم والرسوخ بتراجم من أخذت عنه من الشيوخ: محمد بن الفاطمي ابن الحاج السلمي، تحقيق: الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني، طبع في دار الكتب العلمية بيروت 2004م.
- أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين: أبو بكر بن علي الصنهاجي البيدق، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط 1971م.
- الاستذكار: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى 2000م.
- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد ابن محمد الناصري، تحقيق: جعفر الناصري/ محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء.
- الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر 2002م.
- الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام: العباس بن ابراهيم السملالي، المحقق: عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط 1993م.
- البهجة في شرح التحفة، أبو الحسن علي بن عبد السلام بن علي التُسُولي: تحقيق: محمد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية لبنان الطبعة الأولى

1998م.
- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد، تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت لبنان الطبعة الثالثة 1983م.
- البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة: أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي حققه: د. محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان الطبعة الثانية 1988م.
- تاريخ الضعيف أو (تاريخ الدولة السعيدة): محمد الضعيف الرباطي، تحقيق: د. أحمد العماري، دار المأثورات 1986م.
- التعرف على المغرب: شارل دوفوكو، ترجمة: المختار بلعربي، دار الثقافة الطبعة الأولى 1999م.
- التهذيب في اختصار المدونة: أبو سعيد ابن البراذعي المالكي خلف بن أبي القاسم محمد، الأزدي القيرواني، دراسة وتحقيق: الدكتور محمد الأمين ولد محمد سالم بن الشيخ، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي الطبعة: الأولى 2002م.
- التوضيح في شرح المختصر الفرعي لابن الحاجب: خليل بن إسحاق بن موسى، ضياء الدين الجندي المالكي، المحقق: د. أحمد بن عبد الكريم نجيب، مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، الطبعة الأولى 2008م.
- الجامع لمسائل المدونة: أبو بكر محمد بن عبد الله بن يونس التميمي الصقلي، المحقق: مجموعة باحثين في رسائل دكتوراه، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي جامعة أم القرى، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الأولى 2013م.
- الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي: أبو عبد الله محمد بن أحمد الكنسوسي، تحقيق: أحمد بن يوسف الكنسوسي، الطبعة الأولى، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش.

- الحياة الاجتماعية والقانونية بواحة تودغة: يوسف مهدان وجمال فائق، بحث جامعي 1994 - 1995.
- الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري: محمود إسماعيل عبد الرازق، دار الثقافة المغرب، الطبعة الثانية 1985م.
- الدرر المرصعة في أخبار أعيان درعة: محمد المكي الناصري الدرعي، تحقيق: الأستاذ محمد الحبيب نوحي، المؤسسة الناصرية للثقافة والعلم، 2014م.
- الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية: علي بن أبي زرع الفاسي، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط 1972م.
- السند القرآني: دراسة وتأصيل السند الشنقيطي نموذجاً. كتاب السند القرآني: دراسة وتأصيل السند الشنقيطي نموذجاً، سيد محمد ولد عبد الله، دار المخطوط العربي، بيروت دار الكتب العلمية 2011م.
- الكامل في التاريخ: أبو الحسن علي بن أبي الكرم عز الدين ابن الأثير، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى1997م.
- الكامل في ضعفاء الرجال: أبو أحمد بن عدي الجرجاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد معوض - عبد الفتاح أبو سنة، الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى1997م.
- المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر إينولتان 1850 - 1912م: أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة محمد الخامس، الطبعة الثالثة 2011م.
- المدونة: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1994م.
- المسالك والممالك: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، دار الغرب الإسلامي 1992م.
- المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم: سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني،

تحقيق الدكتور: عبد الحميد هنداوي دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة 2013م.

- المعسول: محمد المختار السوسي: مطبعة النجاح، الدار البيضاء 1961م.
- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب: أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي المحقق: محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية ودار الغرب الإسلامي، 1981م.
- المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب: أبو بكر الصنهاجي المكنى بالبيدق، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور طبع في دار المنصور للطباعة والوراقة الرباط 1971م.
- المقدمات الممهدات: أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، تحقيق: الدكتور محمد حجي دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1988م.
- المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل بن الشريف: عبد الرحمن بن زيدان العلوي، تحقيق: د. عبد الهادي التازي، الطبعة الأولى 1413هـ.
- الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية، (شرح حدود ابن عرفة للرصاع): أبو عبد الله، الرصاع التونسي المالكي محمد بن قاسم الأنصاري، المكتبة العلمية، الطبعة الأولى، 1350هـ.
- آيت عطا الصحراء وتهدئة آفلا ن درا: القبطان جورج سبيلمان ترجمة وتعليق: محمد بوكبوط، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية 2007م.
- تذكرة الموضوعات:محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي، إدارة الطباعة المنيرية، الطبعة الأولى 1343هـ.
- تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوع: نور الدين علي بن محمد ابن علي بن عبد الرحمن ابن عراق الكناني، المحقق: عبد الوهاب عبد اللطيف، عبد الله محمد الصديق الغماري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1399هـ.

- تهذيب الأسماء واللغات: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- تودغة: بوربير، ترجمة وتقديم امحمد أحدى، الطبعة الأولى 2016م.
- جامع بيان العلم وفضله: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1994م.
- خلال جزولة: محمد المختار السوسي، المطبعة المهدية، تطوان 1959م.
- دعوة الحق: عدد 85 وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية.
- دليل مخطوطات دار الكتب الناصرية بتمكروت: محمد المنوني، منشورات وزارة الأوقاف المغربية، الطبعة الأولى 1985م.
- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون المحقق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية 1988م.
- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، دار المعارف الرياض المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1992م.
- سنن ابن ماجه: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.
- سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجِستاني، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا بيروت.
- سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر الطبعة الثانية، 1975م.

- سير أعلام النبلاء:شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار الحديث القاهرة، الطبعة 2006م.
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف، علق عليه: عبد المجيد خيالي دار الكتب العلمية، لبنان الطبعة الأولى 2003م.
- شرح ميارة على التحفة الإتقان والإحكام في شرح تحفة الحكام المعروف بشرح ميارة: أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن محمد الفاسي، ميارة، دار المعرفة.
- صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي المحقق: محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، 1422هـ.
- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت.
- صورة الأرض المؤلف: محمد بن حوقل البغدادي الموصلي، دار صادر، أفست ليدن، بيروت 1938م.
- فتاوي أبي عمران الفاسي: تحقيق: د. محمد البركة، أفريقيا الشرق، المغرب الطبعة الأولى 2010م.
- قبائل المغرب: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط الطبعة الأولى 1968م.
- كباء العنبر من عظماء زيان وأطلس البربر: أحمد بن قاسم المنصوري تحقيق: أ. أحمد بلحسن، المندوبية السامية لقدماء المقاومين وعضاء جيش التحرير، الطبعة الأولى 2004م.
- كفاح المغربي المسلح في حلقات من 1900م إلى 1935م: هاشم بن الحسن العابدي العلوي، محمد المعزوزي، مطبعة الأنباء الرباط 1987م.
- مروج الذهب ومعادن الجوهر: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي تحقيق: أسعد داغر، دار 1409هـ.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن

أسد الشيباني المحقق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى، 2001م.
- مسند الشهاب القضاعي: أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون القضاعي المصري، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الثانية، 1986م.
- معجم الشيوخ المسمى رياض الجنة أو المدهش المطرب: عبد الحفيظ بن محمد الطاهر بن عبد الكبير الفاسي، صححه وخرج حواشيه وعلق عليه عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى 1424هـ.
- معلمة المغرب: الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر مطابع سلا المغرب 1989م.
- مقاومة سكان إقليم أزيلال للاحتلال الفرنسي في مرحلة غزو المغرب ما بين سنتي 1912 و1933 م: عيسى العربي، المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير الطبعة الأولى 2008م.
- مناقب الشافعي: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، المحقق: السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث القاهرة الطبعة الأولى، 1970م.
- مناهج التحصيل ونتائج لطائف التأويل في شرح المدونة وحل مشكلاتها: أبو الحسن علي بن سعيد الرجراجي، اعتنى به أبو الفضل الدمياطي، أحمد بن علي، دار ابن حزم، الطبعة الأولى 2007م.
- مواهب الجليل في شرح مختصر خليل: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الرعيني المالكي، دار الفكر الطبعة الثالثة 1992م.
- مواهب ذي الجلال في نوازل البلاد السائبة والجبال: محمد بن عبد الله الكيكي، تحقيق: أحمد التوفيق، دار الغرب الإسلامي، 1997م.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر،

بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1963م.
- نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني: محمد بن الطيب القادري، المحقق: محمد حجي وأحمد، مكتبة الطالب الرباط الطبعة الأولى، من سنة 1977م إلى 1986م.
- نظرية الاستعداد في المواجهة الحضارية للاستعمار المغرب نموذجاً: أحمد عماري أحمد، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1997م.
- نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان: ابن القطان، حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي، تحقيق: محمود علي مكي، دار الغرب الاسلامي، الطبعة الثانية..
- نعت الغطريس الفسيس: المهدي الناصري، تحقيق: خالد الناصري، بحث جامعي للدكتوراه 2000 - 2001م.
- وثائق سرية عن معركة بوكافر: ميمون أم العيد، المطبعة والوراقة الوطنية مراكش الطبعة الأولى 2014م.
- وصف أفريقيا: الحسن بن محمد الوزان الفاسي، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الاسلامي، بيروت لبنان، الطبعة الثانية 1983م.

المخطوطات:

- التحفة القادرية في التعريف بشرفاء أهل وزان: محمد عبد السلام بن عبد الله القادري الحسني.
- الدر النثير على أجوبة أبي الحسن الصغير: إبراهيم بن هلال السجلماسي (حجرية).
- الروضة السليمانية: أبو القاسم الزياني.
- العقود اللؤلؤية في الأنباء الدرعية: محمد بن الحبيب الركراكي التمنوكالتي.
- تحفه الإخوان في فوات بيع الثنيا بطول الزمان: محمد بن الطالب بن علي التاودي.
- طلعة المشتري في النسب الجعفري: أحمد بن خالد الناصري (حجرية).

- فتح الجليل الصمد في شرح التكميل والمعتمد: محمد بن أبي القاسم السجلماسي.

- مختصر مقنع المحتاج في آداب الأزواج: ابن عرضون.

- وثائق خاصة.

المراجع بالفرنسية:

-Au cœur de l'Atlas. Mission au Maroc 1904-1905. Préf. De Eugène Étienne et du général Lyautey. Note de géologie et de géographie physique par Louis Gentil.

- Magazine franc maroc: Août‹1920 .

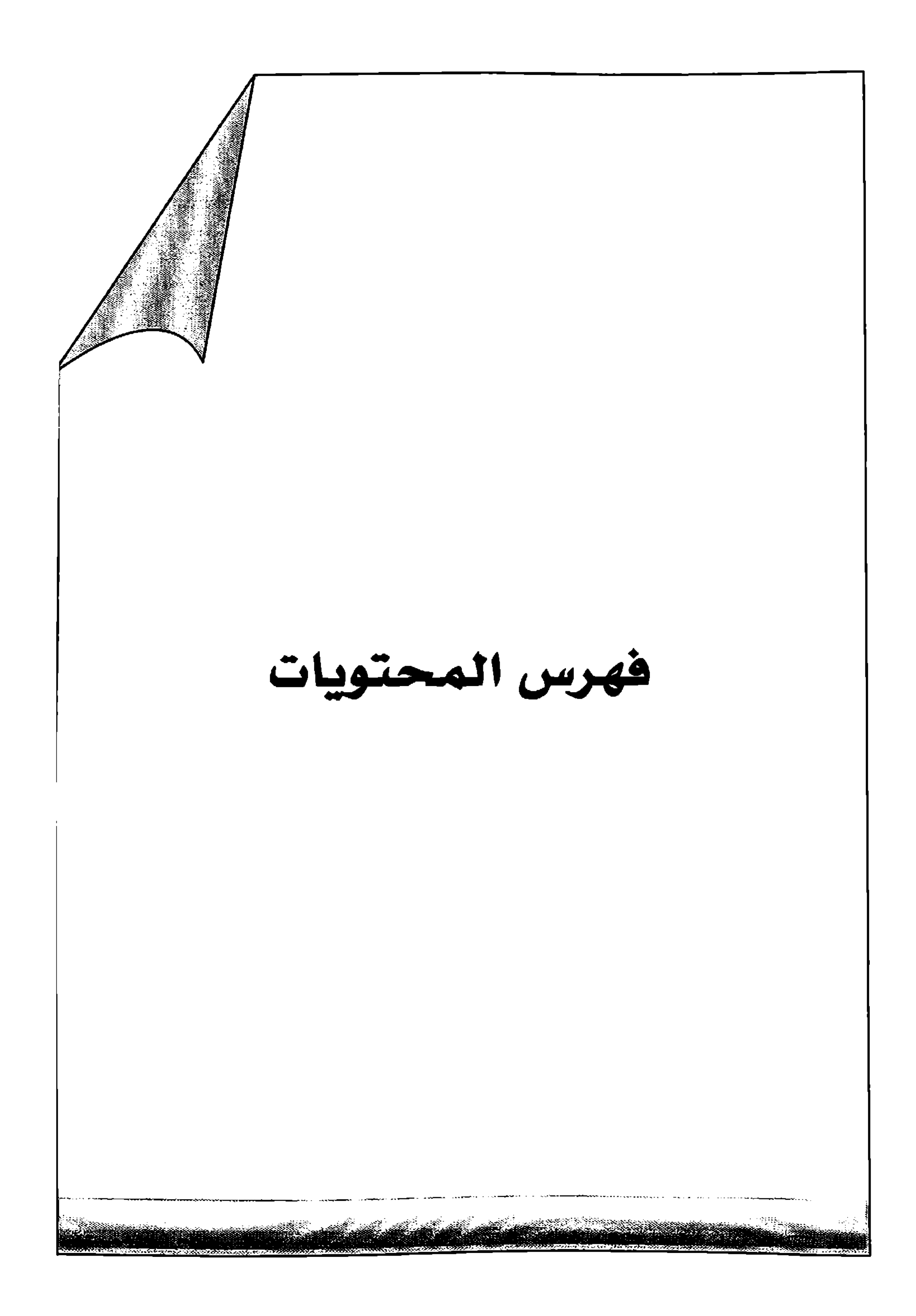
- LA RENAISSANCE DU MAROC, 1912 - 1922, paris Rabat: Résidence générale de la République Franç aise au Maroc, 1923.

- Magazine Hesperise: 1950.

- Segonzac, Édouard Marie René , paris 1910 marquis de (1899 - 1901): maroc de au voyages.

- MAROC CENTRAL J. Robichez: Editions B. Arthaud, Grenoble-Paris.

- Voyage au Tafilalet avec S. M. le Sultan Moulay Hassan en 1893: Docteur Linarès. Reprinted from: Bulletin de l'Institut d'hygiène du Maroc (3 - 4) 1932.



فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

تودغة
تاريخ وأعلام

م. أحمد الإدريسي

من مواليد قصر آيت مولاي أحمد أمان نقيدار، تخرج من كلية اللغة العربية التابعة للقرويين وقتها، وعضو سابق بالمجلس العلمي المحلي لتنغير، وهو الآن أستاذ اللغة العربية.

صدر له من المؤلفات:

- خطبة الجمعة: أحكامها على مذهب مالك، صفات خطيبها وضوابط إنشائها وقواعد إلقائها مع نظم جامع لمسائل الكتاب (دار الكتب العلمية ٢٠١٦م).

وتحت الإعداد كتاب:

- حصول المأمول من كتاب المعسول: مختارات في الأدب والنوادر والحكايات.

هذا الكتاب

... هذا كتاب أردناه بإذن الله تعالى أن يكون سجلا بين يدي كل تدغي إذا فتحه مطالعا وجد فيه بعض ذاكرته، وشيئا من أخبار آبائه وأجداده العلماء، فيحصل له من العلم ببلده ما به يفخر، ومن البواعث ما يدفعه إلى أن يحافظ على ذلك الإرث فلا يضيعه، ويسعى كذلك في تجديد معالمه حتى يعود ذلك اليوم الذي تلتئم في جنبات تودغة حلق العلم من شتى فنونه.

فهاك - يا من إلى تودغى انْتمى - سِفْرا
حـوى الـجـواهـر واللـؤلـؤ والـدّرّا
لكـنـهـا سِـيَـرُ الأُلـى سَـمَـواْ قَـدْرا
فهل - أخيّاه - لي دُعا يَجي أجْرا؟



أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

ص.ب 9424 - 11 بيروت - لبنان
رياض الصلح - بيروت 2290 1107
هاتف 12/ 11/ 804810 5 961+
فاكس 804813 5 961+

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com

دار الكتب العلمية®
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKi www.al-ilmiyah.com